

الغثيان

جان بول سارتر

ترجمة وتقديم

فتحي العشرى

ورقة بلا تاريخ

سيكون الأفضل كتابة الأحداث يوما بعد يوم تسجيل يوميات تتيح رؤية أفضل تجنبنا لأهمال الدقائق الصغيرة حتى ولو كانت تبدو بلا قيمة وخاصة تصنيفها يجب القول كيف أرى هذه الطاولة والشارع والناس تبغى مادام هذا هو الذى تغير يجب تحديد مدى هذا التغير وطبيعته بدقة مثلا هاهى علبة كرتون تحتوى على زجاجة حبرى ينبغى أن أحاول القول كيف كنت أراها من قبل وكيف الآن ..حسنا أنها شكل متوازى المستطيلات وهى تنفصل عن – هذا سخف فليس ثمة ما يقال عنها هذا ما ينبغى تجنبه لا يجب أن نضع الغرابة حيث لا يوجد شىء واعتقد أن هذا موضع الخطر لمن يسجل اليوميات : إنه يبالغ في كل شىء وهو فى حالة ترصد وهو يحرف الحقيقة بلا أنقطاع من جهة أخرى من المؤكد أنى استطيع بين لحظة وأخرى – وبصدد هذه العلبة بالذات أو بصدد أى شىء آخر – أن استشعر مجددا ذلك الانطباع الذى احسسته أول أمس يجب أن اكون دائما مستعدا والا فأن هذا الانطباع سيفلت من بين أصابعى مرة أخرى لاشىء إجبارى وأنا يجب أن اسجل بعناية وبأكبر تفصيل ممكن كل ما يحدث .

طبعا ليس بوسعى أن اكتب كتابة واضحة عن قصص السبت وأول امس فلقد بعد عهدى بها كثيرا مايمكننى قوله أنه لم يقع في الحالى الاولى ولا في الحالى الثانية ما ألف الناس أن يدعوه بالحدث كان الصبية يوم السبت يلعبون بقذف الحجارة على سطح الماء وكنت أريد أن اذف مثلهم حصاه في البحر وفي تلك اللحظة توقفت وألقيت بالحصاة وانصرفت لا بد أن مظهرى كان مظهر شرود على الارجح مادام الصبية قد ضحكوا حين خلفتهم .

هذا ما يخص الخارج أما ماحدث في داخلى فإنه لم يترك أثارا واضحة كان ثمة شىء رأيته فأثار اشمئزازى ولكنى لا أدرى هل كنت أنظر الى البحر أم الى الحصاه كانت الحصاه مسطحة جافه في أحد جانبيها رطبة موحلة في الجانب الاخر وكنت أمسك بها من اطرافها وأصابعى متباعدة جدا لأتجنب تلويث يدي .

غير أن الامر كان أول أمس أشد تعقيدا وقد حدثت تلك السلسلة من المصادفات والالتباسات التي لم أفهما ولكنى لن أتسلى بسرد هذا كله على الورق ومهما يكن فقد كان اكيدا أنى قد اصابنى الخوف أو شعور من هذا القبيل ولو كنت أدرى ما الذى خفت منه لكنت قد خطوت خطوه كبيرة .

والغريب في الامر أنني على غير استعداد اطلاقا لأحسبني مجنونا بل أنا أرى بوضوح أنى لست كذلك : فجميع هذه التغييرات تتعلق بالاشياء أو هذا على الاقل ما أود أن اكون على يقين منه .

الساعة العاشرة والنصف

ربما كان الامر في آخر المطاف نوبة جنون وليس باقيا منها أى أثر وإن الاحاسيس العجيبة التي راودتنى في الاسبوع الماضى تبدو لى اليوم مضحكة جدا وأنا لا احس بها إننى في هذا المساء في رضى تام وفي وضع بورجوازي طيب في العالم هاهنا غرفتى المتجهه نحو الشمال الشرقى وتحتى شارع " الموتيليه " وورشة المحطة الجديدة وأنا ارى من نافذتى عند زاوية ميدان " فيكتور -نوار " الشعلة الحمراء والبيضاء لمقهى " رانديفو دى شرمينو " وصل قطار باريس وهام الناس يخرجون من المحطة القديمة وينتثرون في الشوارع أسمع خطى وأصواتا. وكثير من الناس ينتظرون الترام الاخير ..لابد أنهم يشكلون جماعة صغيرة حزينة حول مصباح الغاز تحت نافذتى تماما عليهم أن ينتظروا بضع دقائق أخرى : الترام لم يمر قبل الساعة العاشرة والخامسة والاربعين المهم الا يأتى الليلة مسافرون من التجار : فأنا شديدة الرغبة في النوم وعلى أن أعوض كثيرا من النوم الذى فاتنى فليلة هادئة ليله واحدة كفيلة بكنس هذه القمص جميعا .

الساعة الحادية عشرة الا ربع : ليس ثمه مايخشى منه سيكونون قد وصلوا الا اذا كان

الدور اليوم دور السيد الذى يأتى من " روان " يأتى كل اسبوع له الغرفة رقم ٢ في الطابق الاول تلك التي لها مرحاض الممكن أن يأتى : فهو غالبا ما يأخذ قرح بيرة في " رانديفو دى شامينو " قبل أن ينام والحق أنه لا يحدث كثيرا من الضجة قصير جدا ونظيف جدا وهو ذو شارب اسود ملمع وشعر مستعار هاهو ذا .

حين سمعته يصعد الدرج احسست بخفق يسير في صدرى لشدة ما كان ذلك مطمئنا : فأى شيء

يخشى من عالم منتظم الى هذا الحد ؟ أحسب أنى قد شفيت .

وهاهو ذا الترام رقم ٧ " اباتوار – جران باسان " يصل في ضجة كبيرة من صوت الحديد ثم

يقلع وهو الآن يدلف محملا بالحقائب والاولاد النائمين نحو " ليبران باسان " نحو المصانع في الشرق

الاسود إنه الترام الذى يسبق آخر ترام أما الاخير فسيمر بعد ساعة

سأنام لقد شفيت وقد عدلت عن كتابة أنطباعاتى يوما بعد يوم على غرار ما تفعل الفتيات

الصغيرات في دفتر جميل جديد

ربما كان ممتعا في حالة واحدة أن اكتب يومياتى : في حالة ما اذا .

الاثنين ٢٠ يناير ١٩٣٢

حدث لى شىء ما لايمكننى ابدا أن اشك في ذلك جاء على شكل مرض لاكيقين عادى ولا كحقيقة بديهية أنسل خفية رويدا رويدا كل ما في الأمر أنى أحسستنى غيبا بعض الشىء منزعا بعض الشىء واذ بلغت الساحة كف عن التحرك وسكن فتمكنت من الاقتناع بأنه لم يكن بى شىء وأن ذلك كان رعبا مزيفا ولكن هاهو ذا الآن يتفتح .

لا أعتقد أن مهنة المؤرخ تهىء للتحليل النفسى ولم يكن يعنينا في قضيتنا إلا عواطف كاملة تطلق عليها أسماء اجناس كـ " الطمع " و " الفائدة " ومع ذلك إذا كنت أملك ظلا من المعرفة لنفسى فأن هذا هو أوان الافادة منه .

في يدى مثلا شيئا ما جديدا طريقة ما لتناول غليونى أو شوكتى أو هى الشوكة التى لها الأن طريقة ما تتيح أمر تناولها لست أدرى حين هممت بدخول غرفتى توقفت فجأة لأننى كنت أحس في يدى شيئا باردا كان يلفت أنتباهى بلون من ألوان الشخصية وفتحت يدى ونظرت فاذا أنا ممسك بكل بساطة بمزلاج الباب وهذا الصباح في المكتبة حين أقبل " العصامى " يلقى على التحية أمضيت عشر ثوان لتذكره كنت ارى وجها مجهولا وجها بالكاد كانت هناك يده كدودة ضخمة بيضاء في يدى وسرعان ماتركتها فسقطت الذراع باسترخاء .

وفي الشارع أيضا تنهادى كمية من الضجيج المبهم .

إذن فقد حدث تغيير في هذه الاسابيع الاخيرة ولكن أين ؟ تغير مجرد لايحط على شىء أأكون أنا الذى تغيرت ؟ إن لم أكن أنا فهى إذن هذه الغرفة هذه المدينة هذه الطبيعة لا بد من الاختيار .

أعتقد أننى أنا الذى تغيرت : ذلك ايسر الحل وهو اكرها أيضا ولكن يجب أن أعترف أخيرا

أننى معرض لهذه التغييرات المفاجئة . الواقع أنى نادرا ما أفكر ولذلك يحدث أن تتجمع في طائفة من

التحولات الصغيرة من غير أن اتنبه لها ثم يأتى يوم تحدث فيه ثورة حقيقية وهذا ما اكسب حياتى هذا المظهر المتنافر اللامنسجم فحين غادرت فرنسا مثلا كثيرين قالوا إنى غادرتها بدافع العناد وحين عدت إليها فجأة بعد ستة اعوام من السفر استطاعوا بكل سهولة أيضا أن يتحدثوا عن العناد وأنى مازلت أتمثلنى مع " مرسيه " في مكتب ذلك الموظف الفرنسى الذى استقال في العام الماضى إثر قضية " بترو " وكان مرسيه تجها الى البنغال في بعثه أثرية لطالما وددت الذهاب الى البنغال وكان يخشى على الانضمام اليه وأنا لن أتساءل عن سبب ذلك وأعتقد أنه لم يكن واثقا من " بورتال " وأنه كان يعول على لمراقبة ولم اكن اجد اى سبب للرفض وحتى لو كنت قد استشعرت آنذاك هذه المؤامرة الصغيرة بشأن " بورتال " فان ذلك كان سببا إضافيا يحملنى على القبول في حماسة كنت مشلولا ولم أكن أستطيع أن اقول كلمة وكنت احقد في تمثال هدى صغير على سجادة خضراء بالقرب من جهاز تليفونى .كان يخيل الى أنى كنت ممتلنا باللمفا أو بالحليب الفاتر وكان مرسيه يقول لى بصبر ملائكى يحجب بعض الحنق : أليس كذلك إنى بحاجة لأن أتأكد رسميا. اعلم أن الأمر سينتهى بك الى القبول : فالأفضل أن تقبل على الفور "

كانت له لحية ذات سواد محمر معطرة تعطيرا كثيفا كنت أستنشق لى كل حركة من رأسه نفحة عطر ثم أستيقظت فجأة من سبات ستة اعوام .

بدا لى التمثال كريها بليدا واحسست انى كنت سئما سئما عميقا لم أكن أستطيع أن أفهم لماذا كنت في الهند الصينية ما الذى كنت أفعله هناك ؟ لماذا كنت أتحدث مع هؤلاء الناس ؟ ولماذا كنت أرئدى هذه الثياب العجيبة حقا ؟ كان هوسى قد مات وكان قد غمرنى ودحرجنى طوال سنوات وهأنذا أحسنى الآن فارغا ولكن ذلك لم يكن الأسوأ : كانت تحط أمامى في نوع من التناقل فكرة ضخمة تافهة ولا أعرف جيدا ماذا كانت هذه الفكرة ولكنى لم أكن أستطيع أن انظر اليها لفرط ما كانت تنفرنى ذلك كله كان يمتزج عندى بعطر لحية مرسيه . انتفضت وقد طفح غضبى عليه فأجبت بجفاء :

- أشكرك ، اعتقد اننى سافرت بما فيه الكفاية : فيجب ان أن اعود الى فرنسا

وفي اليوم التالي كنت أستقل الباخرة الى مرسيليا .

إذا لم أكن مخطئا واذا كانت جميع العلامات التي تتجمع تنذر بانقلاب جديد في حياتي فأنى خائف ليس ذلك لأنها غنية حياتي أو لأنها مثقلة أو لأنها ثمينة وانما أنا حائف مما سيولد ويستولى على – ويجرني الى اين ؟ أينبغى لى بعد أن ارجل وأن اترك كل شىء في التصميم تحقيقاتى وكتابى ؟ اترانى سأستيقظ بعد عدة اشهر بعد عدة اعوام مجهدا خائبا وسط انقراض جديدة ؟ كم أود لو أتبصر في ذاتى بوضوح قبل أن يفوت الأوان

الثلاثاء ٣٠ يناير

لأجديد .

عملت من الساعة التاسعة حتى الواحدة في دار الكتب وقد دبلجت الفصل الثانى عشر وكل ما يتعلق بإقامة رولبون في روسيا حتى موت بول الاول وهو عمل أنجز : لن اهتم به حتى يحين تبييضه . انها الساعة الواحدة والنصف وأنا في مقهى " مابلى " اتناول سندويتشا وكل شىء طبيعى تقريبا الحق أن كل شىء في المقاهى وخاصة في مقهى مابلى طبيعى دائما بسبب المدير السيد فاسكيل الذى يحمل في وجهه مظهرا سوقيا وضيعا يدعو الى الاطمئنان أن ساعة قيلولته تحين عما قليل وقد بدأت عيناه تتوردان ولكن مشيته تظل حية عازمة وهو يتنزه بين الطاولات ويقتررب خفية من الزبائن :

- هل أنت راض ياسيدى ؟

ابنسم اذ اراه بهذه الحيوية : فحين يفرغ مقهاه يفرغ رأسه ايضا ان المقهى يصبح خاليا بين الثانية والرابعة واذ ذاك يقوم السيد فاسكيل ببضع خطوات في هيئة بلهاء ويطفىء الخدم الانوار فينسل في البراءة : أن هذا الرجل حين يكون وحده ينام

كان زهاء عشرون زبونا من العزاب والمهندسين الصغار والمستخدمين ما يزالون في المقهى يتناولون غذائهم على عجل في نزل عائلية يسمونها مطاعمهم ولما كانوا بحاجة الى شىء من الترف فانهم يتجهون الى هذا المقهى بعد الطعام فيحتسون القهوة ويلعبون البوكر وهم يحدثون بعض الضجة ضجة واهنه لا تزعجنى اذ عليهم هم ايضا لكى يوجدوا أن يتعددوا .

أما انا فأعيش وحيدا وحيدا كل الوحدة أنى لا أتحدث مع احد ابدا لا أتلقى شيئا ولا اعطى شيئا و" العصامى " لا حساب له . صحيح أن هناك فرانسواز صاحبة مقهى " رانديفو دى شامينو " ولكن هل اتحدث حقا ؟ إننى إحيانا أسألها بعد العشاء حين تقدم لى قدح بيرة :

- هل لديك وقت هذا المساء ؟

وهى لاتقول قط لا فأتبعها الى إحدى غرف الطابق الاول الكبيرة التى تؤجرها بالساعى أو النهار وأنا لا أدفع لها : فنحن نقوم بفعل الحب مزدوجا وهى تصيب في ذلك متعة (انها بحاجة الى رجل كل يوم ولديها آخرون غيرى) وهكذا أتظهر من بعض الكآبات التى اعرف جيدا أسبابها ولكننا لا نكاد تنبادل إلا بعض الكلمات وماجدوى ذلك ؟ إن كلا لنفسه ثم أنى أظل في نظرها قبل كل شىء زبونا من زبائن مقهاها وهى تقول لى بينما تنزع ثوبها :

- قل لى هل تعرف هذا المشهى المسمى " بريكو " ؟ لقد طلبه زبونا هذا الأسبوع ولم تكن الخادمة تعرفه فأقبلت تخبرنى : وكانا من الرحالة ولا بد أنهما شرباه في باريس ولكنى لا احب أن اشترى دون أن اعرف اذا لم يكن لديك مانع فسأحتفظ بجوربى .

حدث في الماضى – بعد أن انقضى وقت طويل على تركها إياى – أن فكرت في " أنى " أما الان فأنا لا افكر في أحد بل انا لا أهتم حتى بالبحث عن الكلمات إنها تسيل في متراوحة السرعة فأدعها تقطر من غير أن أثبت شيئا فإذا اخطأت وتعلقت بالكلمات فان أفكارى تظل معظم الوقت نوعا من الضباب إنها ترسم اشكالا مبهمه مضحكة وتغور : وسرعان ما أنساها

هؤلاء الشبان يدهشوننى : فهم يروون اذ يحتسون قهوتهم قصصا واضحة ومحملة الوقوع .

وإذا سئلوا عما فعلوا بالأمس لا يضطرون بل إنهم يطلعونك على الواقع بكلمتين ولو كنت مكانهم لتلعثت ومن الحق أن ليس ثمة من يهتم بكيفية استعمال وقتى أن من يعيش وحيدا لايعرف حتى معنى أن يروى. فان احتمال الوقوع يختفى في الوقت نفسه الذى يختفى فيه الاصدقاء والأحداث كذلك تترك لتجرى نرباناسا ينبعون فجأة وهم يتكلمون ويمضون فنغرق في قصص لا رأس لها ولاذنب : وهكذا نكون شهودا مقبتين .ولكننا تعويضا عن ذلك لانفوت كل مهو غير محتمل الوقوع كل مالا يمكن ان يصدق في المقاهى . فقد حدث مثلا يوم السبت حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر أن امرأة قصيرة ترتدى ثوبا يماويا ازرق كانت تركض القهقرى وهى تضحك وتلوح بمنديل .وفي الوقت نفسه كان زنجى يلبس مشمعا حليبي اللون وينتعل حذاء اصفر ويضع قبعة خضراء ينعطف عند زاوية الشارع وهو يصفر . ولقد صدمته المرأة في تفهقها تحت فانوس معلق بسياج يضاء في المساء . إذنفقد كان في الوقت نفسه هذا السياج الذى تنبعث منه رائحة خشب مبتل ، وذلك الفانوس وهه المرأة القصيرة الشقراء بين ذراعى زنجى تحت سماء من نار .وأنا افرض اننا لو كنا اربعة او خمسة للاحظنا الصدمة وهذه الالوان الرقيقة جميعا وذلك المعطف الجميل الازرق الذى كان يشبه لحافا من زغب والمشمع الفاتح اللون ومربعات الفانوس الحمراء وكنا نضحك من الدهشة التى كانت ترسم على هذين الوجهين الطفيليين .

ولكن يندر ان تجد رجلا وحيدا يرغب في الضحك : صحيح ان مجموع المشهد قد انتعش في نظرى بمعنى قوى بل ووحشى ولكنه نقى. ثم تفسخ فلم يبق الا الفانوس والسياج والسماء : وكان هذا ايضا جميلا بما فيه الكفاية ولكن بعد ساعة كان الفانوس مضاء والريح تنن وكانت السماء سوداء : ولم يكن قد بقى شىء على الاطلاق .

هذا كله ليس جديدا تماما هذه الانفعالات التى لاتؤذى لم ارفضها قط بل على العكس فيكفى من يريد ان يستشعرها ان يكون وحيدا بعض الشىء وحيدا بما فه الكفاية ليتخلص في اللحظة المناسبة من احتمال الوقوع .ولكنى كنت ابقى قريبا جدا من الناس على سطح الوحدة مصمما كل التصميم على ان التجيء اليهم في حالة الخطر : وهكذا كنت حتى ذلك الحين هاويا .

اما الان ففي كل مكان اشياء شبيهه بهذا القدر من البيرة القائم هناك على الطاولة وحين اراه تأخذنى الرغبة في ان اقول : كفى ! أننى اكف عن اللعب . وأنا ادرك جيدا انى مضيت ابعده مما ينبغي .

أنى ارفض ان ليس بالامكان اخذ الوحدة بعين الاعتبار . غير ان ذلك لايعنى اننى انظر فيما تحت سريرى قبل ان انام ولا انى اخشى ان ارى باب غرفتى يفتح فجأة في وسط الليل .ولكنى مع ذلك قلق :

فها قد انقضت نصف ساعة وانا اتجنب ان " أنظر " الى هذا القدر من البيرة . أننى انظر الفوق والى تحت والى اليمين والى اليسار : اما " هو " فلاريد ان اراه وانا اعلم جيدا ان جميع العزاب الذين يحيطون بى لايمكن ان يقدموا لى اية معونة : فلقد فات الاوان بأمكنى ان التجيء اليهم . سوف يأتون ليربتوا على كفى ويقولون لى : ماذا هناك هذا القدر من البيرة ؟ انه ككل الاقداح مائل الحافة وهو ذو عروة ويحمل ترسا صغيرا مع مساحة وقد كتب على الترس " سابتنبرو " وانا اعرف هذا كله ولكنى اعلم ان هناك شيئا آخر يكاد لا يكون شيئا ولكنى لا استطيع ان اشرح ما اراه . لا استطيع ان اشرحه لأحد . وهكذا : أنزلق على مهل إلى جوف الماء نحو الخوف .

أننى وحد وسط هذه الاصوات الفرحة المعقولة . إن جميع هؤلاء الأشخاص يقون وقتهم في التعبير عن آرائهم وفي الاعتراف اعترافا بهيجا بأنهم يتقاسمون الرأى نفسه . فيا للاهمية التى يعلقونها يالهى على ان يفكروا جميعهم معا في الاشياء نفسها . يكفى ان نرى سحنهم حين يمر بينهم احد هؤلاء الاشخاص ذوى العيون السمكية والذين يبدون وكأنهم ينظرون في داخلهم والذين لايمكن بعد ان يكونوا معهم على وفاق . حين كنت في الثامنة من عمرى وكنت العب في حديقة اللكسمبورغ كان ثمة واحد منهم يأتى ليجلس في مرقب قائم عند الحاجز الذى يمتد بحذاء شارع اوجست كونت . ولم يكن يتكلم ولكنه كان بين الفترة والاخرى يمد ساقه وينظر الى قدمة نظرة مذعورة . وكانت هذه القدم تنتعل حذاء بينما كانت الاخرى في بابوح . وقد قال الحارس لخالى إن ذلك الرجل كان رقيقا وقد احيل الى التقاعد لأنه كان قد جاء يقرأ العلامات الشهرية في الصفوف وهو يرتدى الثوب الاكاديمى وكنا نشعر تجاهه بخوف مريع لأننا كنا نشعر أنه كان وحيدا وقد ابتسم ذات يوم لروبير فيما كان يمد له ذراعيه من بعيد فأوشك أن يغمى على روبرير ولم يكن يخيفنا مظهر هذا الرجل البائس ولا الدمى الذى كان في رقبته وكانت ياقته

المستعارة تحكه بطرفها ولكننا كنا نشعر أنه كان يشكل في رأسه افكار عقرب او سرطان وكان يرهبنا
أن يستطيع انسان ان يشكل افكار سرطان عن المرقب وعن دواليبنا وعن الاعشاب .

هذا اذن ما ينتظرنى ؟ إنه يسئمنى للمرة الأولى ان اكون وحيدا أنى اود أن اتحدث عما يحدث

لى قبل ان يفوت الوان قبل ان اخيف الأطفال اود لو تكون أنى هنا .

عجبا : ملأت عشر صفحات ولم اقل الحقيقة – على الاقل لم اقل كل الحقيقة فاني حين كتبت

تحت التاريخ عبارة " لاجديد " انما فعلت ذلك بنيه سيئة : فالواقع ان قصة صغيرة ليست معيبة ولا
عجيبة كانت ترفض ان تخرج " لاجديد " يعجبني أن يستطيع المرء الكذب وهو يجعل الحق في جانبه
بالطبع لم يحدث شيء جديد اذا صح التعبير : وإنما حدث هذا الصباح في الساعة الثامنة والرابع اذكنت
خارجا من فندق برنتانيا لأتجه الى دار الكتب أن اردت التقاط ورقة كانت ملقاه على الارض فلم استطع
هذا كل شيء وهو ليس حتى حادثا نعم ولكنى اضيف لكى اقول الحقيقة كلها أنى تأثرت لذلك بالغ التأثير
: فلقد فكرت بأنى لم أكن حرا وفي دار الكتب حاولت بلا نجاح أن اتحرر من هذه الفكرة وارادت ان
اهرب منها الى مقهى مابلى وكنت أمل ان تتلاشى تحت الاضواء ولكنها ظلت قابضة هنا في نفسى ثقيلة
ومؤلمة وهى التى أملت على الصفحات السابقة .

لماذا ترانى لم أتحدث عنها ؟ لا بد أن ذلك كان بدافع الكبرياء وكان أيضا الى حد ما بدافع
الخرق والارتباك لم أعتد أن أروى لنفسى ما يحدث لى ولذلك لا أجد ثمانية تسلسل الأحداث ولا أميز ماهو
هام ولكن الأمر انتهى الآن قرأت ماكنت أكتبه في مقهى مابلى فشعرت بالخجل لا أريد أسرارا ولا
حالات نفسية ولا مالا يمكن أن يعبر عنه فأنا لست بكرا ولا كاهنا حتى ألعب لعبه الحياة الداخلية .
ليس عندى كثير أقوله لم استطع ان التقط الورقة هذا كل شيء .

احب كثيرا أن التقط حبات الكستناء والخرق القديمة ولاسيما الاوراق يلذنى أن اخذها وأن اغلق
يدى عليها وأوشك أن احملها الى فمى كما يفعل الاطفال وكانت أنى تدخل في الوان بيضاء من الغضب
حين كنت ارفع اطراف اوراق ثقيلة ضخمة ولكنها على الارجح ملطخة بالخراب . الانسان غالبا ما يجد

في الحدائق في الصيف أو مطلع الخريف قصاصات جرائد سلققتها الشمس فغدت جافة قابلة للكسر
كالأوراق الميتة مصفرة جدا حتى يظن أن حمض البكريك قد دخلها وفي الشتاء توجد أوراق اخرى وقد
دقت وسحقت ولطخت فهي تعود الى الأرض : وأوراق اخرى جديدة بل ولا معة شديدة البياض خافقة
تنتصب كالأوز ولكن الارض تكون قد دبقتها من الاسفل فاذا هي تتلوى وتنتزع نفسها من الوحل ولكنها
ما تلبث أن تذهب فتسطح نهائيا على بعد يسير هذا كله لذيد أن يلتقط وقد اكتفى احيانا بجسها وأنا انظر
اليها عن كثب و احيانا اخرى امزقها لأسمع خشختها الطويلة أو أشعلها اذا كانت رطبه جدا مما لا يتم بلا
جهد ثم أمسح راحتي الممتلئتين وحلا بجدار أو بجذع شجرة .

إذن كنت اليوم انظر الى حذاء اشقر ينتعله ضابط في الفرسان كان خارجا من الثكنه واذا كنت
اتابع الحذاء بنظري رايت ورقه جائمة بالقرب من مستنقع . وحسبت أن الضابط سيسحق بنعله الورقة في
الوحل ولكن لا : لقد تخطى بخطوة واحدة الورقة والمستنقع . واقتربت : كانت صفحة كاملة لاشك في
أنها منتزعة من دفتر مدرسة وكان المطر قد بللها ولواها وكانت مغطاه بالتجعدات والتورم كيد محترقة
وكان خط الهامش الاحمر قد حال الى ندى وردي وكان الحبر قد سال في عده امكنه وكان اسفل الورقة
ضائعا تحت قشرة من الوحل انحنيت تأخذني الفرحة أن امس هذه العجينة الطرية النضرة التي ستندرج
تحت اصابعى في كريات رمادية ولم استطع .

وظللت لحظة منحنيا وقرأت " إملاء : البوم الأبيض " ثم استقمت خالى اليدين أننى لست بعد
حرا لا استطيع بعد أن افعل ما أريد . الاشياء ينبغى الا " تلمس " مادامت لاتعيش اننا نستعملها ونضعها
في أماكنها ونعيش وسطها : إنها نافعة لا اكثر أما انا فهي تلمسنى : وهذا لا يطاق أخاف ان اتصل بها
كما لو انها كانت حيوانات حية .

اننى الآن ارى أتذكر افضل من ذى قبل ما شعرت به ذلك اليوم عند شاطئ البحر حين كنت
ممسكا بتلك الحصاة كان ذلك لونا من الاشمئزاز الذيد وما كان اكرهه وانا علي يقين من ان ذلك كان
صادرا عن الحصاه وكان ينتقل من الحصاه الى يدي اجل هذا هو الأمر هوذا : نوع من " الغثيان " في
يدي .

صباح الخميس في دار الكتب

حين كنت اهبط درج الفندق الساعة سمعت لوسى تتقدم للمرة المئه بشكواها الى صاحبة الفندق فيما هي تمسح الدرجات وكانت صاحبة الفندق تتكلم في جهد وبعبارات قصيرة لأنها لم تكن قد حصلت بعد على طقم أسنانها المستعار وكانت عارية تقريبا في روب ديشامبر وردى وبابوج وكانت لوسى قذرة على عاداتها وكانت بين الحين والآخر تتوقف عن الدلك وتتنصب على ركبتها لتتنظر الى سيدتها وكانت تتكلم بلا انقطاع وبلهجة متعقلة فتقول :

- افضل مئه مرة أن يركض إن هذا لدى سواء مادام ذلك لايلحق به ضررا

وكانت تتحدث عن زوجها : كانت هذه المرأة القصيرة السمراء ذات الشعر الأسود بما وفرته من مال قد أتخذت لها وهي في الاربعين من عمرها شابا فاتنا يعمل محكما في " مصانع لوكوانت " أنها شقيه في زواجها ولم يكن زوجها يضربها أو يخونها : وإنما كان يشرب وكان يعود ثملا كل مساء وكان سىء الصحة ولقد رأيتة في ثلاثة اشهر يمتقع ويذوب وتعتقد لوسى أن السبب في ذلك هو الخمر بينما أنا ارجح انه مسلول وكانت لوسى تقول : - يجب أن اتغلب على هذا الشقاء

وانا على يقين من أن ذلك يتأكلها ولكن على مهل وفي صبر وتغلبت ولكنها ليست قادرة على ان تتعزى ولا على أن تستسلم لمصيبتها وهي تفكر في ذلك قليلا قليلا جدا من هنا ومن هناك وتتطفل عليه ولاسيما حين تكون مع الناس لنهم يعزونها ولأنه يسليها قليلا أن تتحدث بلهجة حاسمة وفي ظاهر من اعطاء النصح واذ تكون وحيدة في الغرف اسمعها تدمدم لتتجنب التفكير ولكنها طوال النهار ضجرة وسريعا ما تبدو عابسة متعبة فتقول وهي تلامس حنجرنها :

- الامر هنا يكاد يخفنى

انها تتألم كالبخلاء ولا بد انها بخيلة بالنسبة لمباهجها وانا أتساءل عما إذا لم تكن تتمنى احيانا ان تتحرر من هذا الألم الرتيب من هذه الهمهمات التي تعود ما ان تكف عن الغناء عما إذا لم تكن تتمنى أن تتألم مرة واحدة أن تغرق في اليأس ولكن ذلك بأى حال سيكون محالا عليها : انها معقدة .

بعد ظهر الخميس

" كان السيد دورولبون فبيحا للغاية وكان يروق الملكة انطوانيت أن تدعوه بـ " قردتها العزيزة " ولكن كانت له مع ذلك جميع نساء البلاط لا بطريقة المزاح كمان كان يفعل " فوازنون " القرد : وانما بجاذبية كانت تدفع انتصاراته الجميلة الى ابعد حدود الهوس أنه يحبك الدساتس ويمثل دورا مربيا في قضية " العقد " ثم يختفى عام ١٧٩٠ بعد أن يكون قد عقد تجارة متصله مع ميرابو – تونو ونيرسيا ثم يعثر عليه في روسيا حيث يغتال بول البول ومن ثم يسافر الى ابعد البلاد الى الهند والصين وتركستان وهو يعمل في التهريب والتأمر والتجسس . وفي عام ١٨١٣ يعود الى باريس فيبلغ في عام ١٨١٦ اعظم السلطة والقدرة حين يصبح الأمين الوحيد لأسرار دوقه انفوليم وكان هذه المرأة العجوز ذات الأهواء الغريبة والتي كانت تستند الى ذكريات طفولة فظيعة تهدأ وتسكن وتبسم حين تراه وكان هو يستغلها لينشر المطر او الطقس الجميل في البلاط وفي مارس ١٨٢٠ تزوج الانسة دورولبون وكانت جميلة جدا وفي الثامنة عشرة من عمرها وكان السيد دورولبون قد بلغ السبعين انه في قمه المجد وفي ذروة حياته وبعد سبعة اشهر اتهم بالخيانة فقبض عليه والقي في زنانه حيث مات بعد خمسة اعوام في السجن من غير ان تجرى محاكمته "

أعدت قراءة هذا المقطع لجرمين بيرجيه في كآبه عرفت السيد دورولبون أول ما عرفتته من خلال هذه الاسطر وكم بدا لى فاتنا وكم احببته بعد ذلك في أعقاب هذه الكلمات القليلة وإنما أنا هنا من اجله هو من اجل هذا الرجل الصغير البسيط حين عدت من السفر كان بوسعى ان أستقر في باريس أو في مرسيليا ولكن معظم الوثائق التي تتعلق باقامة المركز الطويلة في فرنسا انما هي موجودة في مكتبة بوفيل البلدية وكان رولبون صاحب قصر في " ماروم " وقبل الحرب كان ما يزال على قيد الحياة في هذه الضيعة احد احفاده وهو مهندس معمارى يدعى رولبون – شامبويريه وحين مات عام ١٩١٢ قدم

إرثا هاما جدا لمكتبة بوفيل : رسائل من رسائل المركيز ومقتطفات من يومياته وأوراقا مختلفة لم اطلع بعد عليها كلها .

وأنى لسعيد بأن اعثر على هذا النص مرة ثانية فما قد انقضت عشرة اعوام لم اعد فيها قرائتها ويخيل الى ان خطى قد تغير فكننت اكتب الكلمات بطريقة اكثر تلاصقا وكم كنت احب السيد دورولبون في تلك السنة وانى اتذكر ذات مساء – مساء ثلاثاء كنت قد عملت طوال النهار في " المازارين " وكننت قد ادركت عبر مراسلاته عامى ١٧٨٩ - ١٧٩٠ كيف خدع نيرسيا بطريقة عظيمة كان الليل قد هبط وكننت اهبط طريق " دومين " وعند زاوية شارع " دولاجيته " اشتريت كستناء هل كنت سعيدا ؟ كنت اضحك وحدى وانا اتمثل سحنه نيرسيا حين عاد الى المانيا اما وجه المركيز فشبيه بهذا الحبر لقد اصفر كثيرا منذ ان اخذت اهتم به .

فبادىء الأمر كفتت عن ان افهم شيئا من سلوكه ابتداء من عام ١٨٠١ وليس سبب ذلك قله الوثائق فان الرسائل ومقتطفات المذكرات والتقارير السرية واضيارات الشرطة متوفرة اكثر مما ينبغى وانما الذى يعوز هذه الشواهد كلها الحزم والكثافة لا انها غير متناقضة ولكنها غير متوافقة كذلك وهى تبدو وكأنها لاتخص الشخص نفسه ومع ذلك فان المؤرخين الاخرين يشتغلون على معلومات من النوع نفسه فكيف تراهم يفعلون ؟ أأكون احرص منهم على الدقة أم اكون اقل منهمم ذكاء ؟ والحق ان السؤال مطروحا على هذا النحو يخلفنى باردا تماما فما الذى ابحت عنه في نهاية المطاف ؟ لا أدرى من ذلك شيئا إن رولبون الرجل كان مده طويلة اشد إثارة لاهتمامى من الكتاب الذى ينبغى ان اكتبه ولكن الرجل الان ... الرجل بدأ يضجرنى وانا متعلق الآن بالكتاب واحس حاجة لكتابته تقوى شيئا فشيئا على قدر ما اشىخ كما يخال .

يمكن الاقرار طبعا بأن رولبون قد أسهم إسهما فعالا في اغتيال بول الاول وانه قبل بعد

ذلك مهمه تجسس عليا في الشرق لحساب القيصر وانه خان بلا انقطاع الكسندر لحساب نابليون ولقد

استطاع في الوقت نفسه ان يعقد مراسله ناشطة مع الكونت دارتوا وان ينفذ اليه معلومات قللة الاهمية

ليقنعة باخلاصة وليس في هذا كله ماهو غير محتمل الوقوع فقد كان فوشيه في العهد نفسه يمثل ملهاه
لاتقل تعقيدا وخطرا وربما كان المركز ايضا يقوم لحسابه بتجارة البنادق مع الامارات الاسيوية
اجل لقد استطاع ان يقوم بهذا كله ولكن الامر غير ثابت بدأت اعتقد انه ليس بوسع المرء ان
يثبت شيئا على الاطلاق انها افتراضات تنبىء عن الاحداث ولكن شعورى بأنها صادرة عنى هو من
العمق بحيث تصبح بكل بساطة طريقة لتوحيد معلوماتى فليس ثمة ضوء واحد يجىء من جانب رولبون
إن الاحداث ببطئها وكسلها واضجارها لاتفعل الا ان تنسجم مع الاتجاه الذى اود ان امنحها إياه ولكنها
تظل خارجية عنه وانا احسب أنى اقوم بعمل محض خيالى .

بل انا متأكد جدا من ابطال رواية ماسيكونون اكثر حقيقية وعلى اى حال سيكونون ابعث على
الرضى والاستحسان

الجمعة

الساعة الثالثة والساعة الثالثة هى دائما قبل الاوان او بعده بالنسبة لكل مايريد المرء ان يعمله
لحظة عجيبة من لحظات ما بعد لظهر وهى اليوم شىء لا يحتمل
ان شمس باردة تبيض غبار زجاج النوافذ سماء صفراء يخالطها البياض ولقد كانت السواقي
مجلدة هذا الصباح

أننى اهضم هضما ثقيلًا بالقرب من الموقد وانا اعلم مقدما ان النهار ضائع لن أفعل شيئا صالحا
إلا حين يهبط الليل ربما وهذا من جراء الشمس إنها تذهب بغموض غيوما قدرة ببيضاء معلقة في الهواء
فوق الورشة وتسيل في غرفتى ممتنعة شقراء وتبسط على طاولتى أربعة أشعة كابية ومزيفة .

غليونى مطلى ببرنيق مذهب يجذب النظر أولا بظاهر من المرح فالمرء ينظر اليه فيذوب
البرنيق ولا يبقى غير خط طويل شاحب على قطعه من خشب وكل شىء هكذا كل شىء كتى يداى

إن أفضل ما يعمله المرء حين تطلع مثل هذه الشمس أن يذهب فينام غير أنى نمت كالحیوان في

الليلة الماضية وليس بی من نعاس

لكم أحببت سماء الأمس سماء ضيقة مسودة بالمطر كانت تندفع الى زجاج النوافذ كوجه مضحك

ومؤثر أما هذه الشمس فليست مضحكة بل على العكس فعلى كل مأحبه على صدأ الورشة وعلى لوحات

السياج المتهرئه يسقط نور بخيل عاقل شبيه بنظر يلقيه المرء بعد ليله لانوم فيها على القرارات التي

اتخذها عشيه الأمس بحماسة أو على صفحات كتبها دفعه واحدة ومن غير شطب أو حذف إن المقاهي

الأربعة لطريق فيكتور – نوار تلك المقاهي التي تشع ليلا جنبا الى جنب والتي هي اكثر من مقاه –

أحواض أو قوارب أو نجوم او عيون كبيرة بيضاء – قد فقدت جمالها المبهم .

يوم ممتاز ليقوم المرء بارتداد على نفسه : إن هذه الاضواء الباردة التي تلقيها الشمس على

المخلوقات كأنها حكم لارحمة فيه – تدخل في عن طريق العينين فأنا مضاء من الداخل بنور مفقر وأنا

على يقين من أن ربع ساعة سيتكون كافية لأبلغ الحد الأقصى من الأشمزاز من نفسى وهذا ما لا

أحرص عليه أبدا ولن أقرأ ثانية ما كتبته أمس عن إقامة رولبون في سان بترسبورج أننى ابقى جالسا

مرتخى الذراعين أو أخط بضع كلمات من غير حماسة أو أثنائب أو انتظر أن يهبط الليل وحين يسود

الظلام سأخرج أنا والاشياء من الغموض .

هل شارك رولبون أم لا في اغتيال بول الأول ؟ تلك هي قضية اليوم ولقد وصلت إلى هذه

النقطة وليس بوسعى أن استمر قبل أن اقرر

أن " تشيركوف " يعتقد بأن رولبون كان مأجورا من الكونت باهلن وهو يقول إن معظم

المتأمرين على اكتفوا باسقاط القيصر وحبسه (والواقع أن الاسكندر كان يبدو موافقا على هذا الحل)

ولكن باهلن كان يود ان ينتهى تماما من بول ويعتقد أن السيد دورولبون قد كلف بتحريض المتأمرين

شخصيا على القتل .

زار كلا منهم وكان يمثل الحادثة التي سنتع بمقدرة لاتضاهى وعلى هذا النحو ولد لديهم أو نمى جنون القتل .

ولكنى أحذر تشيركوففليس هو شاهدا عاقلا وإنما هو مجوسى سادى ونصف مجنون : يحول كل شىء الى شيطانى وانه ليستحيل على تصور السيد دورولبون في هذا الدور الميلودرامى مثل حادثة القتل ؟ كفى كفى أنه بارد وهو لا يغرى بالعداى لا يرشد بل يوحى ولا تستطيع طريقته الممتعه التى لالون لها أن تنجح إلا مع أناس من طينته دساسين او سياسيين .

كتبت السيدة دوشاريير تقول : " لم يكن اديمار دورولبون يرسم قط وهو يتكلم ولم يكن يقوم بالحركات ولم يكن يغير لهجة صوته وكان يحتفظ بعينيه نصف مغلقتين ونادرا ما يرى المرء بين أجفانه الطرق الاقصى من حدقتيه الرماديتين لقد مضى على أعوام قصيرة منذ جرؤت على أن اصارح نفسى بأنه كان يضجرنى الى أبعد حد ممكن كان يتكلم على نحو ما كان الأب مابلى يكتب " .

وهذا هو الرجل الذى كان بموهبته في التقليد ..ولكن كيف تراه كان يغوى النساء ؟ ثم إن هناك هذه القصة الغريبة التى يرويها " سيجور " والتى تبدو لى حقيقية :

" في عام ١٧٨٧ كان رجل عجوز هو صديق لديدرو وقد تتقف على أيدى الفلاسفة كان يحتضر في خان بالقرب من " مولين " وكان كهنه المناطق المجاورة قد بلغوا حد الأرهاق بعد أن حاولوا كل شىء عبثا كان الرجل يرفض أن يتناول الاسرار الاخيرة وكان يؤمن بألوهيه الكون ومر السيد دورولبون وكان لا يؤمن بشىء فتراهن مع كاهن " مولين " أنه لا يحتاج الى اكثر من ساعتين ليعيد المحتضر الى مشاعرة المسيحية وقبل الكاهن الرهان وخسر فقد بدأ اقناع المحتضر عند الساعة الثالثة صباحا واعترف عند الساعة الخامسة ومات عند السابعة وسأل الكاهن " أتبلغ هذا الحد من قوة الحجة والنقاش ؟ إنك تبذ رجالنا ! " فأجاب السيد دورولبون " أننى لم اناقشة او احجه وأنا خوفته من الجحيم " والآن اتراه قد شارك مشاركة فعلية في القتل ؟ لقد صحبه ضابط من اصدقائه ذلك المساء حوالى الساعة الثامنة الى باب منزله فاذا خرج منه ثانية فكيف اجتاز سان -بتروسبورج من غير ان يقلق ؟

كان بول وهو نصف مجنون قد اصدر امره بأعتقال جميع المارة ابتداء من الساعة التاسعة مساء ماعدا القابلات والاطباء فهل ينبغي تصديق الاسطورة اللامعقوله التى تقول إن رولبون قد تنكر في ثياب قابلة حتى يبلغ القصر ؟ الحق انه كان بعد كل حساب حريا بذلك ومهما يكن من أمر فإنه لم يكن في بيته ليله الاغتيال وهذا يبدو مبتوتا فيه ولا بد أن الاسكندر قد ارتاب فيه بقوه اذ ان احد اعماله الاولى حين تسلم السلطة كان ان ابعده المركز بحجه ارسالي في مهمه الى الشرق الاقصى .

إن السيد دورولبون يقتلنى ضجرا وأنا انهض واتحرك في هذا النور الشاحب وانى اراه يتغير على يدي وعلى اكام سترتي وانا لا استطيع ان اعبر عن مدى اشمئزاضى منه انى اتشاءب واضىء المصباح الكهربائى على الطاولة فلعل نوره يستطيع ان يهزم نور النهار ولكنى لا : إن قصارى ما يستطيعه المصباح هو ان يحدث حول قاعدته مستنقعا يثير الشفقة واطفئه وانا انهض وارى في الجدار تقبا ابيض انه المرآه إنه شرك وانا اعلم إنى سأتداعى للسقوط فيه لقد ثم الأمر فقد بدا الشىء الرمادى في المرآه واقترب فأنظر اليه ويستحيل على بعد ذلك الذهاب .

إنه انعكاس وجهى وغالبا ما ابقى لأتأمله في هذه الصباحات الضائعة وأنا لا افهم شيئا منه هذا الوجه إن لوجوه الآخرين معنى أما وجهى فلا بل أنا لااستطيع ان اقرر هل هو جميل ام قبيح أعتقد انه قبيح لأنهم قالوا لى ذلك ولكن ذلك لا يثير استغرابى بل يصدمنى في الحقيقة أن يستطيعوا يعزوا له صفات من هذا النوع كما لو كانوا يصفون بالجمال او القبح قطعه ارض او كتله من الصخر .

على ان هناك مع ذلك شيئا تروق رؤيته فوق منطقه الخدين الطريه فوق الجبين: ذلك هو هذا الشعاع الأحمر الذى يذهب صلعتى إنه شعرى ان هذا يروق للنظر لون واضح على الاقل فأنا مسرور بأن أكون احمر اشعر وهذا : في المرآة يرى ويشع أننى محظوظ رغم كل شىء فلو كان جبينى يحمل شعرا كذلك الذى لا يوفق في التصميم الكستنائى والأشقر فان وجهى كان يضيع في المبهم وكان يعود على بالدوار .

نظري يهبط ببطء وفي ملل على هذا الجبين وهذين الخدين : لا يلتقي شيئا صلبا بل يميع كما لو انه يغرق في رمل هناك طبعا انف وعينان وفم ولكن هذا كله لامعنى له حتى ولا تعبير انساني ومع ذلك كانت آنى وفيلينتجان هيئتى حيه فمن الممكن ان اكون ألقيت وجهى اكثر مما ينبغى وكانت عمتى " بيجوا " تقول اذ كنت صغيرا " اذا افرطت في النظر الى نفسك في المرآه فسوف ترى فيها قردا " ولا بد أنى نظرت وقتا أطول ايضا ومأراه هو ما تحت القرد " عند تخوم العالم النباتى على مستوى المرجلات أنا لا انك ران في ذلك حياة ولكن أنى تفكر بمثل هذه الحياة : فأنا أرى ارتعاشات خفيفة وأرى لحما تفها يتفتح ويخفق في استسلام ولاسيما العينان انهما عن قرب فظيعتان زجاجيتان : مائعتان ، عمياوان يدهما الاحمرار فكأنهما حراشف السمك .

استند بكل ثقلى على حافة الخزف وادنى وجهى من المرأة حتى لألمسها وتختفى العينان والانف والفم ولا يبقى ماهو بشرى قط تجعدات سمراء عند كل جانب من انتفاخ الشفتين المحموم تشفقات جثوات إن زغبا حريريا ابيض يركض عل منحدرات الخدين الكبيرة وشعرتين تخرجان من المنخرين : أنها خارطة جيولوجية بارزة الخطوط وبالرغم من كل شىء فان هذا العالم القمري مألوف عندى أنا لا استطيع القول أنى " أتعرف " الى تفاصيله ولكن مجموعة يعطينى انطبعا لما " سبقت رؤيته " يعود على بالخدر فأنسل على مهل الى النوم .

اود أن استعيد السيطرة على نفسى وان احساسا حيا وحاسما كفيل به ان يحررنى واطبق يدى اليسرى على خدى واشد على الجلد واغضن وجهى فيستسلم نصفه بينما يلتوى نصف القم الايسر وينتفخ وهو يكشف سنا من اسنانى وينتفتح المحجر عن كرة بيضاء على بشرة ورديه نازفه وليس هذا ماكنت ابحت عنه : فليس ثمة من شىء بارز ولا من شىء جديد وإنما هناك ماهو عذب فضفاض سبقت رؤيته وأنام مفتوح العينين ويكون الوجه قد بدأ يكبر ويكبر في المرآه فاذا هو هالة ضخمة شاحبة تنزلق في النور ..

وما ايقظنى فجأة هو انى اضعت التوازن فاذا بى اجد نفسى راكبا كرسيا وانا ما زال مصابا بالدوار هل يبذل سائر الرجال مثل هذه المشقة ليحكموا على وجوههم ؟ يخيل الى انى ارى وجهى كما

احس جسدى باحساس عضوى أصم والآخرين؟ رولبون مثلا؟ أكان ينميه أيضا أن ينظر في الرايا الى
ماكانت السيدة دوجانلى تسميه " وحهه الصغير المجعد النظيف الواضح المنقوض بالجرى حيث كان
يكنم خبث فريد يقفز الى العينين أيا كان الجهد الذى يبذله من أجل إخفائه؟ " وتضيف قائلة: " كان
يهتم بالغ الاهتمام برأسه وانا لم أراه قط من غير شعر مستعار ولكن خديه كان في زرقه تميل الى
السواد لأنه كان ذا ذقن كثيفة وكان يحرص على ان يحلها بيده وكان هذا رديئا جدا وكان معتادا ان يلطخ
وحهه بأبيض الاسفيداج على غرار " جريم " وكان السيد دودانجيل يقول انه بهذا الابيض كله والازرق
كله كان يشبه قطعة من جبن " روكفور " .

ويخيل الى انه كان ولا بد حسن المنظر ولكنه لم يبد كذلك في اخر المطاف للسيدة دوشاريير فأنا
احسب انها كانت تجده بالأحرى شاحبا وربما كان محالا على المرء ان يفهم وحهه بالذات او لعل ذلك
لأنى انسان متوحد؟ لقد تعلم الاشخاص الذين يعيشون في المجتمع ان يروا انفسهم في المرايا كما يبدون
لاصدقائهم اما انا فليس لى من اصدقاء: أمن احل ذلك يبدو لحمى عاريا الى هذا الحد؟ لكأنها - اجل
لكأنها الطبيعة بلا بشر .

ليس لى رغبة بعد في العمل ولايمكننى ان افعل شيئا بعد الا ان انتظر الليل .

الخامسة والنصف

الوضع سىء! سىء جدا: فانا اشعر بها وتلك القذارة ذلك " الغثيان " وهو شىء جديد هذه المرة
: أصابنى وأنا في مقهى. كانت المقاهى حتى الآن ملاذى الوحيد لأنها ملاءى بالناس ومضاعة جيدا:
فحتى هذا لن يتوفر لى بعد الآن وحين سأكون مطاردا في غرفتى لن اعلم انى اذهب .

كنت قد جننت للمضاجعة ولكنى ماكدت ادفع الباب حتى صاحت بى مادلين الخادمة:

- صاحبة الفندق غير موجودة فهى في السوق تبتاع حاجاتها . واحسست بخيبة شديدة في

عضوى دغدغة طويلة مزعجة وفي الوقت نفسه. كنت احس قميصى الذى كان يحك طرف ثدى فكنت

محاظا ومأخوذا بدوامة بطيئة ملونه دوامة من ضباب من اضواء في الدخان في المرايا مع المقاعد الصغيرة التي كانت تلتصق في الداخل لم اكن ارى لماذا حدث ذلك هناك ولا كيف حدث كذلك وكنت على عتبه الباب مترددا ثم حدث اندفاع فمر ظل في السقف واحسستنى مدفوعا الى امام كنت عائما وكنت دائخا بالضباب المشع الذى كان يدخل في من كل منفذ وجاءت مادلين عائمة تنزع سترتى فلاحظت انها قد سرحت شعرها الى خلف وحلت اذنيها بأقراط : حتى اننى كدت انكرها وكنت انظر الى خديها الكبيرتين اللذين كانا لا يكفان يتمددان نحو الاذنين وكان في تجويف الخدين تحت الوجنتين لطختان ورديتان منعزلتان يبدو انهما ضجرتان على تلك البشرة المسكينة كان الخدان يمتدان يمتدان نحو الاذنين وكانت مادلين تبتسم :

- ماذا تأخذ ياسيد انطوان ؟

واذ ذلك أصابنى " الغثيان " فتداعيت للسقوط على المقعد الصغير ولم اكن اعرف حتى اين كنت وكنت ارى الالوان تدور حولى على مهل وكانت بى رغبة للتقيؤ وهكذا منذ ذلك الحين لم يتركنى الغثيان إنه يستولى على دفعت. ورفعت مادلين صحنى وسحقت كأسى على البلاط بركة من البيرة الصفراء حيث عامت فقاعة وكان المقعد مبقورا في المكان الذى اجلس فيه فكنت مضطرا حتى لا أنزلق أن اشد نعلي بقوة على الارض الطقس بارد والى اليمين يلعب بعضهم الورق على سجادة من صوف وانا لم ارهم حين دخلت وكل ماشعرت به انه كان ثمة رزمة دافئة نصفها على المقعد الطويل ونصفها على الطاولة الداخلية مع ازواج من الازرع التى تتحرك وبعد ذلك جانتهم مادلين بالورق والطنفسه والقسائم في صحيفة إنهم ثلاثة او خمسة لا أدرى فأنا لا أملك الجرأة للنظر اليهم . إن لى نابضا مكسورا : بوسعى أن احرك عيني لا رأسى إن الرأس طرى كله مطاط فكأنه موضوع وضعا على رقبتى فاذا أدرتة فأنى اوشك أن اسقطه ومع ذلك فأنى اسمع تنفسا قصيرا وارى بطرف عيني بين الحين والآخر لمعا محمرا يغطيه شعر ابيض إنها يد .

حين تكون صاحبة الفندق في السوق يحل محلها على المشرب ابن عمها وكان اسمه أدولف وقد

بدأت انظر اليه وأنا اجلس واستمررت لأتنى لم اكن استطيع ان أدير رأسى وكان يلبس قميصا قصير

الأكمام مع رافعتين بنفسجيتين وقد لف أكمام قميصه الى مافوق المرفق أما رافعتا البنطلون فهما تكادان لاتريان على القميص الازرق فهما ممحوتان غارقتان في الزرقة ولكن ذلك من قبيل التواضع الكاذب : فهما بالفعل لاتتركان مجالا لأن تنسيا وهما تزعجاني بعنادهما الخرافي كما لو انهما بعد ان قررتا ان تصبحا بنفسجيتين توقفنا في الطريق من غير ان تتخيليا عن ادعاءاتهما إن المرء لتأخذه الرغبة في ان يقول لهما : " هيا ! " إصبحا بنفسجيتين وليته الأمر ولكن لا انهما بتقيان معلقتين معاندتين في جهدهما غير الناجز احيانا تنزلق الزرقة التي تحيط بهما فتغطيها تماما : فأظل لحظة لا أراها ولكن تلك لاتكون الا موجه فان الزرقة لاتلبث ان تشجب هنا وهناك وأرى من جديدجزرا صغيرة من بنفسج متردد تتسع وتتصل فيما بينهما لتعيد تكوين الرافعتين وليس لابن العم ادولف عينان : فأجفانه المتورمة المثمرة لاتفعل الا ان تفتتح قليلا على بياض وهو يبتسم ابتسامة ناعسة وبين حين وآخر يشخر قليلا ويبح ويتخبط بضعف ككلب يحلم .

كان قميصه القطنى يبرز بفرح فوق جدار بلون الشوكولا إن هذا ايضا يعود بشعور " الغثيان " او بالاحرى الغثيان نفسه إن " الغثيان " ليس في : فأنا احسه " هناك " على الجدار على الرافعتين حولي في كل مكان فليس هو والمقهى إلا شيئا واحدا انما انا الذى فيه .

والى يمينى تأخذ الرزمة الدافئة في الضجيج وتحرك ازواج أذرعها

- عجبا هاهو ذا " الاتو " ماهو " الاتو " ؟

صلب كبير اسود منحن على اللعبة

- ها ها ها !

- ماذا ؟ هذا هو " الاتو " لقد لعبه

- لا أدرى لم أر ...

- بلى لقد لعبت الان " الاتو "

- آه حسنا إذن " أتو " القلب

واخذ يغنى

- " أتو " القلب أتو القلب أتو القلب !

صوت : - ما هذا ياسيدي ؟ ما هذا ياسيدي؟ أننى أخذه !

ويسود الصمت من جديد - مذاق سكر الهواء في جوف فمى الروائح الرافعتان .

ونهض ابن العم فخطا بضع خطوات ووضع يديه خلف ظهره وابتسم ورفع رأسه وانقلب الى
خلف على رأس عقبيه إنه على هذا الوضع يستنيم أنه هنا يترنح وهو مايزال يبتسم وخداه يرتجفان .

يوشك أن يسقط ينحنى ، ينحنى ، ينحنى ووجهه مستدير كليا نحو السقف واذ يوشك ان يسقط
يستدرك نفسه بحذق على طرف المشرب وسترد توازنه وبعد ذلك يعيد الكرة ويأخذنى الضجر فأنادى
الخدامة

- مادلين ضعى لى لحنا على الفونوغراف من لطفك الذى يعجبني تعرفينه " بعض هذه الايام "
- نعم لكن ذلك قد يزعج هؤلاء السادة هؤلاء السادة لا يحبون الموسيقى حين يكونون مستغرقين في
اللعب آه ! سأسألهم

- واقوم بجهد كبير فأدير رأسى انهم اربعة وتنحنى على عجوز ارجوانى يضع على ارنبه انفه
نظارة تحيط بها دا ئرة سوداء انه يخفى اوراقه على صدره ويرمينى بنظرة تحتية .

- إفعل ماتريد ياسيد

ابتسامات اسنانه متهرئه وليس هو صاحب اليد الحمراء وانما صاحبها جارة وهو رجل ذو شارب اسود وصاحب الشارب هذا يملك منخرين هائلين بوسعهما ان يضخا الهواء لأسرة برمتها وهما يأكلان نصف وجهه ولكنه مع ذلك يتنفس من فمه وهو يلهث قليلا وان معهما ايضا شابا ذا رأس كلبى وانا لا اتميز اللاعب الرابع .

كان الورق يسقط على سجادة الصوف وهو يدوم ثم تأتي ايد ذات اصابع بخواتم فتلتقطه وهي تحك السجادة بأظافرها وكانت الايدي تحدث لطخات بيضاء على السجادة وهي تبدو منتفخة مغبرة وكان الورق يسقط باستمرار والايدي تروح وتجيء اى انشغال عجيب انه لا يبدو في مظهره لعب ولا ضحك ولا عاده واعتقد انهم انما يقومون بذلك ليمأوا الوقت ولكن الوقت اعرض مما يبغى فهو لا يدع لهم ان يملأوه ان كل ما يغمس فيه يميع ويتمطى فحركة اليد الحمراء هذه مثلا التى تلتقط الورق وهي تتعثر : انها حركة خرعة تماما ينبغى فتحها والتفصيل في داخلها .

وتدير مادلين محرك الفونوغراف المهم الا تخطيء فتضع كما وضعت في المرة السابقة لحن " كافاليريا روستيكانا " ولكن لا إنه اللحن المطلوب وانى لأعرفه منذ الانغام الاولى أنه " راج - تايم " قديم مع لازمة مغناه وقد سمعت عام ١٩١٧ جنودا اميريكيين يغنونه في شوارع لاروشيل ولا بد ان تاريخه يعود الى ما قبل الحرب ولكن التسجيل احدث عهدا ومهما يكن من امر فنه اقدم اسطوانات المجموعة اسطوانه " بانيه " ذات ابرة ياقوتيه .

عما قليل تأتي اللازمة : انها هى التى احبها خاصة والطريقة الوعرة التى تتقذف بها الى امام كجرف تجاه البحر أن " الجاز " هو الذى يعزف الان ليس ثمة غناء وانما انغام عشرات الآلات من الانتفاضات الصغيرة انها لاتعرف راحة فان نظاما صارما يولدها ويهدمها من غير ان يترك لها ابداء وقتا تستدرك فيه نفسها تعيش فيه لحسابها انها تركض وتتدافع فتضربنى لدى مرورها ضربه جافة وتتلاشى وانا اود كثيرا ان امسك بها ولكنى اعلم انى اذا نجحت في ايقاف احداها فلن يبقى بين اصابعى الا لحن متراخ ضعيف فينبغى ان اقبل موتها بل على ان " اريده " هذا الموت : فقليله هى الانطباعات التى اعرفها في مثل هذه المرارة والقوة .

بدأت أذفاً واحسنى سعيدا وليس ذلك بعد شيئا عظيما فهي سعادة " غثيان " صغيرة تتمدد في

اعماق المستنقع اللزج في اعماق " زمننا " - زمن الرافعات البنفسجية والمقاعد المبقورة - وهي مصنوعة من لحظات عريضة رخوه تكبر لدى اطرافها بشكل لطخات الزيت وهي ماكادت تولد حتى شاخت ويخيل الى انى اعرفها منذ عشرين سنة .

وهناك سعادة اخرى : فثمه في الخارج تلك اللفافة الفولاذية وقت الموسيقى القصير الذى يخترق زمننا من جهه الى اخرى ويرفضه ويمزقه بأسنانه الصغيرة الحادة ان هناك زمنا اخر .

- السيد راندو يلعب القلب وانت تضع الواحد

ينزلق الصوت ويختفى لاشيء يعرض على شريط الفولاذ لا الباب الذى ينفتح ولانفحة الهواء البارد التى تسيل على ركبتي ولا وصول الطبيب البيطرى مع حفيدته الصغيرة : ان الموسيقى تخرق هذه الاشكال المبهمة وتمر عبرها وماكادت الحفيدة تجلس حتى اخذت جامدة مفتوحة العينين على سعتهما واخذت تصغى وهي تحك الطاولة بقبضتها .

لحظات اخرى وتغنى الزنجية ان ذلك يبدو لامفر منه فما اقواها ضرورة هذه الموسيقى لاشيء فيه هذا العالم وسوف تنقطع من تلقاء نفسها بالأمر واذا كنت احب هذا الصوت الجميل فخصوصا من اجل ذلك : لامن اجل عظمته ولا من اجل حزنه ذلك انه الحدث الذى هياه كثير من الانغام من بعيد جدا وهي تموت لكى يحيا ومع ذلك فأنا قلق أن ايقاف الاسطوانه لا يحتاج الا لشيء يسير جدا ان ينكسر نابض ا وان يأخذ ابن العم ادولف هوى مفاجيء فكم هو غريب وكم هو مؤثر ان تكون هذه القسوة رخصة الى هذا الحد شيئا لايملك ان يقطعها ويستطيع كل شيء ان يحطمها .

وتتلاشى آخر نغم واحسست في الصمت القصير الذى تلا ان " شيئا ما قد حدث "

صمت

ماحدث هو ان في يوم من الايام ستشتاقين لى ياعسل " الغثيان " قد اختفى حين ارتفع الصوت في السكون احسست جسمى يقسو وتلاشى " الغثيان : دفعه واحدة وكان شاقا تقريبا ان يصبح هكذا قاسيا كله لامعا كله وفي الوقت نفسه كان زمن الموسيقى يتمدد وينتفخ كإعصار وكان يملأ القاعة بشفافيته المعدنية فيما هو يسحق على الجدران زمننا البائس اننى " في " الموسيقى وفي المرايا تدور كرات ناريه تحيط بها حلقات من دخان وتدور حاجبة وكاشفة بسمه النور القاسية وتقلص قدح البيرة امامى وتراكم على الطاولة :

وكان يبدو كثيفا لاغنى عنه واردت ان أخذه وأزينه فمددت يدي ..ياإلهى هذا بشكل خاص هو الذى تغير انها حركاتى لقد نمت حركة ذراعى هذه كموضوع عظيم فانزلقت على طول غناء الزنجية وخيل الى انى كنت ارقص .

وكان وجه ادولف هنا مستندا الى الجدار الشوكولاتى وكان يبدو قريبا جدا وفي اللحظة التى كانت يدي تنطبق فيها رأيت رأسه وكان له وضوح الخاتمة وضرورتها وضغطت على القدح ونظرت الى ادولف : اننى سعيد

- خذ !

وانقذف صوت وسط ضجه صاخبة انه جارى يتكلم وكان العجوز يغلى وقد احدث خداه لطفة ينفسجية على جلد المقعد الأسمر وصفق ورقه على الطاولة انها " مانيل " المربع ولكن الشاب ذا الرأس الكلبى ابتسم وكان اللاعب الاحمر منحنيا على الطاولة يرصده من تحت متأهبا للقفز

- وخذ!

خرجت يد الشاب من الظل فعامت لحظة وهى بيضاء متناقله ثم ذابت فجأة كأنها الحدأة وشدت ورقه

على السجادة وقفز الأحمر السمين في الهواء

- خراء انه يقطع

وبدا طيف " ملك القلب " بين اصابع متشنجة ثم قلب على انفه واستؤنف اللعب ملك جميل قادم من مكان بعيد مهياً بكثير من الحيل وكثير من الحركات المختفية وهاهو ذا يختفى بدورة لتولد حيل اخرى وحركات اخرى وكر وفر وارتداد حظ وجملة من الغامرات الصغيرة

اننى منفعل وانا احس جسمى كآلة ضبط في استراحة لقد حدثت لى انا مغامرات حقيقية وانا لا اذكر منها أى تفصيل ولكنى ألحظ تسلسل الظروف الدقيق لقد جزت البحار وخلفت ورائى مدنا وعبرت انهارا وأوغلت في الغابات وكنت اقصد دائما مدنا اخره ولقد ملكت نساء وتقاتلت مع رجال ولم اكن استطيع قط ان ارجع الى الوراى شأنى في ذلك شأن اسطوانه لاتستطيع ان تدور القهقرى وذلك كله الى " اين " كان يقودنى ؟ الى هذه الحقيقة الى هذا المقعد الى هذه الفقاعات من النور المدممة بالموسيقى وجين تركتنى

نعم انا الذى كنت كثيرا ما احب ان اجلس في روما على شاطيء " التبير " وانا اهبط " الرمبلا " واصعدها مئات المرات في برشلونه مساء انا الذى رأيت قرب " انتيكور " في جزيرة " باراى " في " براخان "

شجرة من تين البنغال تعقد جذورها حول كنيسة " النواس " أننى هنا اعيش اللحظة نفسها التى يعيشها لاعبو " المانيل " هؤلاء وأصغى الى زنجية تغنى بينما برود الليل الضعيف في الخارج . وتوقفت الاسطوانه

حل الليل عذبا مترددا أنه لايرى ولكنه هنا يغلف المصابيح أن المرء ليستنشق في الهواء شيئا كثيفا أنه هو الليل الطقس بارد ويدفع احد اللاعبين الاوراق في غير مانظام الى آخر يجمعها من جديد وقد بقيت ورقه في الخلف أترامهم لايرونها ؟ انها تسعه القلب ويأخذها احدهم اخيرا فيعطيهما الشاب ذا الرأس الكلبى .

- آه انها تسعة القلب !

حسنا أنى ذاهب وينحنى الشيخ البنفسجى على ورقه وهو يمص رأس قلم وتتنظر اليه مادلين

نظرة مشرقه وفارغة ويفلت الشاب تسعه القلب بين أصابعه ياإلهى !

وأنهض في مشقة وفي المرآه فوق صلعة الطبيب البيطرى أرى وجهها لابشريا ينسل

سأذهب عما قليل الى السينما

الهواء ينعشنى : فليس له مذاق السكر ولا رائحة الفرموت الخمرية ولكن مأبرد الطقس !

أنها الساعة السابعة والنصف وليس بى جوع والسينما لاتبدأ الا في التاسعة فما الذى افعله ؟

يجب أن اسير بسرعة لآتدفاً وأتردد أن الطريق خلفى يفضى الى قلب المدينة الى الزينات الناريه الكبيرة

للسوارع المركزية الى قصر بارامونت الى الامبريال الى مخازن " جاهان " الكبرى أن هذا لايعربنى

على الاطلاق : فهذه ساعة تناول المشهيات وقد رأيت ما يكفيننى الآن من الأشياء الحية والكلاب والبشر

وجميع الكتل الرخوه التى تتحرك تلقائيا .

وانعطف الى اليسار وأوشك أن الج ذلك الثقب هناك في آخر صف مصابيح الغاز سأتابع "

البولفار الاسود " حتى طريق جالفانى وينفت الثقب ريحا مثلجة ليس ثمة الا حجارة وتراب ان الحجارة

شئء قاس لا يتحرك .

ثمة طرقا من طريق ممل " فعلى الرصيف الامين كتله غازيه رمادية مع خطوط نارية وهى

تحدث ضجة الصدف " انها المحطة القديمة وقد اخصب وجودها المئة متر الاولى من البولفار الاسود -

ابتداء من بولفار " الرودت " حتى شارع " باراى " - وولد فيها زهاء عشرة مصابيح واربعة مقاه

متجاورة مقهى " رانديفو دى شامستو " وثلاثة اخرى تسترخى طوال النهار ولكنها تتبادل حمامات

اخرى من النور الاصفر وأرى امرأة مسنه تخرج من محل "راباش " للسمانة وهى ترد غلاتها على

رأسها وتأخذ في الركض " انتهى الأمر الآن اننى على حافة رصيف شارع " بارادى " الى جانب آخر

مصباح أن شريط القطران ينقطع هنا فمن الناحية الأخرى للشارع يقوم السواد والوحد واعبر شارع بارادى وتمشى قدمى ليمنى في مستنقع ماء فيبتل جوربى ان النزهة تبتدىء .

ليس ثمة : من يسكن : هذه المنطقة من البولفار الاسود فالطقس فيها اقسى من أن يحتمل والارض اعق من أن تستقر فيها الحياة وتنمو والمناشر الثلاث للأخوه سولاى (الاخوه سولاى هم الذين صنعوا القبة المصفحة لكنيسة سانت - سيسيل دولامير والتي كلف مئة الف فرانك) تنفتح الى الغرب بكل ابوابها وكل نوافذها على شارع جان - برت - كورى قتملاة بالهدير وهى تولى بولفار فيكتور - نوار ظهورها الثلاثة التى تلتصق بها جدران وهذه الأبنية تحف رصيف اليسار طوال أربعمائة متر : ليس ثمة أى نافذة حتى ولا كوة .

وسرت هذه المرة بقدمى الاثنتين في الساقية وعبرت الطريق : كان على الرصيف الاخر مصباح غاز واحد كمنارة عند طرف الارض الاقصى يضىء سباجا مبقورا مهجما في مواضع . كانت قصاصات من الاعلانات ماتزال ملصقة على الالواح فذاك وجه جميل ممتلىء بالحدق يكشر على أرضية خضراء ممزقه بشكل نجمه وتحت الأنف رسم احدهم شاربا معوجا وبوسع الناظر ان يتهجأ فوق قصاصة اخرى كلمة (puratre) بحروف بيضاء تسقط منها قطرات حمراء ربما كانت قطرات دم ومن الممكن ان يكون الوجه والكلمة جزئين من الاعلان نفسه غير ان الاعلان هو الان ممزق فالصلات البسيطة المقصودة التى تجمع بينهما قد اختفت ولكن وحدة اخرى قد قامت من تلقاء نفسها بين الفم الملتوى وقطرات الدم والاحرف البيضاء وآخر الكلمة (Acre) : فكان هوسا مجرما لايهدأ يسعى الى الظهور عن طريق هذه العلامات العجيبة ويمكن المرء ان يرى بين الامواج التماع اضواء الطريق الحديدية وثمة جدار طويل يكمل السياج جدار بلا فتحات ولا ابواب ولا نوافذ يقف على بعد مائتى متر بازاء بيت وجاوزت حقل عمل المصباح وهأنذا ادخل الثقب الاسود وانى لأشعر وأنا أرى ظلى عند قدمى يذوب في الظلام انى اغطس في ماء مثلج وأتبين امامى في البعيد عبر كثافات من سواد شحوبا موردا إنه طريق جالفانى واستدير وخلف مصباح الغاز في البعيد يوجد ظل من ضياء : تلك هى المحطة والمقاهى الاربعة وخلفى وامامى اشخاص يشربون ويلعبون الورق في المقاهى اما هنا

فليس الا ظلام وتحمل لى الريح في تواتر صوت جرس صغير متوحد يأتى من بعيد ان الضجيج
المألوف وهدير السيارات والصراخ والنباح كل هذا لايبعد قط عن الشوارع المضاءة فهى تظل محمولة
واما هذا الجرس فانه يحرق الظلمات ويصل الى هنا أنه اقصى وأقل انسانية من سائر الضجيج .

واتوقف لاصغى اليه اننى مقرور واذناى تؤلمانى ولا بد أنهما حمران تماما . ولكنى لا احس
نفسى بعد إننى غارق في صفاء ما يحيط بى لاشيء يعيش أن الريح تئن وخطوط صلابة نفر في الليل إن
البولفار الاسود لا يتخذ سحنه الشوارع البورجوازية التى تقدم هبات للمارة فليس هنا من أهتم بتزيينه :
أنه لايعدو ان يكون قفا. قفا شارع جان –بيرت كوروى وطريق جالفانى صحيح ان سكان بوفيل ما
زالوا يراقبونه قليلا حول المحطة انهم ينظفونه بين وقت واخر بسبب المسافرين ولكنهم سرعان ما
يتركونه بعد ذلك فيمضى مستقيما اعمى حتى يصطدم بطريق جالفانى لقد نسيت المدينة وقد تجتازة
احيانا بسرعة كبيرة شاحنه ضخمة بلون التراب وهى ترسل ضجة راعدة بل لا يحدث فيه قتل لانعدام
القتله والضحايا البولفار الاسود لانسانى كالمعدن كمثلث وإنه لحظ لبوفيل ان يكون فيها مثل هذا البولفار
فالمألوف ان لا يوجد مثله الا في العواصم في برلين من ناحية نوكلن أو بأتجاه فريدر يشهين – وفي
لندن خلف جرنويش ممرات مستقيمة وقذرة في صميم المجرى الهوائى مع ارصفة عريضة بلا اشجار
إنها دائما تقريبا خارج السور في هذه الاحياء الغريبة التى تصنع فيها المدن بالقرب من محطات البضائع
ومستودعات الترامات والمسالخ ومستودعات الغاز انها بعد يومين من المطر حين تكون المدينة كلها
لزجة تحت الشمس وحين تشع بالحرارة الرطبة تظل باردة تماما وتحتفظ بوحلها ومستنقعاتها بل ان لها
مستنقعات لا تجف ايدا إلا شهرا واحدا في العام في اغسطس .

بقى (العثيان) هناك في النور الاصفر اننى سعيد فهذا البرد شديد النقاء وشديدة النقاء هذه الليله
الست أنا نفسى نفحة من هواء مثلوج ؟ ليتنى لا أملك دما ولا لمفا ولالحما ليتنى اسيل في هذا القتال
الطويل نحو ذلك الشحوب هناك ليتنى لا أكون الا بردا .

هاهم أولاء بشر ظلان أية حاجة كانت بهما ليجيئا الى هنا ؟ انها امرأة قصيرة تشد رجلا من كمه

وهى تتكلم بصوت سريع دقيق وأنا لا أفهم ماتقول بسبب الريح

وقال الرجل : أليس كذلك ؟

وظلت تتكلم وفجأة دفعها وتبادلا النظرات مترددين ثم دس الرجل يديه في جيبه ومضى من غير ان يلوى

وأختفى الرجل وهأنذا تفصلنى عن المرأة ثلاثة امتار على الاكثر وفجأة مزقتها اصوات عريضة
مبحوحة انتزغت منها لتملاً الشارع كله بعنف هائل :

- شارل أرجوك اتعرف ماقلته لك ؟ عد ياشارل كفانى ماعانيت أننى شقيه اكثر مما ينبغى

مرت بها عن كئيب كئى كان بوسعى ان المسها ان هذا ... ولكن كيف نصدق ان هذا اللحم
المحترق هذا الوجه المشع بالالام ؟ ومع ذلك فأنا اتعرف على المنديل والمعطف والسمة التى على
ذراعها اليمنى بلون بفل الخمر انها هى لوسى خادمة البيت اننى لا اجرؤ على ان اقدم لها مساعدتى
ولكن يجب ان تستطيع التماسها عند الحاجة ومررت امامها ببطء وانا انظر اليها وثبتت عيناها على
ولكن لم يبد انها رأتنى انهما تبدو وكأنها لاتعرفنى في المها وخطوت بضع خطوات ثم التفتت .. اجل انها
هى انها لوسى ولكنها متغيرة الوجه شديدة الغضب متألّمه بسخاء مجنون اننى احسدها فهى هنا منتصبه
باستقامة منفردة الذراعين كما لو انها كانت تنتظر الى : وفتحت فمها فكادت تخنق وأنا احس بأن
الجدران قد كبرت على جانبي الطريق وتقاربت وان لوسى كانت في جوف بئر وانتظرت بضع لحظات
وانا اخشى ان تسقط ميتة فهى اهزل من ان تتحمل هذا الالم العنيف ولكنها لم تتحرك وبدا انها قد تمعنت
ككل مايحيط بها وتساءلت ذات لحظة عما اذا لم اكن مخطئا بشأنها وعما اذا لم تكن هذه طبيعتها تنكشف
لى فجأة ..

وندت عن لوسى انه قصيرة ورفعت يدها الى خنجرتها وهى تفتح عينين كبيرتين مندهشتين لا

انها لا تستمد من ذاتها القوه على ان تتألم الى هذا الحد ذلك يأتيها من الخارج ..

هذا البولفار يجب ان تؤخذ من كتفيها وتقاد الى الانوار وسط الناس في الشوارع العذبة الوردية فالمرء لا يستطيع هناك ان يتألم بمثل هذه القوه سوف ترتخي هناك وستستعيد هيئتها الايجابية ومستوى الامها العادى .

وأوليتها ظهري انها بعد كل حساب محظوظة فأنا هادىء اكثر مما ينبغى منذ ثلاث سنوات وأنا لا استطيع ان اتلقى شيئاً من هذه الوحدة الفاجعة الا قليلا من الصفاء الفارغ اننى ذاهب .

الخميس الساعة الحادية عشرة والنصف

اشتغلت ساعتين في قاعة المطالعة وهبطت الى ساحة (الرهونات) لأدخن غليوننا ساحة مبلمطة ببلاط وردي وسكان بوفيل فخورون بها لانها ترجع الى القرن الثامن عشر ورأيت في مدخل شارع شاماد وشارع سوسبيدار سلاقات قديمة تسد الطريق على السيارات وهاتيك السيدات اللواتى اتين ليتنزهن كلابهن ينسلن تحت القناطر بمحاذاه الجدران وقلما يتقدمن حتى النور الواضح ولكنهن يرمين نظرات فتيات نظرات مختلصة راضية على تمثال جوستاف امبتراز لابد انهن لايعرفن اسم هذا العملاق البرونزى ولكنهن على ثقته من انه بفضل ردنجوته وقبعته العالية كان رجلا من الطبقة العالية يمسك قبعته بيده اليسرى ويضع اليمنى على ركام الطلحيات النصفيه : ذلك يشبه لو ان جدهم كان هنا على هذه القاعدة مصبوبا في البونز ولم يكن بحاجة الى اطالة النظر اليه ليدركن انه كان يفكر مثلهن مثلهن تماما حول جميع الموضوعات وقد وضع في خدمة افكارهن الصغيرة الضيقة والصلبة سلطته وعلمه الواسع المستمد من الطلحيات النصفيه التى تسحقها يده الثقيله وتشعر السيدات ذوات الاثواب السوداء بالغزاء فبوسعهن ان ينصرفن بهدوء الى شؤون المنزل وينزهن كلابهن : فالافكار المقدسة الافكار الطيبة التى ورثتها عن آبائهن ليس عليهن بعد تبعه الدفاع عنها فان لاجلا من البرونز جعل لنفسه حاميا لها .

" دائرة المعارف " الكبرى تكرر بضعه اسطر لهذه الشخصية رأتها في العام الماضى كنت قد وضعت المجلد على حافة نافذة وكان بوسعى ان ارى عبر الزجاج صلعه امبتراز الخضراء علمت انه اشتهر حوالى ١٨٩٠ كسان مفتشا للاكاديمية وكان يرسم اشياء جميلة الف ثلاثة كتب حول الشعبية عند

قدماء اليونان (١٨٨٧) و " التربية عند رولان " (١٨٩١) و " وصيه شعرية " في عام ١٨٩٩ مات عام ١٩٠٢ حاملا حسرات تلاميذة والمعجبين به من ذوى الذوق الرفيع .

استندت الى واجهه دار الكتب أذخن غليونى الذى يهدد بالانطفاء وأرى سيدة مسنه تخرج خائفة من الرواق ذى القعب وتنظر الى امبتراز نظرة دقيقة وعنيدة وتجرو فجأة فتجتاز الساحة بكل سرعة وتقف امام التمثال وهى تحرك فكيتها ثم تمضى سوداء على البلاط الوردى وتختفى في شق جدار .
ربما كانت هذه الساحة جذله حوالى ١٨٠٠ بقرميدها الوردى وبيوتها اما الان فان فيها شيئا جافا وريئا ظلا دقيقا من فضاة وهذا صادر من ذلك الرجل القائم هناك على قاعدته انهم حين صبوا هذا الجامعى في البرونز جعلوا منه ساحرا .

انظر الى امبتراز مواجهه ليس له عينان ويكاد لا يكون له انف ولحية يأكلها ذلك البرص الغريب الذى ينقص احيانا كالوباء على جميع تماثيل حى من الاحياء إنه يحيى : وتحمل صدرته لدى القلب لطفة كبيرة خضراء اللون ويبدو منحرف المزاج منزعا انه طبعا لا يحيا ولكنه ليس كذلك فاقد الروح ان قوة صماء تنبعث منه فكأنها ريح تردنى ان امبتراز يود ان يطردنى من ساحة " الرهونات " ولكنى لن اذهب قبل ان انهى تدخين هذا الغليون .

وينبعث فجأة من خلفى شبح كبير فأقفز منتفضا

- المعذرة ياسيدى لم اكن اريد ان ازعجك رأيت أن شففتيك كانتا تتحركان ولا شك في أنك كنت تردد عبارات من كتابك (وضحك) انك تقوم بمطاردات الشطرات
انظر الى (العصامى) في ذهول ولكنه بدا مندهشا من دهشتى
- اليس واجبا ياسيدى ان يتجنب المرء الشطرات في النثر ؟

احترامة لى انخفض قليلا واسأله ما الذى يفعله هنا في هذه الساعة فيوضح لى ان معلمه قد اعطاه عطله وانه قدم توا الى المكتبه وانه لن يتناول الغذاء وأنه سيطالع حتى موعد الاغلاق . اكف عن الاصغاء اليه ولكنه لايد من ان يكون قد ابتعد عن الموضوع الادبى فقد سمعت فجأة :

-ليتنى املك مثلك سعادة ان اكتب كتابا

يجب ان اقول شيئا ما . وقلت بلهجة ارتياب :

- ...سعادة ...

فأخطأ في فهم معنى جوابى وسارع يصحح :

- كان على ياسيدى ان اقول : كفاءة

صعدنا الدرج ليست لدى رغبة في العمل كان أحدهم قد ترك كتاب (اوجينى جراندية) على الطاولة كان الكتاب مفتوحا على الصفحة السابعة والعشرين التقطته بألية واخذت أقرأ الصفحة السابعة والعشرين ثم الثامنة والعشرين : فليست لدى الجرأة بالبده من البداة واتجه " العصامى " نحو رفوف الجدار بخطوة حية وعاد بمجلدين وضعهما على الطاولة بهيئة كلب عثر على عظمة

- ماذا تقرأ ؟

يخيل الى انه يكره ان يجيبني : تردد قليلا وادار عينيه الكبيرتين الشاردتين ثم مد لى الكتابين على مضض انهما " التراب العضوى ومناجم التراب العضوى " تأليف لارباليترييه و " ايتوباديزا أو التعليم المفيد تأليف لاستيكس ولكن ؟ إننى لا ارى ما يزعجة فان قراءة مثل هذا الكتب تبدو لى محتشمة جدا وإرضاء لضميرى قلبت صفحات " ايتوباديزا " فلم اجد فيه الا كل ماهو رفيع .

تركت " اوجيني جرانديه " وانصرفت الى العمل ولكن بلا حماسة كان " العصامي " الذي يرى اني اكتب يراقبني في تلذذ واحترام وبين احيان والآخر أرفع قليلا رأسى فأرى الياقة الكبيرة المنشأة التي تخرج منها عنقة الدجاجية يرتدى ثيابا رثة ولكن لباسة الداخلى ذو بياض باهر تناول من على الرف نفسه مجلدا اخر قرأت عنوانه بالمقلوب " سهم كودبيك " يوميات نورماندية للأنسة جولى لافيرنيو إن قراءات العصامي تحيرنى دائما .

تعاود ذاكرتى دفعة واحدة اسماء اخر المؤلفين الذين قرأ آثارهم : لامبير لانجلو لارباليترييه لاستيكس لافيرنيو انه لأشراق فهمت طريقة العصامي يتقف نفسه وفق الالفباء .

وأتمله في نوع من الاعجاب ايه ارادة يحتاج اليها ليحقق في هدوء وعناء خطة واسعة المدى الى هذا الحد ؟ منذ سبعة اعوام قال لى انه كان يدرس منذ سبعة اعوام دخل هذه القاعة ذات يوم في ابهه كبيرة واستعرض بنظرة الكتب التي تغطى الجدران من غير ان يحصرها ولا بد انه قال كما قال راستينياك تقريبا " انت وانا ايها العلم الانسانى " ثم ذهب يأخذ اول كتاب على اول رف الى اقصى اليمين وفتحه على الصفحة الاولى بشعور من الاحترام والرهبة ممزوج بتصميم لايتزعزع وقد وصل الان الى حرف L . K بعد J ، و L بعد k وقد انتقل بقسوة من درس مغمدات الاجنحة الى نظرية " الكانتا " ومن كتاب عن تيمور لنك الى مقاله انتقاد كاثوليكية ضد مذهب دارون : انه لم يجر لحظة واحدة قرأ كل شىء واختزن في رأسه نصف ما يعرفه البشر عن التناسل الذاتى ونصف الحجج ضد تشريح الحيوانات الحية إن خلفه وأمامه عالما يقتررب اليوم الذى يقول فيه لنفسه وهو يغلق اخر كتاب في اخر رف الى اقصى اليسار " والان ؟ " .

هذه ساعة " عصرونيته " وهو يأكل بهيئة بريئة خبزا ولوحا من " جفالبيتر " جفناه مسلان وبوسعى ان اتأمل اهدابه الجميلة المعقوفة اهداب امرأة وهو يبيعه رائحة تبغ قديم يختلط بها " أذ يتنفس عطر الشوكولا العذب

الجمعة الساعة الثالثة

أخذت في شرك المرآه اكثر قليلا من ذى قبل إنى أتجنبها ولكن لكى أسقط فى شرك الزجاج :

اقترب من النافذة ، مرتخى الذراعين ، بلا عمل . الورشة ، السياج ، المحطة القديمة – المحطة القديمة ، السياج ، الورشة .وأثنائب بشدة ، حتى أن دمعة تظفر إلى عيني . وأمسك الغليون بيدي اليمنى ، ورمزمتبغى باليسرى يجب حشو هذا الغليون . ولكنى لست متحمساً لذلك ذراعى تتدليان ، وأنا أسند جيبى الى الزجاج . تلك المرأة العجوز تضايقتى .تطنطن فى عناد ، بعينين ضائعتين . وهى تقف أحياناً بهيئة مذعورة ، وكما لو أن خطرا غير مرئى قد لامسها . ها هى ذى تحت نافذتى . الريح تلتصق تنورتها على ركبتيها . وتقف لتسوى غلالاتها . يديها ترتجفان . وتمضى من جديد : وأنا الآن أراها من ظهرها . يا للبلغة العجوز! افترض أنها ستنعطف الى اليمين ، فى الطريق السوداء . أمامها مئة متر تقطعها : فاذا ظلت تمشى على هذا النحو ، فهى بحاجة الى عشر دقائق ، عشر دقائق سابقى فى أثنائها هكذا انظر اليها وجيبينى ملتصق بالزجاج ستقف عشرين مرة ثم نمضى ثم نقف ٠٠٠

أننى " أرى " المستقبل هناك منتصب فى الشارع لايكاد يزيد شحويا عن الحاضر ما حاجته لأن يتحقق أى جديد يمنحة ذلك ؟ العجوز تبتعد وهى تعرج وتقف ثم تشد على خصلة رمادية تفلت من غلالاتها تمشى كانت هناك وما هى الآن هنا ... لا أدرى بعد أين بلغت من أمرها : هل " أرى " حركاتها أم اننى " أتنبأ " بها ؟ لا اميز بعد الحاضر من المستقبل ومع ذلك فأن هذا يستمر يتحقق شيئاً فشيئاً العجوز تتقدم فى الشارع الخالى تنقل نعليها الرجاليين الكبيرين هذا هو الزمن الزمن عاريا تماما يأتى متمهلا للوجود يغرى بالانتظار حتى اذا اقبل يحس المرء بالاشمئزاز لانه يلاحظ أن وقتا طويلا قد أنقضى على وجوده هنا العجوز تقترب من زاوية الشارع وهى ليست بعد الا كومة صغيرة من الاقمشة السوداء اجل أننى اقر هذا جديد حقا فهى لم تكن هناك الاعه ولكن هذا جديد كامد ذابل لايستطيع ابدان يفاجىء انها على وشك ان تنعطف فى زاوية الشارع إنها تنعطف للحظة أبدية .

وانترع نفسى من الناقدة فأجتاز الغرفة وأنا اترنح أحدق في المرأة انظر الى نفسى

اشمئز من نفسى للحظة أبدية كذلك واخيرا أقلت من صورتى وأمضى لارتى على سريرى وانظر الى
السقف واود أن أنام .

هدوء هدوء أننى لا احس بعد الانزلاق ولا ملامسات الزمن أرى صوراً على السقف دوائر نور
اولاً ثم صلبانا وكان ذلك يرف ثم هاهى صورة اخرى تتشكل في جوف عينى هذه انها حيوان كبير راع
وانا ارى قدومية الاماميتين وبردعته اما الباقي فمغطى بالضباب غير انى اعرفه جيداً : أنه جمل رأيت
في مراكش وهو مربوط بحجر كان قد ركع ونهض ست مرات على التوالى كان بعض الصبيبه
يضحكون ويحرضونه بأصواتهم .

منذ عامين كان ذلك رائعا لم يكن لى الا ان اغمض عينى وسرعان ما يطن رأسى كحلية كنت
ارى من جديد وجوها واشجارا وبيوتا ويابانية من "كاميشى" تغسل وهى عارى فى برمىل وروسيا ميتا
يسيل من جرح عريض فاغر ودمه كله فى مستنقع بقربه وكنت استعيد طعم الكسكى ورائحة الزيت
التي تملأ عند الظهر شوارع بوجوس ورائحة البسبوسة التي تخفق فى شوارع تطوان وسفير الرعاة
اليونانيين كنت منفعلاً انقضى وقت طويل على هذه الفرحة الزاهية أتراها ستولد اليوم من جديد ؟ شمس
محرقة تنسل فى رأسى بخسونة كصفيحة فانوس سحرة تتبعها قطعة من سماء زرقاء وقد تسمرت بعد
بضع انتفاضات فذهبتى كل من الداخل فمن أى نهار مراكشى (أو جزائرى او سورى) انفصل هذا
اللمعان فجأة ؟ وتداعت اسيل فى الماضى

مكناس كيف تراه كان اذن ذلك الجبلى الذى اخافنا فى زقاق بين جامع " بردان " وتلك الساحرة
الساحرة التي تظلمها شجرة توت ؟ لقد اقبل علينا وكانت آنى الى يمينى او لعلها كانت الى يسارى ؟
هذه الشمس وهذه السماء الزرقاء لم تكونا الا خداعاً وهذه هى المرة المائة التي انخدع بهما
ذكرياتى هى النقود فى بورصة الشيطان : فاننا حين نفتحها لا نجد فيها الا اوراقاً ميتة .

اما الجبلى فلا اتمثل منه بعد الا عينا كبيرة مفقوءة حلبيية تلك العين اهى حتى له هو ؟ الطبيب
الذى كان يشرح لى في " باكو " فكرة مستشفيات الدولة للاجهاض كان هو ايضا اعور وحين اريد ان
اتذكر وجهه فانما تبدو كذلك هذه الكرة المبيضة ان هذين الرجلين لايملكان الا عينا واحدة يتبادلانها
بالدور شأنهما شأن (النورن)

امر هذه الساحة التى كنت اقصدها في مكناس كل يوم هو اشد بساطة لا اراها بعد على الاطلاق
بيد انه يبقى لى الشعور الغامض بأنها كانت ساحة ساحرة وهذه الكلمات الثلاث المترابطة ترابطا لا
انفصام فيه ساحة مكناس الساحرة لا شك في انى اذا اغمضت عيني او حدقت باسقف في غموض
استطعت ان اعيد تأليف المنظر شجرة في البعيد شكل مظلم كثيف يعدو الى ولكنى اخترع هذا كله
لمتطلبات القضية كان ذلك المراكشى طويلا وصلبا والحق انى رأيته فقط حين كان يلمنى وهكذا ما
ازال " اعرف انه كان طويلا وصلبا بعض المعلومات المختصرة تظل ثابوة في ذاكرتى ولكنى لا أرى
بعد شيئا فعبثا ما بحثت في الماضى وانا لا استخرج منه الا اطرافا من صور ولا ادرى جيدا ما الذى
تمثله ولا ما اذا كانت ذكريات او اوهاما

والحق ان هذه الاطراف نفسها قد اختفت في كثير من الحالات فلم يبق بعد الا كلمات مايزال
بامكانى ان اروى حكايات اروياها جيدا جدا (فانا بالنسبة للحكاية لا اخشى احدا الا ضباط البحر المهينين
(ولكنها ليست بعد الا هياكل صحيح ان القضية فيها قضية شخص يفعل هذا او ذاك ولكنه ليس إياى
وليس عندى ماهو مشترك معه انه يتنزه في بلاد لا اعرف عنها اكثر مما لو انى لم ازرها قط ويحدث
احيانا في اثناء السرد ان انطق بهذه الاسماء الجميلة التى تقرأ في الاطالس من مثل ارانجوز او
كانتربرى انها تولد في صورا جديدة كا الجدة كتلك التى يشكلها بعد المطالعة اولئك الذين لم يسافروا قط
اننى احلم على كلمات هذا كل ما في الامر

على انه تبقى من حكاية ميته حكاية او حكايتان حيتان وانا اذكرهما في تحفظ احيانا لا اكثر مما
ينبغى خشية ان ابليهما واتناول احدهما فاستعيد الديكور والاشخاص والمواقف وفجأة اتوقف فلقد
احسست بشيء تالف ورأيت كلمة تنفذ فوق نسيج المشاعر وانا احد س ان هذه الكلمة ستأخذ عما قليل

مكان بضعه صور احبها وسرعان ما اقف وافكر على عجل بشيء اخر اننى لا اريد ان اتعب ذكرياتى
ولكن عبثا ففي المرة القادمة التى اذكرها فيها سيكون قسم كبير منها قد تثبت وتسمر .

وارسم حركة مبهمه لكى انهض لاذهب فأتى بصورى فى مكناس من الصندوق الذى دفعته
تحت طاولتى ما الفائدة؟ ان مهيجات الشبق هذه فقدت كل تأثير على ذاكرتى ولقد عثرت ذات يوم على
صورة صغيرة مصغرة تحت ورق نشاف وكانت تمثل امرأة تبتسم بالقرب من حوض وتأملتها لحظة من
غير ان اعرفها ثم قرأت على ظهر الصورة أنى بورتسموث ٧ ابريل ٢٧

لم يسبق لى ان احسست كاليوم احساسا قويا بأنى بلا ابعاد خفية وانى محدود بجسمى وبالافكار
الخفيفة التى تتصاعد منه كالفقاع فاحاول عبثا ان اتصل به لا استطيع ان افر

الباب يطرق انه العصامى وكنت قد نسيت له لقد وعدته بأن اريه صور رحلتى ليأخذه الشيطان

جلس على كرسى ولامست مؤخرته المسند وانحنى صدره الصلب الى امام وقفزت من سريرى

وأضأت النور .

- ولكن كيف ذلك ياسيدى كنا فى حاله جيدة جدا

- لا لرؤية الصور

واخذت هذا ياسيدى اتريد حقا ان ترينى اياها ؟

- أصبح هذا يا سيدى ؟ اتريد حقا ان ترينى اياها ؟

- طبعا

وكان فى هذا حساب فأنا امل ان يصمت بينما ينظر اليها وانحنيت تحت الطاولة ودفعت

الصندوق بأزاء الاحذية اللامعه ثم وضعت على ركبتيه حمل ذراعين من البطاقات البريدية والصور:

اسبانيا مراكش الاسبانية ولكنى أرى من هيئته الضاحكة المنفتحة أنى أخطأت خطأ فادحا اذ حسبت أنى

سأحيله الى الصمت ألقى نظرة على منظر لسان – سيباستيان مأخوذ من جبل إيفالدو ثم وضعه بأحتراس على الطاولة وظل لحظة صامتا ثم تنهد :

- آه أنك محظوظ ياسيدى اذا كان مايقال صحيحا فان السفر هو خير مدرسة اتوافق على هذا الرأى ياسيدى ؟

فقلت بحركة مبهمه ومن حسن الحظ انه لم ينته

- لا بد أن ذلك يحدث انقلابا كبيرا ولئن كتب لى ان اقوم برحلة فيخيل الى انى اود قبل ان اسافر ان اسجل كتابة ادنى الخطوط في طبعى لأتمكن من ان اقارن لدى عودتى ماكنته وما اصبحته وقد قرأت ان هناك مسافرين تغيروا تغيرا كبيرا جسديا وروحيا حتى ان اقرب اقربائهم لم يعرفوهم لدى عودتهم كان يقلب في شروذ حزمه كبيرة من الصور تناول احدهما ووضعها على الطاولة من غير ان ينظر اليها ثم حدق بكثافة في الصورة التالية التى تمثل القديس جيروم منحوتا على كرسى في كاتدرائية بوجوس

- هل رأيت هذا " المسيح ذا الجلد الحيوانى في روجوس ؟ هناك ياسيدى كتابا عجيبا عن هذه التماثيل ذات الجلود الحيوانية بل وحتى ذات البشرية الانسانية و" العذراء " السوداء ؟ ليست في بوجوس انها في ساراجوس ؟ ولكن ربما كانت هناك صورة منها في بوجوس ؟ أن الحجاج يقبلونها اليس كذلك " – اقصد صورة ساراجوس وهناك اثر من قدميها على بلاطة ؟ موجودة في ثقب؟ تدفع الامهات فيه اولادهن ؟

ويدفع بكتنا يديه وهو متصلب تماما ولدا خياليا فكأنما هو يرفض هدايا ارتاكزير كيس

- آه العادات ياسيدى هذا ...عجيب

وجه الى وهو يلهث فكه الحمارى الكبير وكانت ينبعث منه رائحة التبغ والماء والنتن وكانت عيناه الجميلتان الشاردتان تلمعان ككرتين من نار وكان شعره القليل يحيط صلعته بهالة من بخار وتحت

هذه الصلعة كانت جماعات من الساموييد والنيام – نيام والملجاش والفيوجيان يحتفلون بأغرب الاعياد ويأكلون آباءهم المسنين واولادهم ويدورون حول انفسهم على دقات الطبل حتى الاغماء ويستسلمون لجنون " الاموك " ويحرقون موتاهم ويعرضونهم على السطوح ويتركونهم لمجرى المياه على قارب تضيئه شعله ويتضاجعون بالاتفاق امهات وابناء آباء وبنات اخوه واخوات ويبتزون اعضاءهم ويخصون انفسهم ويمددون شفاهم بالاطباق وينقشون على اجنابهم حيوانات مسيخة

- هل يمكننا ان نقول مع باسكال ان العادة طبيعية ثانية ؟

وزرع عينيه السوداوين بعيني يلتمس جوابا فقلت

- هذا يتوقف

وتنفس

- وهذا ايضا ماكنت اقله لنفسى ياسيدى ولكنى احذر نفسى اشد الحذر ينبغى على الانسان ان يكون قد قرأ كل شىء

ولكنه اصيب بالهذيان لدى رؤيته للصورة التالية فقد اطلق صرخة فرح

- سيغوفى ! سيغوفى ! لقد قرأ كتابا عن سيغوفى

واضاف بلهجة تباه :

- اننى ياسيدى لا اذكر بعد اسم المؤلف فأحيانا تغيب عنى الاسماء

ننو.....نود

فقلت له بحبوية :

- مستحيل انك ماتزال عند حرف اللام لافيرنيو ٠٠٠

وسرعان ما ندمت على عبارتي : فهو بعد كل حساب لم يحدثنى قط عن هذه الطريقة في القراءة ولا

بد ان ذلك هذيان سرى والواقع انه قد اضطرب وتقدمت شفاته بهيئة بالكية ثم اخفض رأسه ونظر الى

زهاء عشر بطاقات بريدية من غير ان ينبس بحرف

ولكنى لاحظت بعد ثلاثين ثانية ان حماسة كبيرة تنفخه وانه يوشك ان ينفجر اذا لم يتكلم

- حين انتهى من تثقيف نفسى (وامامى بعد ست سنوات لهذا فسوف انضم اذا سمح لى الى الطلاب

والاساتذة الذين يقومون برحلة سنويه الى الشرق الاوسط

واضاف في طلاوة :

- اود ان ادقق بعض المعلومات واحب كذلك ان يحدث لى ما هو غير متوقع ماهو جديد ولكلمة

واحدة مغامرات

وكان قد اخفض صوته واتخذ هيئة الخبث فقلت له مندهشا

- اى نوع من المغامرات ؟

- جميع الانواع ياسيدى ان المرء قد يخطىء في اختيار قطار فيهبط في مدينة مجهولة او يضع

محفظته او يقبض عليه خطأ فيقضى الليل في سجن حسبت ياسيدى ان بالامكان تعريف المغامرة هكذا

حدث يخرج من العادى من غير ان يكون بالضرورة خارق للعادة يتحدثون عن سحر المغامرة فهل تبدو

لك هذه العبارة دقيقة ؟ اود ان اطرح عليك سؤالا ياسيدى

- ماهو ؟

فاحمر وابتسم

- ربما كان ذلك مخالفا للرصانه ...

- قل مع ذلك

فمال على وسألنى وعيناه نصف مغمضتين

- هل وقعت له مغامرات كثيرة ياسيدى

فأجبت بأليه :

- بضع مغامرات

وانقلبت الى خلف لاتفادى نفسه الموبوء. اجل قلت ذلك بأليه من غير ان افكر بالامر والواقع
انى عادة اميل الى الاعتزاز بأنى عرفت مغامرات كثيرة فقد خيل الى انى اكذب وانى فى حياتى كلها لم
اعرف ادنى مغامرة او انى بالاحرى لا اعرف حتى ماتعنيه هذه الكلمة وفي الوقت نفسه ثقل على كتفى
ذلك الخمود نفسه الذى استولى على فى هانوى منذ اربعة اعوام حين كان مرسىيه يستعجلنى ان الحق
به وكنت احدق من غير ان اجيب فى تمثال هندى صغير وكانت " الفكرة " هناك تلك الكتله الضخمة
البيضاء التى كانت كثيرا ما اثارته اشمنزازى آنذاك
وكنت لم ارها مرة اخرى منذ اعوام وقال العصامى :

- هل يمكننى ان اسألك

فليخسأ لعله يطلب ان اروى له احدى هذه المغامرات العظيمة أننى لا اريد ان اقول كلمة فى هذا
الموضوع وملت فوق كتفيه الضيقتين وقلت وانا اضع اصبعى على احدى الصور
- هذه هى سانتيان اجمل قريه فى اسبانيا

- سانتيتيان جيل بلاس اننى لم اكن اظن ان لها وجودا حقيقيا أه

يا سيدى كم فى حديثك من فائدة ان المرء يرى جيدا انك قد سافرت حقا

صرفت العصامى بعد ان حشوت جيوبه بالبطاقات البريدية والصور والمنحوتات وقد ذهب

مسحورا وأطفأ النور وهأنذا الان وحدى لست وحدى تماما فما تزال هناك ايضا هذه الفكرة تنتظر

تكررت ولبثت هناك كقطة كبيرة انها لا تشرح شيئا وهي لا تتحرك تكتمى بأن تقول لا لا لم تحدث لى

مغامرات

وحشوت غليونى واشعلته وتمددت على سريرى وانا اضع معطفا علساقى ان ما يدهشنى هو ان

احسنى حزيننا ومتعبا الى هذا الحد فحتى لو كان صحيحا انه لم تحدث لى مغامرات فما عسى ذلك ان يؤثر عندى؟ يخيل الى اولا انها قضيه كلمات محض. قضية مكناس هذه مثلا التى كنت افكر فيها الساعة:

وثب على مراكشى واراد ان يضربنى بمديّة كبيرة ولكننى قذفته بقبضه ادركته تحت صدغه... واذا ذاك

اخذ يضرخ باللغه العربيه وسرعان ما برز عدد من القذرين لحقوا بنا حتى سوق العطارين . ان بامكان

الناس تسمية ذلك بالاسم الذى يروقهم ولكنه على كل حال حدث قد (وقع لى)

ان الظلام مطبق وانا لا ادرى بعد جيدا ان كان غليونى مشتعلا ومر ترام : لمعان احمر فى

السقف ثم جاءت سياره ثقيله هزت البيت لا بد انها الساعة السادسة

لم تحدث لى مغامرات وقعت لى حكايات واحداث وما الى ذلك ولكن لا مغامرات انها ليست

قضية كلام بدأت افهم هناك شيئا احرص عليه اكثر من اى شىء اخر من غير ان اتنبه اليه تمام وهو لم

يكن الحب والله الحمد ولا المجد ولا الغنى وانما كان على اى حال كنت قد تصورت ان حياتى يمكن فى

بعض الفترات ان تتخذ صفة نادرة وثمانية ولم تكن ثمة حاجه الى الظروف الاستثنائية كل ما كنت اطلبه

شىء من الدقه

حياتى الحاضره ليس فيها ماهو لامع جدا ولكن بين الحين والآخر حين كانوا يعزفون الموسيقى

مثلا فى المقاهى كنت اردت الى خلف واقول لنفسى فى الماضى عرفت وانا فى لندن ومكناس وطوكيو

لحظات رائعه وحدثت لى مغامرات وهذا ما ينتزع منى الان

وعلمت فجأه وبلا سبب ظاهر اننى كذبت على نفسى طوال عشرة اعوام

ان المغامرات هى فى الكتب وطبعاً كل ما يروى فى الكتب يمكن ان يحدث حقا ولكن لا

بالطريقه نفسها وانما كنت حريصا على طريقة الحدوث هذه بالذات حرصا شديدا

وقد كان ينبغي اولاً ان تكون البدايات بداءات حقيقية

يا للحسره انى ارى جيداً الان ما كنت اريده بداءات حقيقيه تظهر كجرس بوق كالنغمات الاولى
للحن جاز فجأه واضعا حدا للسأم مؤكدة الزمن من تلك الامسيات التى يقال بعدها كنت انتزته وكان ذلك
فى امسية من نوار. ينتزته المرء اذ يكون القمر قد اطل فيما هو خال عاطل فارغ بعض الشىء ثم يفكر
دفعه واحده : لقد حدث شىء ما

اى شىء : خشخشه خفيفه فى العتمه طيف خفيف يعبر الشارع ولكن هذا الحدث الضئيل لا يشبه
الاحداث الاخرى فنحن نلاحظ على التو انه مقدمة لشكل كبير يضع رسمه فى الضباب ونقول فى انفسنا
كذلك ان شيئاً ما بدأ

شىء ما يحدث لينتهى ان المغامرة لا تسمح بأن توضع لها وصلة فهى لا معنى لها الا بموتها
والى هذا الموت الذى ربما يصبح موتى انا ايضا

ارانى مدفوعاً بلا عوده وكل لحظة لا تظهر الا لتجر اللحظات التى تلى

وانا متعلق بكل لحظه من قلبى اعرف انها فريده غير قابله للاستبدال _ ومع ذلك فاننا لن اقوم
بحركة لامنعه من ان تتلاشى فهذه الدقيقه الاخيره التى اقضيها فى برلين فى لندن بين ذراعى هذه
المراه التى لقيتها عشية الامس الدقيقه التى احبها بشغف والمراه التى اوشك ان احبها سوف تنتهى وانا
على يقين من ذلك عما قليل سأقصد بلداً اخر ولن اجد ثانياً هذه المراه ولا تلك الليله اننى انحنى على كل
ثانيه واحاول ان استنفذها لا يحدث شىء الا وادركه واثبتته فى نفسى لا شىء لا الرقه الفاره من هاتين
العينين الجميلتين ولا صخب الشارع ولا الاشرار الكاذب للفجر ومع ذلك فان الدقيقه تسيل وانا لا
التقطها واحب ان تنقضى

وفجأه بعد ذلك ينكسر شيئاً ما انتهت المغامرة ويستعيد الزمن رخاوته اليوميه والتفت فاذا بذلك

الشكل الغنائى الجميل وراء ظهرى يستغرق كلياً فى الماضى انه يتناقص ويتقلص اذ يميل حتى ان
النهايه الان لا تشكل الا كلا واحداً مع البدايه

وافكر وانا اتابع بعيني هذه النقطة الذهبية اننى سأقبل حتى لو تعرضت للموت او لفقدان ثروه او

صديق ، ان اعيش ثانية كل شىء فى الظروف نفسها من البدء الى النهايه ولكن مغامرة ما لا تعاد من جديد ولا تستطيل

اجل هذا ما كنت اريده وهذا للاسف ما لا ازال اريده انى اشعر بسعاده كبيره حين تغنى زنجيه فأية ذرى لن ابلغها اذا كانت حياتى الخاصه تكون مادة الغناء

ان الفكره ما تزال هنا الشىء الذى لا يسمى انها تنتظر فى سكون وهى تبدو الان وكأنها تقول ماذا ؟ أهذا ما كنت تريد؟ الحق ان هذا هو ما لم تحصل عليه قط اذكر انك كنت تخدع نفسك بالكلمات كنت تطلق اسم المغامره على برق للسفر خلب وعلى غراميات الفتيات وعلى المنازعات وعلى الزجاجيات الملونه وهذا ما لم تحصل عليه ابدا ولا اى شخص اخر غيرك ولكن لماذا؟ لماذا؟

ظهر السبت

لم يرني العصامى داخلا قاعة المطالعه كان جالسا فى اقصى الطاولة الداخليه وكان واضعا امامه كتابا ولكنه لم يكن يقرأ

كان ينظر باسمه الى جاره الايمن وهو طالب قدر يقصد دار الكتب غالبا وقد تركه الاخر يتأمله لحظه ثم مد له لسانه فجأه وهو يكشر تكشيريه فظيعة واحمر العصامى واسرع يغرق انفه فى كتابه ويستغرق فى قراءته ، عدت الى الافكار التى راودتنى بالامس وكنت جافا تمام : كان لدى سواء الا تكون قد حدثت لى مغامرات وانما كان يأخذنى الفضول لمعرفة ما اذا لم يكن ممكنا ان تحدث مغامرات وهذا ما فكرت به : لكى يصبح اتفه حدث مغامره فيجيب ويكفى ان ياخذ المرء ب" سرده "وهذا

ما يخدع الناس الانسان هو دائما سارد حكايات يعيش محاطا بقصصه وقصص الاخرين وهو يرى عبرها كل ما يحدث له ويسعى لان يعيش حياته كما لو انه يحكيها

ولكن لابد من ان يختار بين ان يعيش وان يحكى فانا مثلا حين كنت فى هامبورج مع "ايرنا"

هذه التى كنت احذرها والتى كانت تخافنى

كنت اعيش حياه غريبه ولكنى كنت فى داخلها ولم اكن افكر فيها وذات مساء فى مقهى صغير

بسان باولى تركتنى قاصدة المغاسل وبقيت وحدى وكان ثمة فونوغراف يغنى السماء الزرقاء فأخذت

اروى لى نفسى ما حدث منذ ابحارى وقلت لى نفسى فى المساء الثالث دخلت مرقصا يدعى لاجروت بلو

فلاحظت امراه طويله نصف ثمله وهذه المرأه هى التى انتظرها فى هذه اللحظ هوانا اسمع السماء

الزرقاء وهى التى ستعود لتجلس الى يمينى وتحيط عنقى بذراعيها

وآنذاك احسست بعنف انه كان لى مغامره ولكن ايرنا عادت وجلست قربى واحاطت عنقى

بذراعيها فاحتقرتها من غير ان اعرف السبب حقا

وانا الان افهم ذلك انه ينبغى العيش من جديد وان انطباع المغامره قد تلاشى

حين يعيش المرء لا يحدث شىء كل ما فى الامر ان الديكورات تتغير وان الناس يدخلون

ويخرجون ليس ثمة بداءات قط ان الايام تضاف الى الايام بلا وقع او سبب فهى عملية جمع رتيب لا

ينتهى وبين الحين والآخر نرسم مجموعا جزئيا فنقول هذه ثلاثة اعوام سافرت فيها ، ثلاثة اعوام وانا

فى بوفيل

كذلك ليس ثمة من نهاية ان المرء لا يغادر قط امراه وصديقا ومدينه مره واحده ثم ان كل شىء

متشابه شنغهاى وموسكو ومدينة الجزائر فبعد خمسة عشر يوما يصبح كل شىء متماثلا وتأتى لحظات

نادره يضع فيها المرء النقاط على الحروف فيلاحظ انه التصق بامراه وغرق فى حكايه قدره ولا

يستغرق ذلك اكثر من لمع البرق ثم يستأنف العرض من جديد ويعود المرء الى القيام بجمع الساعات

والايام : الاثنين ، الثلاثاء الاربعاء.ابريل مايو يونيه ١٩٢٤ ١٩٢٥ ١٩٢٦.

هذا هو ان يعيش انسان اما حين يروى الحياه فان كل شىء يتغير غير انه تغير لا يلحظه احد

والدليل انه يتحدث عن قصص حقيقيه كما لو انه كان ممكنا ان تكون هناك قصص حقيقيه ان الاحداث

تقع في اتجاه ونحن نرويها في اتجاه معاكس ويبدو علينا اننا نبدأ منذ البداية : " حدث ذلك ذات مساء جميل من خريف ١٩٢٢ وكنت آنذاك خادم كاتب عدل في مارمون " والواقع اننا نكون قد بدأنا من النهاية انها هنا غير مرئية وحاضرة وهي التي تمنح هذه الكلمات القليلة من غير ان أنتبه وكنت افكر في متاعبي المالية " ان هذه العبارة اذا أخذت على ظاهرها ببساطة تعنى ان الرجل كان مستغرقا ضجرا عل بعد مائه ميل من المغامرة وهو بالضبط في ذلك النوع من المزاج الذى يدع للاحداث ان تمر من غير ان يراها ولكن النهاية موجودة هناك وهي تغيير كل شيء ان الرجل بالنسبة اليانا قد اصبح بطل القصة وضجرة ومتاعبة المالية هي اثن من ضجرنا ومتاعبنا انها مذهبة تماما بنور العواطف القادمة وتمضى القصة بالمقلوب : لقد كفت اللحظات عن ان تتراكم بعضها فوق البعض وهي مخطوفة حطفا سريعا بنهاية القصة التي تجذبها وكل واحدة تجذب بدورها اللحظة التي تسبقها : " كان الليل هابطا وكان الشارع مقفرا " إن العبارة ملقاه بإهمال وهي تبدو زائدة ولكننا لا ندع انفسنا نتخددع بها ونضعها جانبا انها إرشاد سندرك قيمته فيما بعد إن لدينا الشعور بأن البطل قد عاش جميع تفاصيل هذه الليلة كأنها إرهابات كأنها وعود او انه كان يعيش من التفاصيل ماكان وعودا فحسب أعمى وأصم بالنسبة لكل ما لا يرهص بالمغامرة اننا ننسى ان المستقبل لم يكن بعد هناك كان الشخص يتنزه في ليل بلا طلائع ليل كان يمنحة ثرواته الرتيبة ممتزجة ولم يكن يختار .

اردت ان تتابع لحظات حياتي وتنتظم كلحظات حياه يتذكرها المرء وكان هذا يعادل محاولة القبض على الزمن من ذنبه .

الأحد

كنت قد نسيت هذا الصباح ان اليوم يوم احد خرجت ومضيت في الشوارع كالعادة .وكنت قد حملت (اوجين جرانديه) ثم شعرت فجأة بينما كنت ادفع حاجز الحديقة العامة ان شيئا ما يومىء الى كانت الحديقة مقفرة وعارية ولكن كيف اعبر ؟ لم يكن لها مظهرها العادى بل كانت تبتسم لى وقد ظلت لحظة مستندا الى الحاجز ثم فهمت فجأة ان اليوم كان يوم احد وكان قائما هناك على الشجر وعلى

الاعشاب كبسمة خفيفة وكان ذلك لايمكن وصفه وكان يقتضى المرء ان يلفظ بسرعة : " أنها حديقة

عامة في الشتاء صباح يوم احد "

وتركت الحاجز وانفلتت نحو البيوت والشوارع البورجوازية وقلت بصوت منخفض " انه يوم الاحد "

انه يوم الاحد فقد كان خلف احواض السفن على طول البحر بالقرب من محطة البضائع وحول

المدينة كلها اكواخ فارغة والآت جامدة في الظلام وكان في جميع البيوت رجال يحلقون ذقونهم خلف

نوافذهم ان رؤوسهم مقلوبه وهم يحرقون احيانا في مراياهم واحيانا اخرى في السماء الباردة ليعرفوا ان

كانوا سينعمون بطقس جميل وتفتح المواخير ابوابها لزيابانها الاولين من القرويين والجنود وفي الكنائس

على ضوء الشموع يشرب رجل الخمر امام نساء راكعات في جميع الضواحي بين جدران المصانع التي

لا تنتهى أخذت صفوف طويلة سوداء في السير متقدمه ببطء نحو وسط المدينة وقد اتخذت الشوارع

لاستقبالهم مظهرها الذى تتخذه في ايام وسط الاضطراب فقد اسدلت جميع المخازن باستثناء مخازن

شارع " تورنوبريد " ستائرهما الحديدية ولن تلبث الاعمدة السوداء ان تغطى في صمت هذه الشوارع

التي تتمدد ميتة فيأتى اولا عمال سكك تورفيل ونسائهم الذين يعملون في مصابن سان – سامفورين ثم

صغار بورجوازيى جوكستوبوفيل ثم عمال مصانع بينو للغزل والنسيج ثم جميع حرفى حى سان – ما

كسان ساما رجال تياراش فيكونون اخر الواصلين بترام الساعة الحادية عشرة ولن يلبث جميع ايام

الاحاد ان يولد بين المخازن والابواب المغلقة .

وتدق ساعة النصف بعد التاسعة فأبدأ المسير : ان بوسع المرء ان يرى في بوفيل في مثل هذه

الساعة من يوم الاحد منظر را هاما على الا يصل متأخرا اكثر مما ينبغى عن ساعة الخروج من القديس

الكبير

ان شارع جوزفين – سولارى الصغير ميت ومنه تنبعث رائحة كهف ولكن ضجة ضخمة تملأ

ضجة مد وجزر كجميع ايام الاحد وانعطف في شارع بريزيدان – شامار الذى تتألف بيوته من ثلاثة

طوابق ذات شبابيك طويلة بيضاء ان شارع كتاب العدل هذا مأخوذ كليا بصخب يوم الاحد الهائل وتزداد

الضجة في ممر " جبيه " وانا اتعرف عليها انها ضجة يحدثها البشر ثم يحدث فجأة الى اليسار ما يشبه انفجار ضوء واصداء لقد وصلت هاهو شارع تورنوبريد وليس لى الا ان اخذ مكاني بين امثالي وسأرى السادة النبلاء يتبادلون التحية بالقبعات

منذ ستين سنة فحسب لم يكن احد ليجرؤ على التنبؤ بمصير شارع تورنوبريد العجائبي هذا الشارع الذى يطلق عليه سكان بوفيل اليوم اسم " البرادو الصغير " رأيت خارطة ترجع الى عام ١٨٤٧ لم يكن هذا الشارع حتى ماثلا فيها ولا بد انه كان آنذاك زقاقا منتنا اسود ذا ساقية تجحف بمجراها بين البلاط رؤوس السمك وامعاء ولكن المجلس القومى اعلن يفى اخر عام ١٨٧٣ ان من المصلحة العامى بناء كنيسة على تلة مونتمارنر وبعد اشهر قليلة حدث تجل لامرأة مختار بوفيل لقد جاءت سيدتها القديسة سيسيل تقدم لها نصائح أكان من المحتمل ان تتوحد النخبة كل يوم احد لتقصد كنيسة سان – رونية او كنيسة سان – كلوديان من اجل ان تحضر القداس مع الباعة ؟ الم يسبق " للجمعية الوطنية " ان ضربت المثل ؟ ان بوفيل تتمتع الان بفضل حماية السماء بمركز اقتصادى من الطراز الاول اليس من الملائم بناء كنيسة حمدا للرب ؟

وقبلت هذه الرؤى : فعقد المجلس البلدى جلسة تاريخية وقبل الأسقف أن يجمع التبرعات وبقي اختيار المكان وكان رأى أسر التجار ومتعهدي المراكب أن يقام البناء على قمه " التله الخضراء " حيث كانت تقيم هذه الأسر " لتسهر القديسة سانت – سيسيل على بوفيل كما يسهر " قلب يسوع المقدس " على باريس " وغضب سادة طريق " ماريتم " الجدد : إنهم على استعداد لاعطاء كل مايلزم شريطة أن تبنى الكنيسة في ساحة مارينيان فهم إن كانوا يدفعون للكنيسة فانما يقصدون الافادة منها وهم لم بغضبوا لاشعار هذه البورجوازية المتغترسة التى كانت تعاملهم على انهم حديثو النعمة – لم يغضبوا لاشعارها بقوتهم واقترح الاسقف تسوية : فبنيت الكنيسة في منتصف الطريق بين " التاه الاخضراء " وطريق " مارتيم " في ساحة " هال- او – مورو " التى عمدت ساحه " سانت – سيسيل – دولامير " وهذا البناء الضخم التذى انتهى عام ١٨٨٦ كلف اربعة عشر مليوناً على الاقل .

ولابد ان شارع تورنوبريد الواسع على قذارته وسوء سمعته أعيد بناؤة من جديد ودفع سكانه بقوة وراء ساحة سانت سيسيل وأصبح " البرادو الصغير " – ولاسيما صباح الاحد – ملتقى الانيقين والاعيان وفتحت المخازن واحدا فواحدا على ممر النخبه وهى تبقى مفتوحة اثنين الفصح وطوال ليله الميلاد وكل يوم احد حتى الظهر والى جانب " جوليان " المشهور بمعجناته الحارة يعرض " قولون " بائع الحلوى مصنوعاته العظيمة الخاصة من حلوى " البيتى فور " ذات الشكل لالمخروطى بالزبدة البنفسجية التى تعلوها بنفسجة من السكر وفي واجهه مكتبة " دوباتى "

تروى اخر منشورات (بلون) وبعض المؤلفات التكنيكية مثل نظرية عن " السفينة " او دراسة عن " الاشرعة " او تاريخ كبير مصور لمدينة بوفيل ومطبوعات فاخرة معروضة بأناقة مثل " كونيجسمارك " المجلد بجلد ازرق و" كتاب اولادى " لبول دومير المجلد بجلد اصفر مع زهور مارجوانية وهناك غيسلين " خياطة رفيعة موديلات باريسية " الذى يفصل بياجو بائع الزهور عن باكين بائع الاثريات ويحتل جوستاف الذى يستعمل اربعة فنيين الطابق الاول من بناية جديدة مطلية بالاصفر . منذ عامين كان محل صغير جرىء يقوم عند زاوية ممر "مولين – جيمو " وشارع تورنوبريد مايزال يعرض اعلانا عن " تو – بو – نيه " المبيد الحشرى وكان المحل قد ازدهر اذ كانوا ينادون على السمك في ساحة سان سيسيل وكان قد بلغ آنذاك سنه من عمره وكان نادرا ما يغسلون زجاج واجهته من اجل هذا كان لابد من بذل الجهد لكى يميز المرء عبر الغبار والبخار جمعا من الاشخاص الشمعية الصغيرة التى ألبست ثيابا قصيرة ذات لون نارى تمثل جردانا وفئرانا وكانت هذه الحيوانات تغادر سفينة حربية وهى تستند الى القصب وماتكاد تمس مالارض حتى تقبل فلاحه ترتدى ثيابا أنيقة ولكنها قد اسودت من الاقذار فتحملها على الهرب حين تلقى عليها مبيد الحشرات وقد كنت احب هذا المحل كثيرا وكان له منظر وقح وعنيد وكان يذكر في قحة بحقوق الدود والقذارة على بعد خطوتين من اعلى كنائس فرنسا تكلفة .

ماتت العقاقيرية العجوز في العام الماضى وباع حفيدها البيت كان كافيا هدم بعض الجدران فاذا
هى الان قاعة صغيرة للمحاضرات باسم " لابونبونيير " وقد اعطى فيها هنرى بوردو في العام الماضى
حديثا عن تسلق الجبال

وفي شارع تورنوبريد ينبغى على المرء الا يكون عجلا الاسر تمشى ببطء ويربح المرء احيانا
صفا من الصفوف حين تدخل اسرة برمتها محل فولون او بياجو ولكن ينبغى له في فترات اخرى ان
يقف حين تلتقى أسرتان تنتمى احدهما الى الصف الصاعد والاخرى الى الصف الهابط فتتشابكان
بالايدى تشابكا صلبا وأتقدم بخطى صغيرة فاشرف على الصفيين برأسى وأرى قبعات بحرا من القبعات
واكثرها سوداء قاسية وبين الحين والاخر ترى احدهما وهى تطير بطرق ذراع كاشفة التماع صلعة
رقيقا وبعد لحظات تحط على الرأس في طيران ثقيل وفى الرقم ١٦ من شارع تورنوبريد علق " أوربان"
بائع القبعات الاخصائى يفي قبعة " الكيبي " قبعة كبيرة لاسقف كأنها الرمز تتدلى طرفها الذهبية على
بعد مترين من الارض •

ويتوقف الجمع : واذا بفريق يتجمع تحت الطرر تماما وينتظر جارى من غير نفاذ صبر متدلى
الذراعين وأنا اعتقد جيدا ان هذا العجوز القصير الممتنع الخرع كالبورسليين انما هو " كوفيه " رئيس
غرفة التجارة ويبدو مخوفا جدا لفرط اعتصامة بالصمت وهو يسكن يفي قمه " التلة الخضراء " بيتا
كبيرا قرميدى السقف تظل نوافذه مشرعة ابدا ثم ينتهى الامر فقد انفرط الجمع وعاد الى السير وتشكل
جمع اخر ولكنه احتل مكانا اصغر فما كاد يتشكل حتى اندفع الى واجهه غيسين على ان الصف لم
يتوقف وانما هو ينحرف انحراف يسيرا ونلم بسته اشخاص متماسكى الايدى " صباح الخير ياسيدى
فانك ستصاب بالبرد شكرا ياسيدتى الطقس ليس حارا ياعزيزتى اقدم لك الدكتور لوفرانسوا انا سعيدة
جدا يادكتور بالتعرف اليك ان زوجى يحدثنى دائما عن الدكتور لوفرانسوا الذى عالجة ممتازة
ولكن تغط جيدا يادكتور فانك قد تصاب بأذى في هذا البرد ولكن الدكتور يشفى بسرعة اسفا ياسيدتى انما
الاطباء هم اقل الناس عناية بأنفسهم أن الدكتور موسيقى مرموق اوه يادكتور لم اكن اعرف ذلك هل
تعرف على الكمان ؟ ان الدكتور ذو موهبة غنيه "

اكيد ان العجوز القصير الوقف جانبا هو " كوفيهه " هناك في نساء الجمع واحدة هي السمراء
تأكله بعينها يفما هي تتبسم جبهه الدكتور ويبدو انها تفكر : هذا هو السيد كوفيهه لايتنازل لرؤية شىء
هؤلاء اناس من طريق " مارتيم " فهم ليسوا من عليه القوم فميذ العهد الذى اجىء يفيه الى هذا الشارع
لأرى تبادل التحية بالقبعات يوم الاحد تعلمت ان اميز اناس الطريق من اناس التله فحين يرتدى شخص
معطفا جديدا ولبادة طريه وقميصا باهرا ويتخذ المظاهر المختلفة فليس ثمة مجال للانخداع بشأنه أنه
واحد من طريق ماريتم اما رجال " التله الخضراء " فيتميزون بما لا ادريه مما يوحى بالشفقه والهبوط
لهم كنفين ضيقتين وهيئة قحة عللة وجوه بالية وانا اراهن ان هذا السيد الكبير الذى يمسك بيد غلام انما
هو من " التله " وجهه رمادى تمتت وربطة عنقه معقودة كأنها الخيط .

يقتررب الرجل السمين منا، فينظر محدقا بالسيد كوفيهه . ولكنه قبل ان يلتقي به ، يلفت راسه
وياخذ في مزاح ابوي مع صبيه الصغير . ويقوم ببضع خطي اخري ، منحنيا فوق ابنه ، وعيناها
غارقتان في عينيه ، فلا يبدو الا ابا: ثم يلتفت فجاء نحونا ، فيلقي علي العجوز القصير نظره حيه ،
ويرسم تحيه واسعه وجافه بدوره من ذراعه . ولم يكشف الصغير عن نفسه ؛ رغم حيرته : فتلك قضيه
بين الاشخاص الكبار .

عند زاويه شاره ((باس-دو- في)) يصطدم صفنا بصف من المؤمنين يخرجون من القداس، فيتصادم
عشره اشخاص ويتبادلون التحيه وهم يدومون ، ولكن حركات القبعات تمضي اسرع من ان تستطيع
تفصيلها : وفوق هذا الجمع الضخم الحب ، تنصب كنيسه سانت سيسيل كتلتها الشيطانيه البيضاء :
بياض طبشوري علي سماء معتمه ؛ وخلف هذه الجدران الساطعه ، تمسك بين جوانبها قليلا من سواد
الليل . ونعود الي السير ، وقد تغير النظام بعض الشئ .

وكان السيد كوفيهه قد دفع حتي غدا ورائي . والتصقت بجنبي الايسر امرأه ترتدي ثوبا كحليا ،
وهي قادمه من القداس . تطرف بعينها ، وهي مبهوره بعض الشئ بالعوده الي نور الصباح . وهذا
السيد الذي يمشي امامها وله رقبه هزيله جدا ، هو زوجها.

كان علي الرصيف الاخر رجل يمسك امراته من ذراعها ، وقد همس لها ببضع كلمات في اذنها واخذ

بيتسم . وسرعان ما جردت سحتها المائعه من كل تعبير وخطت بضع خطي عمياء . هذه العلامات لا
تخدع : فلا شك في انها سيحييان . وبالفعل ، لم تمض لحظة حتي قذف السيد يده في الهواء ، حتي اذا
اصبحت اصابعه علي حدود لبادته ، ترددت لحظه قبل ان تحط علي القبعه . وفيما كان يرفعها بعذوبه ،
وهو يخفض راسه قليلا ليساعد علي نزعها ، قامت زوجته بقفزه قصيره وهي ترسم علي وجهها بسمه
نضره . وتجاوزهما طيف وهو ينحني : ولكن بسمتيها التوأمين لم تمحيا علي الفور ، بل ظلتا بضع
لحظات علي شفتيهما ، في شئ من الارتعاش . وحين التقى السيد والسيد ه بي ، كانا قد استعدا جمودهما
، ولكن بقيت لهما هيئه مرح حول الفم .

انتهي الامر: الجمع اقل كثافه ، وحركات القبعات اصبحت نادره وواجهات المخازن تبدو اقل
جاذبيه ؛ اني في اقصي شارع تورنوبريد . اتر اني سأعبر الشارع واصعد علي الرصيف الاخر ؟
احسب اني اكتشفت ، فحسبي ما رأيته من هذه الصلعات الوردية ، وهذه السحن الدقيقه ، الممحوه ،
المتميزه . سأعبر ساحه مارينيان . واذا كنت انزع نفسي بحيطه من الصف انيثق بالقرب مني رأس سيد
حقيقي من قبعه سوداء . انه زوج السيده ذات الثوب الكحلي . اه ، يا لجمال صلعه الوجه الطويل ،
المزروعه بشعر قصير قاس ، ويا للشارب الاميركي الجميل الذي انبثت فيه خيوط فضيه . ولا سيما
البسمه ، البسمه الرائعه المدروسه . وهناك نظاره ايضا ، في مكان ما من الانف .
وكان يلتفت الي زوجته ويقول لها :

- رسام جديد في المصنع . وانا اتساءل عما عساه يفعل هنا . صبي صغير طيب ، خجول ، وهو

يسليني.

كان الرسام الشاب الذي اعاد قبعته الي راسه، ازاء زجاج اللحام جوليان ، ما يزال متوردا ،
خافض العينين عنيد الهيئه ، يحتفظ بجميع مظاهر الشهوة العنيفه انه بلا شك يوم الاحد الاول الذي يجرؤ
فيه علي عبور الشارع تورنوبريد وهو يبدو كمن يتناول للمرة الاولى . فقد شبك يديه خلف ظهره وادار

وجهه نحو الواجهه بهيئه حشمه مثيرة تماما ؛ وهو ينظر من غير ان يري الي اربعة امعاء لامعة تفتح علي تابلها من البقدونس.

خرجت امراه من محل اللحام فأمسكت بذراعه . انها امرأته ، وهي نضرة صبية بالرغم من جلدھا المتأكل . وهي تستطيع ان تتمشي في اطراف الشارع تورنوبريد ، ولن يعتبرها احد سيده ؛ فأن لمعان عينيها الوقح وهيئتها العاقله الرصينه نحو نانھا . ان السيدات الحقيقيات لا يعرفن ثمن الاشياء ، وهن يحبين الاعمال الجنونيه الجميله ؛ وعيونهن هي زهور جميله طاهرة ، زهور متفتحه قبل الاوان.

وحيث اذنت الساعه الواحده وصلت الي مطعم فيزليز . ان المسنين هناك ، علي مألوف العاده . بدأ اثنان منهم في تناول الطعام . وهناك اربه يلعبون الورق وهم يتناولون المقبل . اما الاخرون فواقفون ينظرون الي لعبهم بينما يعد لهم الطعام . اكبرهم ؛ وهو ذو لحيه طويله ، وكيل صرافه ؛ وهناك اخر ، مفوض متقاعد في ((التسجيل)) البحري . يأكلون ويشربون كما لو انهم في العشرين ؛ وهم يأكلون الكرنب يوم الاحد . اما اخر الواصلين ، فينادون الاخرين الذين بدأوا طعامهم.

- واذن ؟ انه دائما الكرنب الرباني ؟

ويجلسون وهم يتنهدون رضي .

- صغيرتي ما ربييت ، نصف قدح بيرة ، وضحن كرنب .

وماربييت هذه فتاة نشيطة . وفيما كنت اجلس علي طاولة ، في الداخل ، اخذ عجوز محمر الوجه

يسعل من الغضب بينما كانت تصب له قدح فرموت ، وقال وهو يسعل :

- عجا ! صبي المزيد منه .

- ولكنها غضبت بدورها : لم تكن قد انتهت من الصب:

- دعني اصب، من الذي يقول لك شيئا ؟ انك تشبه الشخص الذي يزعج نفسه قبل ان يتحدث اليه احد.

فأخذ الآخرون يضحكون.

- اصبت الهدف؟

حين اتجه وكيل الصرافه للجلوس ، اخذ مارييت من كتفها :

- اليوم هو الاحد يا مارييت . فهل تذهبين الي الي السينما بعد الظهر ، مع صديقك الصغير ؟

- - اه ، نعم ، انه يوم انطوانيت . اما بشأن الصديق الصغير ، فأنا الذي اتحمل النهار.

جلس وكيل الصرافة ، تجاه عجوز حليق الذقن ، ذي مظهر شقي . ولم يلبث العجوز الحليق ان

بدأ قصه حيه . ولم يكن وكيل الصرافة يصغي اليه :

بل كان يكشر ويشد علي لحيته . انهما لا يصغيان الي بعضهما ابدا .

أتعرف علي جاري . تاجر صغير من الجوار بصحبه زوجته ؛ ويوم الاحد ، تأخذ خادمتها اذنها

، فيقصدان هما المطعم ، ويجلسان دائماً الي الطاولة نفسها . الزوج يأكل قطعة وردية من لحم البقر ،

وهو ينظر اليها عن كثب وينخر بين الحين والحين . اما الزوجة فنحدث حركات بطيئة في صحنها .

شقاء قوية في الاربعين من عمرها ذات خدين احمرين قطنين ، ولها نهدان جميلان قاسيان تحت

قميصها من الساتان . وهي تشرق ، كالرجال ، زجاجة خمرها الاحمر في كل وجبة.

سأقرأ ((اوجيني غرانديه)) ؛ وليس السبب اني اصيب في قرأتها متعة ، وانما لابد من اعمل شيئاً

ما . وافتح الكتاب اتفاقاً : فاذا الام والابنة تتحدثان عن حب اوجيني الوليد : ((وقلت اوجيني يدها وهي

تقول :

- كم انت طيبة يا امي الحبيبة ؟

وجعلت هذه الكلمات وجه الام الذي اذبلته الام طويلة يشع اشعاعا .

وسالت اوجيني:

فلم تجب الام جرانديه بغير بسمه ؛ ثم قالت ، بعد لحظة صمت ، بصوت منخفض:

- اترك قد احببته ؟ ذلك سيكون سيئا .

قالت اوجيني : - سيئا ، لماذا ؟ انه يروق لك ، ويروق لنانون ، فلماذا لا يروق لي ؟ هيا يا ماما ،
لنهئ مائدة غدائه .

والقت بما بين يديها من عمل ، وكذلك فعلت امها وهي تقول لها :

- انك مجنونة !

ولكن لذ لها ان تبرر جنون ابنتها بان تشاطرها اياه .

ونادت اوجيني نانون :

- نعم ، ماذا تريدان ايضا يا انسة ؟

- نانون ، ايكون عندك قشدة ، عند الظهر ؟

فأجابت الخادم العجوز :

- عند الظهر ، نعم

- حسنا ، امزجها بكثير من القهوة ، فقد سمعت من يحدث السيد ديجراسين ان القهوة توضع بكثر
في باريس . فأكثري منها .

- من اين تريدان ان اني بها ؟

- اشترها .

- واذا التقى بي السيد ؟

- انه في حقوله.....))

كان جاري وزوجته قد بقيا صامتين منذ وصولي . ولكن صوت الزوج انتزعني فجأة من قراءتي

، اذ قال بلهجه غامضة مرحة :

- قولي ، هل رأيت ؟

فأنتفضت المرأة ونظرت اليه ، خارجه من حلم . وظل يأكل ويشرب ، ثم استطرده باللهجه الخبيثة

نفسها :

- ها ! ها !

وساد صمت ، وعادت المرأة فسقطت في حلمها . ثم ارتعشت فجأة وسألت :

- ماذا تقول ؟

- سوزان بالامس

قالت المرأة : -اه نعم ! لقد ذهبت لمقابلة فيكتور.

- ما الذي كنت قد قلته لك؟

ودفعت المرأة صحنها بهيئه من فقد صبره :

- انه طعام ردي .

وكانت اطراف صحنها ملاي بأكر من اللحم الرمادي الذي لفظته .

وتابع الزوج فكرته :

- تلك المرأة القصيرة هناك....

صمت وهو يبتسم بغموض . وكان وكيل الصرافة تجاهنا يلامس ذراع مارييت وهو يلهث قليلا
وبعد لحظة:

- سبق ان قلت لك ذلك ، منذ ايام .

- ما الذي قتلته لي؟

- انها ستذهب لمقابله فيكتور .

ثم سأل فجأه بلهجه مذعورة :

- ماذا هناك ؟ الا تحبين هذا ؟

- انه طعام ردي .

فقال في اهمية :

- ليس الامر بعد كما كان في عهد هيكار . اتعرفين اين هو ، هيكار ؟

- اليس هو في دومريمي ؟

- بلي ، بلي ؛ من قال لك ذلك ؟

- انت، قتلته لي يوم الاحد .

اكلت كسرة خبز كانت ملقاه علي خوان الورق . ثم قالت وهي تملس بيدها الورق علي حافه الطاولة
، متردده :

- اتعرف انك مخطئ ؟ ان سوزان اكثر...

فأجاب في شرود :

- هذا ممكن ، ممكن جدا يا صغيرتي :

وبحث بعينه عن مارييت ، ثم اوما لها .

- الطقس حار .

استندت مارييت بألفة علي حافة الطاولة . فقالت المرأة وهي تنن :

- اوه ! نعم ، الطقس حار . المرء ليختنق هنا ، ثم ان لحم البقر رديء ؛ وسأبلغ المعلم ذلك ، تغيرت

الحال . افتحي قليلا كوة الباب ، يا صغيرتي مارييت .

استعاد الزوج هيئته المرححة:

- ولكن الم تري عينيها ؟

- متي يا عزيزتي ؟

فقلدها بنفاد صبر:

- متي يا عزيزتي ؟ انت لا تتغيرين : في الصيف ، حين يهطل الثلج .

- تقصد امس ؟ اوه، حسنا!

ضحكك ، ونظر الي البعيد ، ثم قال بسرعة ، في شئ من الجهد:

- عينا قطة تغوط في الرماد .

بدا من شدة الرضي بحيث نسي ما كان يود ان يقول . واخذها المرح بدورها ، من غير فكرة مسبقة:

-ها !ها ! يا لك من خبيث كبير !

وجهت الي كتفه ضربات صغيرة :

- يا لك من خبيث كبير ! يا لك من خبيث كبير!

فردد في مزيد من الثقة :

- ... قطة تغوط في الرماد .

لكنها كفت عن الضحك :

- كلا، انها حقا رصينة.

وانحني فهمس في اذنها حكاية طويلة . ونظرت لحظة فاغرة الفم ، متوترة الوجه ، جذله، كمن

يوشك ان ينفجر ضاحكا ، ثم ارتدت فجأة الي خلف وخمشت يديه قائله:

- هذا غير صحيح ، هذا غير صحيح .

قال بلهجه متعقله رصينه:

- اصغي الي يا صغيرتي ، ما دام قد قالها : فلو لم يكن صحيحا ، فلماذا تراه قد قالها ؟

- لا، لا

- ولكن ما دام قد قالها : اسمعي ، افرضي ...

فأخذت تضحك:

- اضحك لانني فكرت في رينه.

- نعم.

ضحك هو ايضا . واستطردت بصوت منخفض ينم عن الاهمية:

- انه اذن لاحظ الامر يوم الثلاثاء .

- بل يوم الخميس

- كلا ، بل الثلاثاء ، انت تعلم بسبب...

رسمت في الجو شكلا اهللجيا، ثم ساد الصمت . وغمس الزوج كسرة خبز في مرقه ؛ وغيرت ماريبيت الصحون وحملت لهما الحلوي . عما قليل ، سأخذ انا ايضا قطعة حلوي . وفجأه ارسلت المرأه وهي في وضع حالم، وعلي شفيتها بسمه اعزاز لا تخلو من دهشه ، صوتا ممطوطا :

- اوه ، كلا، انت تعلم!

كان في صوتها قدر كبير من الشهوانييه ، حتي انه انفعل ولا مس رقبتها بيده السمينه . وتمتمت وهي تبتسم ، وفمها ممتلى :

- كفي يا سارل ، اصمت ، ان تثيرني يا حبيبي.

حاولت ان استأنف قراءتي:

- من اين تريد ان أتى بها ؟

- اشترىها .

- واذا النقي بي السيد ؟ ((

ظللت اسمع المرأه تقول :

- اسمعي يا مارت ، انني سأضحكها : سأروي لها...

ثم سكت جاري وزوجته . واعطتها ماريبيت ، بعد الحلوي ، خوفا ، فأنشغلت المرأه كل الانشغال بأن اخذت تبيض النوي ، برشاقه ، في ملعقتها .

كان الزوج، وعينه في السقف ، يوقع علي الطاولة لحنا عسكريا . فكأن من يراها يعتقد ان حالتها الطبيعية هي الصمت ، وان الكلام حمي صغيرة تتنابها احيانا .

((- من اين تريدين ان اتي بها ؟

((-اشترىها))

أغلقت الكتاب ، ومضيت لآتنزه.

حين خرجت من مطعم فيزاليز، كانت الساعة تقارب الثالثة ؛ كنت احس بعد الظهر في كل جسمي المثقل . لابعده ظهري انا : وانما بعد ظهرهم هم ، ذلك الذي سيعيشه الف من سكان بوفيل بطريقه مشتركه . انهم في هذه الساعات نفسها ، بعد غداء الاحد اللذيذ الطويل ، ينهضون عن الطاولة ، وقد مات شئ ما في نظرهم . ان يوم الاحد قد اتلف شبابه الحفيف . ويجب هضم الفروج والحلوي ، وارتداء الثياب للخروج.

كان جرس سيما الدورادو يصدي في الهواء الطلق . انها ضجة يوم الاحد المألوفة ، هذا الجرس في وضح النهار . كان اكثر من مائة شخص واقفين في الصف ، بأزاء الجدار الطويل الاخضر . وكانوا ينتظرون بنهم ساعة الظلمات اللذيذة ، ساعة الاسترخاء والاستسلام ، الساعة التي تلتئم فيها الشاشة كأنها حصة بيضاء تحت الماء ، ثم تحكي وتحلم لهم. اها لرغبة غير مجديه : شيئا ما فيهم سيظل منقبضا ؛ انهم خائفون اكثر مما ينبغي ان يفسد يوم اجدهم . وسيصابون، عما قليل ، بالحبيه، كما يحدث كل احد : سيكون الفيلم سخيفا ، او سيدخن جارهم الغليون وبيصق بين ركبتيه ، او سيكون لوسيان مزعجا جدا ، اذ انه لن يملك كلمه لطيفة يقولها ، ا وان وجعهم بين الاضلاع سيعاودهم اليوم ، اليوم بالذات ، حين قرروا ان يقصدوا السينما وستتبعث في الثاعة المظلمه ، عما قليل ، الوان صغيره من الغضب الاصم المتنامي

وواصلت سيرتي في شارع بريسان الهادئ وكانت الشمس قد بددت السحب وصفا الجو . وخرجت اسرة من مقصورة ((الافاج)) كانت الفتاة تزرر قفازيها علي الرصيف ، كانت في حدود الثلاثين من عمرها .

اما الام ، فكانت مزروعة علي الدرجة الاولي من السلم ، تنظر امامها بأستقامه ، وهي تتنفس تنفسا عريضا ، بهيئه مطمئنة ولم اكن ارى من الاب الا الظهر الهائكان منحنيا على القفل يغلق الباب بالمفتاح البيت سيبقى خاليا مظلما حتى عودتهم في البيوت المجاورة المغلقة المقفرة كان الاثاث والارض الخشبية قد يقططان على مهل كان السكان قبل ان يخرجوا قد اطفأوا النار في موقد غرفة الطعام لحق الاب بالمرأتين وأخذت الأسرة في السير من غير كلام اين تراهم ذاهبين ؟ الناس يقصدون يوم الاحد المقبرة الضخمة او يزورون اقارب لهم او يقصدون لاجيتية للتنزه اذا كانوا احرارا تماما وكنت حرا : واصلت سيرى في شارع بريسان الذي يفضى الى منتزة " لاجيتيه "

كانت السماء ذات زرقة شاحبة : بعض دخان وبعد طير البلشون وبين الحين والآخر تتحرف سحابه فتمر اما م الشمس كنت أرى في البعيد سياج الاسمنت الابيض الذي يدعو على طول منتزة " لاجيتيه " كان البحر يلتمع عبر الفتحات وسلكت الاسرة الى اليمين شارع " امونيه - هيلار " الذي يصعد الى " التله الخضراء " رأيتهم يصعدون بخطى فيشكلون ثلاث لطخات سوداء على التماع الاسفلت وانعطفت الى اليسار فدلفت في الجمع الذي كان يسير على حافة البحر .

كان الجمع اكثر اختلاطا من الصباح كان يبدو ان جميع هؤلاء الناس لم يملكوا القوه للمحافظة على ذلك التدرج الاجتماعى الجميل الذى كانوا قبل الغذاء فخورين به كل الفخر كان التجار والموظفين يسيرون جنبا الى جنب وكانوا يدعون لانفسهم ان يلامسهم بالمرافق بل ان يصدمهم ويدفعهم عما لصغار ذوو سحن بانسة هكذا كانت الارستوقراطيات والنخب والفرق المهنية قد ذابت في هذا الجمع الدافىء وكان يبقى ثمة اناس شبه متوحدين قد كفوا عن ان يمثلوا

مستنقع نور في البعيد ذلك هو البحر في حالة الجزر وكان بعض صخور مزدهرة تنقب برؤوسها هذا السطح المنير وعلى الرمل كانت قوارب صيد منتطحة غير بعيد عن المكعبات الحجرية الدبقة التى قذفت في غير انتظام على الرصيف لتحميه من الامواج كانت تدع فيما بينها تقوبا مليئة بالصخب عند مدخل المرفأ كانت مجرفه للرمل تلقى ظلها على السماء التى بيضتها الشمس تهدر كل

مساء حتى منتصف الليل وتجرف الوانا مختلفة من الاشياء اما يوم الاحد فان العمال يتنزّهون على

الارض وليس ثم هالا حارس على الشاطيء وهكذا تصمت المجرفة

كانت المس صافية وشفافة الضوء : خمرة بيضاء كان نورها لا يكاد يلامس الاجسام ولا يمنحها

ظلالا ولا بروزا : فكانت الوجوه والايدي تحدث لطخات ذهبية شاحبة كان جميع اولئك الرجال في

معاطفه يبدون وهم يعومون ببطء على بوصات من الارض وبين الحين والحين كانت الريح تدفع الينا

أشباحا ترتجف كأنها الماء كانت الوجوه تنطفئ لحظة وتصيح طبشيرية

ذلك كان يوم الاحد كان الجمع محشورا بين السياج ومداخل المقاصير يتدفق موجات صغيرة

ليذهب فيضيع في الف مجرى خلف فندق شركة الترانسأطنطيك وما اكثر الاولاد اولاد في العربا وبين

الاذرع ورايدي وهم يسيرون مثنى وثلاث اما ذويهم بهيئة متكيفي الوقار كنت قد رايت جميع هذه

الوجوه قبل ذلك بساعات في ظاهر من الانتصار في شباب صباح احد اما الان فهي تسيل شمسا ولا تعبر

بعد الا عن السكون والاتخاء وعن لون من العناد

قليل من الحركة صحيح ان ثمة بعد تلويحات بالقبعات ولكنها خاليي من فخامه الصباح ومن

مرحة العصبى كان الناس يستسلمون للتقهقر قليلا مرفوعى الراس بعيدى النظر متروكين للريح التى

كانت تدفعهم نافخة معاطفهم وتتبعث بين الحين والاخر ضحكة جافة سرعان ما تخنق صيحة ام جانو

هل تريد ان ثم يعود الصمت رائحة تبغ اشقر خفيفة : انهم المستخدمون الذين يدخنون سلامبو عائشة

سكاير يوم الاحد وقد حسبتنى اقرأ على بعض الوجوه الاكثر استسلاما شيئا من الاسى ولكن لا ان هؤلاء

الاشخاص لم يكونوا تعساءولا مرحين وانما كانوا يستريحون كانت عيونهم الثابتة والمفتوحة على سعتها

تعكس البحر والسماء في غير ما حركة انهم سيعودون عما قليل الى بيوتهم فيشربون فنجان شاي مع

افراد العائلة على طاولة غرفة الطعام اما الان فانهم كانوا يريدون ان يعيشوا بأقل تكلفة ممكته وان

يقتصدوا الحركات والكلمات والافكار ان يسبحوا متمدين على ظهورهم لم يكونوا يملكون الا يوما واحدا

ليمحوا تجعداتهم ومظهر ايديهم المفلحة والثنيات المرة التى يخلفها جهد الاسبوع يوم واحد كانوا

يشعرون بالدقائق تسيل من بين اصابعهم اتراهم سيتاح لهم الوقت لكى يجمعوا من الشباب ما فيه الكفاية

حتى ينطلقوا من جديد صباح الاثنين ؟ كانوا يتنفسون بملء رئتيهم لان هواء البحر يحيى انفسهم
وحدها انفسهم المنتظمة العميقة الشبيهة بأنفاس النائمين كانت ماتزال شاهدة على حياتهم كنت امشى
بخطى ذئبيه ولم اكن ادري ما الذى افعله بجسمى القاسى الرطب وسط هذا الجمع الفاجع الذى كان
يستريح .

كان لون البحر قد الصبح بلون الحجر الارتوازي كانت ترتفع ببطء وستكون عالية عند هبوط
الليل وسيكون منتزة " لاجيتيه " هذه الليلة اقفر من جادة فيكتور - نوار وسوف تلتمع في المقدمة والى
اليسار نار حمراء في الممر الضيق

كانت الشمس تهبط رويدا على البحر وكانت تحرق بمرورها نافذة مقصورة نور مانديه رفعت امرأة
مبهورة يدها الى عينيها بحركة متعبه وحركت رأسها وقالت بضحكة مترددة:

- جاستون هذا يبهرنى

فقال زوجها - هيه ؟ انها شمس صغيرة لطيفة قد لاتدفيء ولكنها مع ذلك تبعث على اللذة

قالت وهى تلتف الى البحر

-- كنت احسب اننا سنراها

فقال الرجل :- لاحظ لنا بذلك يفهى في الشمس

- لابد انهما كانا يتكلمان عن جزيرة " كايبوت " التى كان المفروض ان يرى رأسها الجنوبى بين المجرفة
ورصيف المرفأ

رق الضوء وكان شىء ما في هذه الساعة القلقة يؤذن بالمساء لقد اصبح لهذا الحد ماض وكانت
المقاصير والدرابزين الرمادى تبدو و: انها ذكريات قريبة العهد جدا وكانت الوجوه تفقد فراغها واحدا
فواحدا

واصبح عدد منها رقيقا تقريبا

ثمة امرأة حامل تستند الشاب اشقر ذى هيئة وحشية قالت

- هناك هناك انظر

- ماذا ؟

- هناك هناك زمج الماء

فهز كتفيه : لم يكن ثمة من زمج وكانت السماء قد اصبحت نقيه تقريبا وردية بعض الشىء في الافق

- سمعتها اصغ اليها انها ترقرق

فأجاب :- انما ذلك شىء قد صر

والتمع مصباح غاز وظننت ان مشعل المصابيح قد مر الاولاد يترصدونه ذلك انه كان يعطى

اشارة العودة ولكن لم يكن ذلك الا انعكاسة الشمس الاخيرة صحيح ان السماء كانت ماتزال مشرقة ولكن

الارض كانت تسبح في الظل وكان الجمع يبدد وكانت زمجرة البحر تسمع بوضوح رفعت امرأة شابه

مستندة بكلتا يديها الى الدرايزين وجهها الازرق الذى خططه بالاسود حمرة الشفتين رفع وجهها نحو

السماء وتساءلت لحظة عما اذا كنت لن احب الناس ولكنه كان بعد كل حساب احدهم هم لا احدى

وكان النور الاول الذى اضاء هو نور منارة كايوت وتوقف صبي صغير بقربى وتمتم بلهجة

انتشاء " اوه ! المنارة ! "

وشعرت بقلبي اذا ذاك مليئا بأحاساس مغامرة عميق

* * *

انعطفت الى اليسار ومن شارع " فوالبيه " بلغت " لوبوتى براد " كان الستار الحديدى مسدلا على
الواجهات وكان شارع " تورنوبريد " مشرفا ولكنه مقفر فقد مجده الصباحى القصير فليس ثمة ما يميزه
بعد في هذه الساعة عن الشوارع المجاورة وهبت ريح قوية بما فيه الكفاية زوسمعت قبعة الاسقف
المصفحة تصر .

انا وحيد وقد عاد معظم الناس الى بيوتهم يقرأون صحيفة المساء وهم يستمعون الى الراديو وقد
خلف الاحد الذى انتهى مذاق رماد عندهم وبدأ فكرهم يلتف الى يوم الاثنين ولكن ليس لى انا احد او
اثنين هناك ايام تتدافع في غير انتظام ثم فجأة التماعات كهذه الالتماعات

لم يتغير شىء ومع ذلك فكل شىء موجود على نحو اخر لا استطيع ان اصور ان الامر "
كالغثيان " وهو مع ذلك عكسه تماما : إن مغامرة تحدث لى اخيرا وحين اتساءل ارى " انه يحدث لى
انى انا وانى هنا أنا الذى اشق الليل وانى لسعيد كبطل روايه

شيئا ما سيقع ففي ظرم شارع" باس - دو - في " ينتظرنى شىء ما وهناك عند زاوية هذا
الشارع الهادىء ستبدأ حياتى انى ارانى اتقدم بأحساس من حتمية القدر في زاوية الشارع نوعا من
النصب الابيض كان يبدو من بعيد اسود تماما وهو لى كل خطوة يميل اكثر فاكثر الى البياض هذا
الجسم المظلم الذى يتضح رويدا رويدا يخلف لى انطبعا خارقا فحين يصبح مضيئا كل الاضاءه ابيض
تماما سأتوقف بقربه تماما وانذاك تبدأ المغامرة انها قريبة جدا الان هذه المنارة البيضاء التى تخرج من
الظلام حتى انى اصبت بالخوف وفكرت لحظة في ان اعود ادراجى ولكن ليس ممكنا احباط السحر
واتقدم وامد يدي والمس النصب

ما هو شارع(باس دو في) و كتلة كنيسة سانت سيسيل الهائلة القابعة في الظل و التى يلتمع
زجاج واجهاتها وتصر القبعة المصفحة لست ادري ان كان العالم هو الذى ضيق حدوده فجأة ا وان كنت
انا الذى يضيع بين الاصوات و الاشكال وحدة قوية الي هذا الحد : اننى لا استطيع حتى ان اتصور ان
شيئا مما يحيط بي هو غير ما هو

اتوقف لحظة و انتظر واحس بان قلبي يخفق و اقلب بعيني الساحة المقفرة فلا اري شيئا هبت
ريح قوية بما فيه الكفاية اخطات شارع (باس دو في) لم يكن الا محطة و الشئ انما ينتظرنني في جوف
ساحة دو كوتون

لست مستعجلا لاستئناف السير ويخيل لي اني لمست ذروة سعادتي ما الذي لم ابذله في مرسيليا
وشنغهاي ومكناس لاربح احساسا مليئا الي هذا الحد كهذا الاحساس ؟ انني اليوم لا انتظر بعد شيئا و انا
تعود الي بيتي في نهاية احد فارغ : هنا

امضي من جديد وتحمل لي الريح صرخة صفارة انني وحيدة ولكنني اسير كفرقة تهبط نحو
مدينة هناك اللحظة سفنا تصدي بالموسيقى في البحر و انوارا تضاء في جميع مدن اوروبا وشيوعيين
ونازيين يطلقون النار في شوارع برلين وعاطلين عن العمل يضربون ارض نيويورك المبلطة و نساء
بالقرب من مراياهن في غرفة دافئة يضعن الريميل علي جفونهن وانا هنا في هذا الشارع المقفر وكل
طلقة نار تنطلق من نافذة في نوكلن وكل حشجة دامية تصعد من جرحي يحملون و كل حركة دقيقة
تاتيها نساء يتبرجن تجيب علي كل خطوة من خطواتي و علي كل خفقة من خفقات قلبي.

امام زقاق جيلية لم اعرف بعد ما ينبغي لي ان افعل اترام لا ينتظرونني في جوف الزقاق ؟ و
لكن هناك ايضا في ساحة دو كوتون باقصي شارع تورنوبريد شيئا ما يحتاج الي ليولد انني ممثلي ضيقا
فان ادني حركة تلزمني ولا استطيع ان احس بما يريدونمني ولا بد مع ذلك من الاختيار اني اضحي
بزقاق جيليه وساجهل دائما ما كان يخبئه لي ساحة دو كوتون خالية اتراني قد اخطات؟ يخيل الي اني لن
احتمل ذلك اصحيح انه لن يحدث شئ ؟ انني اقترب من اضواء مقهي مابلي انني مضطرب فاقد الاتجاه
ولا ادري ان كنت سادخل القي نظرة عبر الواجهات الكبيرة المبخرة

القاعة غاصة و الهواء ازرق بسبب دخان السجائر و البخار الذي تصعده الثياب الرطبة امينة
الصندوق علي صندوقها اعرفها جيدا حمراء الشعر مثلي و في بطنها مرض تفسد قليلا تحت تنورتها
ببسمة كنيبة شبيهة برائحة البنفسج التي تصعدها احيانا الاجسام وهي في حالة التحليل وتسري في

جسمي رعشة من الراس حتي القدمين انها هي التي تنتظرنني كانت هناك ناصبة نصفها الاعلي الجامد
فوق الصندوق وكانت تبتمس ان شيئاً ما من جوف هذا المقهي يرتد الي خلف علي لحظات هذا الاحد
المتناثرة فيصهرها فيما بينها و يعطيها معني عبرت هذا النهار كله لاصل الي هنا جبتهتي ملتصقة بهذه
الواجهة لاتأمل هذا الوجه الدقيق الذي يتفتح علي ستار محملي احمر توقف كل شي توقفت حياتي هذه
الواجهة الكبيرة وهذا الهواء الثقيل الازرق كانه الماء وهذه النبتة السمينة في فعر الماء و انا نفسي اننا
جميعا نشكل كلا جامدا ممتلئا واني لسعيد

حين الفيتني ثانية في طريق (لارودوت) لم يكن باقيا لدي بعد الا اسف مرير كنت اقول شعور
المغامرة ذاك ربما لم يكن ثمة شئ في العالم احرص عليه اكثر منه ولكنه يجئ حين يشاء و يذهب
بسرعة عجيبة وكم اجدني جافا حين يذهب ولكن اتراه يقوم بهذه الزيارات القصيرة الساخرة ليدلل لي
اني اضعت حياتي ؟

خفي في المدينة في الشوارع الكبيرة المستقيمة باضواء مصابيحها الباردة كان حادث اجتماعي
هائل يحتضر انه نهاية الاحد

الاثنين

كيف استطعت ان اكتب امس هذه العبارة الضخمة اللامعقولة:

" كنت وحيدا ولكني كنت اسير كفرقة تهبط الى مدينة "

لا حاجة بي الى صنع العبارات انني اكتب لاوضح بعض الملابسات يجب الاحتراز من الادب

ينبغي للمرء ان يكتب كما يقوده قلمه من غير ان يبحث عن الكلمات .

والحق ان مايفرنى هو اني كنت مساء امس جزل الانشاء حين كنت في العشرين من عمرى

كنت اتمل ثم اشرح اني رجل على شاكلة ديكارت وكنت احس جيدا اني كنت انتفخ بطولة وكنت استسلم

لذلك كان هذا يروق لى غير اني في اليوم التالي ينتابنى مثل الاشمئزاز الذى احسه كما لو اننى استيقظ

في سرير ملء بالقيء لا اقيء حين اثل ولكن الامر يعادل اكثر من ذلك بالامس لم يكن لي حتى عذر السكر تحمست كالابله اننى محتاج الى تنظيف نفسى بافكار مجردة شفافة كالماء .

شعور المغامرة ذاك غير صادر حتما عن الاحداث ولقد قام على ذلك الدليل وانما هو صادر بالاحرى عن الطريقة التى بها تتسلسل اللحظات هاهى القضية افكر بما يحدث يشعر المرء فجأة بأن الزمن يجرى وان كل لحظة تؤدى الى لحظة اخرى وهذه الى ثالثة وهكذا كل لحظة تتلاشى ولا جدوى من محاولة امساكها الخ الخ ٠٠٠ واذ ذاك نعزو هذه الخاصية للاحداث التى تبدو لنا " في " اللحظات أن ما يخص الشكل يعزى الى المضمون وبالاجمال يتحدثون طويلا عن جريان الزمن هذا العظيم ولكنه لايرى ابدا اننا نرى امرأة فنفكر في انها ستصبح عجوزا غير اننا لا " نراها " تشيخ ولكن يخيل الينا احيانا اننا نراها تشيخ وأننا نحسنا نشيخ معها : ذلك هو شعور المغامرة .

هذا يسمى اذا لم أخطيء التذكر لامقلوبية الزمن وشعور المغامرة يعادل بكل بساطة الشعور بلا مقلوبية الزمن ولكن لماذا لا نملكة دائما ؟ هل مرد ذلك ان الزمن ليس دائما ممتنعا عن القلب ؟ هناك لحظات يحس المرء فيها ان بوسعه ان يفعل ما يريد ان يذهب الى امام او يتراجع الى خلف وأن هذا لاهمية له وهناك لحظات اخرى يقول المرء فيها ان الحلقات قد ضاقت وليست القضية في تلك الحالة ان يفوت عليه الامر لانه لن يستطيع بعد ان يعيده من جديد .

كانت أنى ترد الى الزمن كل ماكان يستطيعه فحين كانت في جيبوتى وكنت انا في عدن وحين كنت اقصدها لاربع وعشرين ساعة كانت تتفنن في مضاعفة سوء الفهم بيننا حتى لايبقى على ذهابى الا ستون دقيقة تماما ستون دقيقة الوقت اللازم لاشعار المرء بأن الثوانى تمر واحدة واحدة وانا اذكر احدى تلك الامسيات العظيمة كان على ان ارحل عند منتصف الليل وكنا قد قصدنا دارا للسينما في الهواء الطلق وكانت هى على مثل يأسى ولكنها كانت تمثل اللعبة وعند الساعة الحادية عشرة حين بدأ الفيلم الكبير تناولت يدي فشدت عليها بين يديها من غير ان تنبس بكلمة وأحسستى مغمورا بفرحة جافية فأدركت من غير ان انظر الى ساعتى انها كانت الساعة الحادية عشرة ومنذ تلك اللحظة بدأنا نحس الدقائق تجرى وكنا سنفترق في تلك المرة لمدة ثلاثة اشهر وذات لحظة عرضت على الشاشة صورة

بيضاء تماما فرق الظلام ورأيت ان انى كانت تبكى ثم تركت يدي عند منتصف الليل بعد ان شدتها بعنف ونهضت فمضيت من غير ان اقول لها كلمة واحدة وكان ذلك عملا موقفا كل التوفيق

الساعة السابعة مساء

يوم عمل لم يكن ردينا جدا كتبت ست صفحات يفي شىء من المتعة لاسيما وانها كانت تأملات مجردة عن عهد بول الاول بقيت بعد إدمان الامس مزررا طوال النهار كان ينبغي الا اطلب العون من قلبى ولكنى كنت احسنى في متعة كبيرة وانا افكك نوابض الاوتوقراطية الروسية غير ان رولبون هذا يضايقتى يبدو شديد الغموض في اصغر الامور .

ما الذى تراه استطاع ان يفعل في اوكرانيا في شهر اغسطس عام ١٨٠٤ ؟ انه يتحدث عن رحلته بعبارات محجبة :

" الاجيال القادمة ستحكم ما اذا كانت جهودى التى لا يستطيع النجاح ان يكافئها لم تكن تستحق خيرا من انكار وحشى والوان من الاذلال كان لابد من تحملها بضممت حين كنت املك في صدرى ما اخرس به الهازئين والقيهم في الخوف "

انخدعت به مرة : كان يبدو مليئا بالتكتمات المدعية حول موضوع رحلة قصيرة كان قد قام بها الى بوفيل عام ١٧٩٠ أضعت شهرا في التحقق من اعماله وحركاته تبين في اخر المطاف انه جعل ابنه احد مزارعية تحمل منه اليس هو بكل بساطة ممثلا هزليا دجالا ؟

احسنى مليئا بالحق على هذا المختال الصغير الكذاب وربما كان ذلك حزنا مصحوبا بالغضب كان يسحرنى ان يكذب على الاخرين ولكنى كنت اود لو انه استثنائى من ذلك كنت احسب اننا سنتفاهم من فوق رؤوس جميع الاموات وان الامر سينتهى به الى كشف الحقيقة لى ! لكنه لم يقل شيئا لم يقل شيئا على الاطلاق لم يقل اكثر مما قال للاسكندر او للويس الثامن عشر الذى كان نخدعة يهمنى كثيرا ان يكون رولبون شخصا معتبرا. خبيث بلا شك فمن ليس كذلك ؟ ولكن اكان خبثة كبيرا ام صغيرا ؟ لا

احترم التحريات التاريخية بما فيه الكفاية لكي اضيع وقتي مع انسان ميت لو كان على قيد الحياة لما تنازلت للمس يده ما الذي اعرفه منه ؟ ليس بالامكان ان يحلم المرء بحياة اجمل من حياته : ولكن اهو الذي صنعها ؟ ليت رسائلة لم تكن مدعية الى هذا الحد ٠٠ آه ! كان ينبغي معرفة نظرة فربما كانت له طريقة نظيفة لامالي رأسة على كتفه او لنصب سبابته الطويلة في هيئة خبيثة بجانب انفه او لاطهار عنف موجز بين كذبتين مهذبتين ثم مايلبث ان يخنق ذلك العنف ولكنه مات : ولم يبق منه الا " دراسة عن الاستراتيجية " و " تأملات حول الفضيلة " لئن ارخيت لنفسى العنان لنجحت في صورة : فيما وراء سخريته اللامعه التي سببت كثيرا من الضحايا انسان بسيط ساذج تقريبا يفكر قليلا ولكنه اوتى كياسة عميقة تمكنه في كل مناسبة من فعل ماينبغي فعله بالضبط ان خبئه طاهر تلقائي سخي كل السخاء في مثل اخلاص حبه للفضيلة وهو بعد ان يخون اصدقائه والمحسنين اليه يرتد الى الاحداث بجد ليستخرج منها الغيرة الاخلاقية لم يفكر قط ان له ادنى حق على الاخرين وليس للاخرين ادنى حق عليه فالهبات التي تمنحها اياه الحياة انما يعتبرها مجانية وغير مبررة يتعلق بكل شيء تعلقا شديدا ولكنه ينفصل عن كل شيء بسهولة ورسائلة وآثارة لم يكتبها هو نفسه قط وانما كلف الكاتب العام بتأليفها لو كانت القضية ان ابلغ ما بلغته الان لكان احري بي ان اكتب رواية عن المركيز دورولبون

الساعة الحادية عشرة ليلا

تناولت العشاء في مطعم " رانديفو دي شامينو " ولما كانت صاحبتة موجودة كان لا بد لي من مضاجعتها ولكن كان بدافع التأذب انها تنير اشمنزازی قليلا فهي مفرطة البياض ثم ان رائحتها تشبه رائحة الطفل الوليد كانت تشد رأسى الى صدرها في فيض من العاطفة المهووسة وهى تحسب انها تحسن صنعا اما انا فكننت التقط فرجها بشرود تحت الغطاء ثم تخدرت ذراعى وكننت افكر في السيد دورولبون ما الذى يمنعنى بعد كل حساب من كتب روايه طويلة عن حياته ؟ وتركت ذراعى تمر على خاصرة صاحبة المطعم فرأيت فجأة حديقة صغيرة ذات اشجار واطئة عريضة تتدلى منها اوراق ضخمة يغطيها الشعر وكان ثمة نمل يعدو في كل مكان وحرش وسوس وكان ثمة ايضا حيوانات افطع : كانت

اجسامها مصنوعة من قطعة خبز محمص كذلك الذى يوضع تحت الحمام وكانت تمشى جانبا بارجل
عقربية وكانت الاوراق العريضة مسودة لكثرة ما عليها من حشرات ومن خلف شجر الصبار كانت فيلادا
الحديقة العامى تشير باصبعها الى فرجها وقد صحت : " ان هذه الحديقة تصعد رائحة قىء " قالت
صاحبة المطعم :

- لم اكن اريد ان اوقظك كان لى تحت اليتى ثنيه قماش ثم يجب على ان اهبط الى تحت من اجل
زبائن قطار باريس

ثلاثاء المرفع

جلدت موريس باريس كنا ثلاثة جنود وكان يفي منتصف وجه احدنا ثقب واقترب موريس
باريس فقال لنا : " هذا حسن ! " وأعطى كلا منا باقة من البنفسج قال الجندى ذو الرأس المثقوب : " لا
ادرى اين اضعها " فقال له موريس باريس : " يجب ان تضعها وسط الثقب الذى فى رأسك " فاجاب
الجندى : " بل سأضعها لك فى استك " وقلبنا موريس باريس ونزعنا عنه لباس عورته وكان هذا اللباس
ثوب كاردينا احمر ورفعنا الثوب فأخذ موريس باريس يصيح : " انتبهوا ان لى سروالا ذا سير " ولكننا
جلدناه حتى الدم ورسمنا على مؤخرته ببراعم البنفسج راس ديروليد"

منذ حين اتذكر احلامى اكثر مما ينبغى والحق انه لا بد انى اتقلب كثيرا فى اثناء نومى لاننى اجد
فى كل صباح لحافى على الارض اليوم هو الثلاثاء المرفع ولكن ذلك لايعنى شيئا هاما فى بوفيل لايكاد
يتنكر فى المدينة كلها اكثر من مائه سخص

واذ كنت اهبط السلم نادتنى صاحبة الفندق

- لك رسالة

رسالة : كانت اخر رسالة تلقيتها من امين محفوظات مكتبه روان فى شهر مايو الماضى وقادتنى
صاحبة الفندق الى مكتبها وبسطت لى ظرفا طويلا اصفر منتفخا انها رسالة من آنى هاهى خمسة اعوام

تنقضى من غير ان اتلقى شيئاً منها كانت الرسالة قد ذهبت بتحت عنى في منزلى ببباريس وهى تحمل طابع او فبراير وخرجت وانا امسك المغلف بين اصابعى ولا اجرؤ على فضه انى لم تغير ورق رسائلها واتساءل عما اذا كانت لاتزال تشتريه من مكتبه بيكاديللى الصغيرة . اعتقد انها حافظت ايضا على تسريحة شعرها وعلى خصلاتها الطويلة الثقيلة التى لم تكن تريد قصها ولا بد ان تصارع في صبر اما المرايا لتنفذ وجهها : ليس ذلك بداعى التألق ولا خوفا من الشيخوخة وانما هى تريد ان تبقى كما هى كما هى تماما ولعل هذا هو ماكنت اوثره فيها هذه الامانة القوية القاسية لادنى ملمح في وجهها

كانت حروف العنوان الصلبة المكتوبه بالحبر البنفسجى (لم تغير حبرها كذلك) ماتزال تلمع قليلا " السيد انطوان روكتان "

كم احب ان اقرأ اسمى على هذه المغلفات فلقد عثرت من جديد على احدى تلك السمات وسط الضباب وتمثلت عينيها ورأسها المائل : كنت تجيء اذ اكون جالسا فنزرع امامى وهى تبتمس وكانت تشرف على بقامتها وتمسكنى من كتفى وتهزنى بذراعين ممدوتين .

كان المغلف ثقيلاً فلا بد انه كان يحتوى على ست صفحات على الاقل وكانت اصابع بوابه مزلى القديم تعلقو بخطها الذبابى على تلك الكتابه الجميلة :

" فندق برنتانيا – بوفيل "

لم تكن هذه الاحرف الصغيرة تلتمع

حين فضضت الرسالة احسستنى من زوال الوهم اصغر سنه اعوام : " لست ادري كيف تصنع أنى لتنفخ مغلفاتها على هذا النحو : فليس في داخلها شىء ابدا "

هذه العبارة قفلتها مائة مرة في ربيع ١٩٢٤ وانا اجهد كاليوم لاستخرج من بطانة المغلف قصاصة ورق مربعة البطانة روعة " خضراء معتمة مع نجوم ذهبية فكأنها قماشة منشأة فهى وحدها تزن ارباع

المغلف

كتبت أنى بالرصاص :

" سأعرج على باريس بعد ايام تعال لرؤيتى في فندق اسبانيا يوم ٢٠ فبراير ارجوك " يجب " أن اراك
أنى "

كنت في مكناس وطنجة حين اعود الى غرفتى مساء اجد احيانا كلمة على سريرى " اريد ان
اراك على افور " فكنت اهرع ففتحت لى أنى مرفوعة الحاجبين في هيئة دهشة : ليس لديها بعد ماتقوله
لى كانت تلومنى قليلا لأنى جئت وسوف اذهب فلعلها سترفض ان تستقبلنى او ربما قالوا لى في مكتب
الفندق : " لم ينزل عندنا احد بهذا الاسم " ولا اعتقد انها ستفعل ذلك غير انها قد تكتب لى بعد ثمانية ايام
انها غيرت رايتها وان اللقاء سيكون في مرة اخرى .

الناس في اعمالهم وانه لثلاثاء مرفع مسطح هذا الذى يؤذن. رائحة الخشب الرطب تنبعث من
شارع " الموتيليه " كما يحدث حين يوشك المطر مان يهطل اننى لا احب هذه النهارات العجيبة فان دور
السينما تقدم حفلات صباحية واولاد المدارس في عطلة وفي مالشارع هيئة عيد غامضة لاتنى تجذب
الانتباه ثم تتلاشى بمجرد ان ينتبه لها المرء .

لاشك في انى سأرى أنى من جديد ولكنى لا استطيع القول ان هذه الفكرة تفرحنى فانا منذ تلقيت
رسالتها احسنى عاطلا عن العمل ومن حسن الحظ ان الوقت ظهر لست جائعا ولكنى سأكل إزجاء للوقت
وادخل مطعم " كميل " في شارع " الاورلوجيه " .

" عليه " محكمة الاغلاق وهم يقدمون فيه الكرنب والفاصوليا طوال الليل يقصده الاشخاص لتناول
العشاء بعد خروجهم من المسرح ويرسل رقباء المدينة اليه السياح الذين يصلون ليلا وهم جائعون . في
المطعم ثمانى طاولات من الرخام ومقعد جلدى يمتد على طول الجدران . وهناك مرأتان أكلتهما لطخات
حمراء وواجهات النافذتين والباب من الزجاج المحجر ويقوم المشرب والصندوق في تجويفة من الجدار
وهناك ايضا حجرة جانبية لم ادخلها قط مخصصه للزواج .

- اعطينى بيضا مقليا بلحم الخنزير

الخدم فتاه ضخمة ذات خدين احمرين لاتستطيع الامتناع عن الضحك حين تتحدث الى رجل

- ليس لي الحق هل تريد بيضا مقليا بالبطاطا ؟ لحم الخنزير محجوز عليه ولا يستطيع ان يقصه الا صاحب المطعم

فطلبت صحننا من الفاصوليا. صاحب المطعم يدعى كميل وهو رجل قاس

مضت الخادم اننى.أننى وحيد في هذه الحجرة القديمة المعتمة في محفظتى رسالة من أنى يمنعى خجل مزيف من اعيد قرائتها واحاول ان اذكر العبارات واحدة واحدة .

" عزيزى انطوان

أبتسم لا بكل تأكيد أنى بكل تأكيد لم تكتب " عزيزى انطوان " منذ ستة اعوام -وكننا قد افترقنا باتفاق مشترك - قررت ان اسافر الى طوكيو وكتبت لها بضع كلمات ولم يكن بوسعى بعد ان ادعوها " حبيبتى الغالية " فبدأت بكل براءة " عزيزتى أنى " فأجابتنى :

- أننى معجبة بسهولةك في الكلام لم اكن ولست قط عزيزتك أنى ارجوك ان تعتقد انت انك لست عزيزى انطوان فاذا كنت لاتعرف ان تدعونى فلا تدعونى هذا افضل. "

أتناول رسالتها من محفظتى لم تكتب " عزيزى انطوان" وكذلك فليس في اسفل الرسالة عبارات التأدب "يجب ان اراك أنى " لاشيء مما يجعلنى اتحقق من عواطفها ولا استطيع ان اشكو من ذلك " فانى اتعرف هنا الى شغفها بما هو " كامل " كانت تريد دائما ان تحقق " لحظات كاملة " فاذا لم يكن الظرف ملائما كفت عن ان تهتم بشيء كانت الحياة تختفى من عينيها كانت تعيش بكسل وعليها هيئة فتاه كبيرة في سن العقوق او انها كانت تختلق اسباب النزاع معى :

- انك تتمخط كالبورجوازي بكل ابهه وتسعل في مندليك بكل رضى كان ينبغى الا اجيب كان ينبغى ان انتظر : كانت ترتعش فجأة لدى إشارة لم ادركها وتقسى ملامحها المسترخية الجميلة وتبدأ عملها النملى كان لها سحر جذاب لايقهر وكانت تتمم مغنية بين اسنانها وهى تنظر في كل

ناحية ثم كانت تنتحب باسمه فتقبل على تهزنى من كتفى وتظهر وكأنها تعطى أوامرها الى كل

الاشياء التى تحيط بها وكانت تشرح لى بصوت منخفض وسريع ماكانت تنتظرة منى

" اسمع انك راغب في ان تبذل جهدا اليس كذلك ؟ كنت شديد الحماسة في المرة الماضية

أترى كم يمكن هذه اللحظة ان تكون جميلة ؟ انظر الى السماء انظر الى لون الشمس على السجادة كل

مافعلته انى ارتديت ثوبى الاخضر ولم اصبع شفتى بعد بالحمرة اننى ممتعة جدا ارجع الى الخلف

اذهب فاجلس في الظل هل انت فاهم ماينبغى ل كان تفعل ؟ حسنا تفضل ؟ ماحمقك ! حدثنى "

كنت أحس ان نجاح العملية كان بين يدي : كان اللحظة معنى غامض يجب توضيحه وانجازة

يجب ان يعمل بعض الحركات ويقال بعض الكلمات وكنت مرهقا تحت عبء مسؤوليتى كنت اوسع

عيني ولا أرى شيئا وكنت اتخبط وسط طقوس كانت أنى تخترعها لتوها وكنت أمزقها بذراعى الكيبرتين

كأنها خيوط عنكبوت في تلك اللحظات كانت تحقد على بكل تأكيد سأذهب لرؤيتها انى احترامها ومازلت

احبها من كل قلبى واتمنى لو ان احدا غيرها قد اوتى حظا كبيرا وبراعة اكبر في لعبة اللحظات الكاملة

كانت تقول : " شعرك الفظيع يفسد كل شىء ما تريد ان يصنع برجل احمر الشعر ؟"

كانت تبتسم وقد فقدت اولا ذكرى عينيها ثم ذكرى جسمها الطويل واحتفظت اطول مده ممكنه

ببسمتها ثم فقدتها ايضا منذ ثلاثة اعوام ولكنها عادت الساعة فجأة حين كنت اتناول الرسالة من يد

صاحبة الفندق وقد حسبتنى ارى انى وهى تبتسم ومازلت احاول ان اتذكرها : بى حاجة لان احس كل

الحنان الذى توحية لى أنى وهو هنا هذا الحنان قريب جدا وهو لا يطلب الا ان يولد ولكن البسمة لاتعود

ابدا انتهى الامر وانا ابقى فارغا جافيا

دخل رجل يرتعش بردا

- سادتى سيداتى مساء الخير

جلس من غير ان ينزع معطفة المخضر واخذ يفرك يديه الطويلتين فيما بينهما وهو يشبك اصابعه

- ماذا اقدم لك ؟

فانتفض وفي عينيه القلق :

- ايه ؟ أعطنى قدح "بير" بالماء.

لم تتحرك الخادم كان وجهها في المرأة يبدو وكأنه نائم. صحيح ان عينيها مفتوحتان ولكنهما ليستا الا شقين انها هكذا فهي لاتستعجل في خدمة الزبائن وهى تأخذ دائما لحظة لتحلم بطلباتهم لابد انها تفكر في الزجاجة التى ستأخذها من فوق المشرب وبرقعة الورق البيضاء وعليها حروف حمراء وفي المشروب الكثيف الاسود الذى ستصبه: فذلك شبيه بما لو كانت تشرب هى نفسها .

أدس رسالة أنى في محفظتى : اعطتني ما كانت تستطيع اننى لا استطيع ان ارتد الى المرأة التى أخذتها بيديها وطوتها ووضعتها في الظرف لكن هل من الممكن التفكير في احد في صيغة الماضى ؟ اننا طوال تبادلنا الحب لم نسمح لادنى لحظة من لحظاتنا ولا لايسر همومنا ان تنفصل عنا وتظل في الخلف : الاصوات والروائح والوان النهار وحتى الافكار التى لم نتصارع بها كنا نحمل كل شىء كان كل شىء يبقى حيا متيقظا : ونحن لم نكف عن التمتع بها وعن التألم منها في الحاضر يستوى في ذلك كل ذكرى وحب عنيف لايلىن حب بلا ظلال ولا تراجع ولا ملجأ ثلاثة اعوام حاضرة معا من اجل هذا افترقنا فاننا فقدنا القوة على تحمل ذلك العبء ثم فجأة حين تركتني أنى انهارت الاعوام الثلاثة مرة واحدة ودفعة واحدة في الماضى ولم يحدث حتى ان تألمت وكنت أحسنى فارغا ثم عاد الزمن يجرى وكبر الفراغ وبعد ذلك في سايجون حيث عزمت على العودة الى فرنسا تلاشى كل ماكان ومايزال باقيا - من الوجوه الاجنبية والامكنة والارصفة على شواطىء الانهار وهكذا ليس ماضى بعد الا تقبا من المشرب وهذا الرجل القصير كل ما عرفه من حياتى يخيل الى انى تعلمته في الكتب قصور بيناريس وسطحية الملك " لبيرو " ومعابد جاوه بسلالها الكبيرة المحطمة انعكست ذات لحظة يفي عينى ولكنها بقيت هناك في امالنها والترام الذى يمر بالقرب من فندق برنتانيا لا يحمل مساء على زجاج نوافذه انعكاس لاته النيون انه يلتهب لحظة ويبتعد بزجاج اسود .

هذا الرجل لا يكف عن النظر الى : يضجرنى يتظاهر بالاهمية المناسبة لقامته وتعزم الخادم اخيرا

على خدمته ترفع بكسل ذراعها الكبيرة السوداء فتتناول الزجاجاة وتحملها مع قدح •

تفضل ياسيدى

فقال بتلطف : - السيد أشيل

صبت من غير ان تجيب وفجأة يسحب بخفة إصبعه من انفه ويضع كلتا يديه مبسوطتين على الطاولة

كان قد القى براسة الى الخلف وأخذت عيناه تبرقان قال بصوت بارد :

- باللفتاه المسكينة !

تنتفض الخادم وأنفض انا ايضا : ان له تعبيراً غير قابل للتعريف ربما كان دهشة كما لو ان اخرقد

تكلم إننا نحن الثلاثة منز عجون .

كانت الخادم هي اول من تنبه : إنها لاتملك خيالاً حدجت السيد اشيل في فضول : تعرف جيداً أنه

جيداً انه تكفيها يد واحدة لتنتزعه من مكانه وتلقى به خارجاً.

- لماذا اكون ياترى فتاه مسكينة ؟

فتردد ونظر اليها محتاراً ثم ضحك وتجدد وجهه بألف ثنيه وقام بحركات خفيفة من قبضته :

- ازعجها ذلك ولكن الناس يقولون هذا هكذا يقولون : فتاه مسكينه من غير قصد

لكنها أولته ظهرها ومضت الى خلف المشرب : جرحت حقاً ضحك مرة اخرى :

- ها! ها! لم اكن اقدر بذلك ؟ غضبت لقد غضبت !

قال ذلك وهو يتوجه الى

لويت راسى : يرفع قدحة قليلا لكنه لايفكر في ان يشرب : يطرف بعينيه بهيئة مأخوذة وخائفة
فكأنه يجهد في أن يتذكر شيئا كانت الخادم قد جلست الى الصندوق وتناولت الصوف وعاد كل شيء الى
الصمت لكنه لم يكن بعد الصمت نفسه هذا هو المطر : يصفق الزجاج المحجر صفقا خفيفا ولئن كان
مايزال في الشارع صبيبه متكرون فلا شك في انه سيجعل اقنعتهم الكرتونية طريه ملطخة .

اضاءت الخادم المصابيح : صحيح ان الساعة لم تكذ تتجاوز الثانية لكن السماء سوداء تماما
وهى لاترى رؤيه كافية تمكنها من ان تخطط ضوء رقيق الناس في البيوت لاشك في انهم هم ايضا قد
اضاءوا انهم يقرأون وينظرون الى السماء من النافذة الامر بالنسبه اليهم شيء اخر شاخوا بطريقة اخرى
يعيشون وسط الهبات والهدايا وكل قطعه من اثاثهم تذكرا ساعات اوسمه صور اصداف متقلات ورق
حواجز خشبية شالات لهم خزائن ملأى بالزجاجات والاقمشه والثياب القديمة والصحف احتفظوا بكل
شيء الماضى يذخ من بذخ المالكين .

فأين ترانى سأحتفظ بماضى ؟ المرء لا يوضع ماضية في جيبه وانما ينبغى ان يكون له بيت
ليضعه فيه إننى لا املك غير جسمى ولا يستطيع رجل وحيد بجسمه وحده ان يوقف الذكريات فهى تمر
به عرضا ولاينبغى لى ان اشكو : فأنا لم ارد الا ان اكون حرا .

وتململ الرجل القصير وتنهذ وقد تراكم في معطفه ولكنه كان ينتصب بين الحين والحين ويتخذ
مظهر التعالى هو ايضا ليس له ماض واذا بحث احدنا جيدا فسوف يجد بلا شك لدى اقرباء كفوا عن
معاشرته صورة تمثله في عرس وهو يضع ياقة مكسورة ويرتدى قميصا ذا صدره وقد نبت له شارب
شاب قاس اما انا فأعتقد انه لم يبق منى حتى هذا .

هاهو مايزال ينظر الى وهو سيحدثنى هذه المرة فاحسنى متصلبا ليس مايننا ودا : كل ماهنالك
اننا متشابهان انه وحيد مثلى ولكنه اشد منى ايعالا في الوحدة ولابد انه ينتظر " غثيانه " او شيئا من هذا
القبيل إذن هناك الآن اشخاصا " يتعرفوننى " ويفكرون بعد ان يحدجونى : " هذا منا " حسنا ؟ مالذى

يريدہ ؟ لابد انه مدرك ان احدنا لا يستطيع ان يصنع شيئا للآخر العائلات قائمه في بيوتها وسط ذكرياتها
أما نحن فحطامان بلا ذاكرة ولن نهض فجأة ووجه لى الكلام فسأثب في الهواء .

انفتح الباب في صخب : الدكتور روجيه

- مرحبا بالجميع

دخل شرسا شاكا وساقه الطويلتان تصطكان قليلان وتكادان لاتحملان قامته اننى غالبا ما أراه يوم
الاحد يفي مطعم فيز اليز ولكنه لايعرفنى وهو في جسمه يشبه معلمى جوانفيل القدامى : أذرع كالسيقان
دوره الصدر تساوى مائه وعشرة وهم لايتماسكون على اقدامهم وقوفا.

- جان صغيرتى جان

نط حتى المشجب ليعلق به قبعته اللبديه وطوت الخادم شغلها وأقبلت بلا عجله متناومه لتستخرج الطبيب
من مشمعه .

- ماذا تأخذ يادكتور ؟

تأملها بجد هو ذا ما أدعوه وجه رجل جميلا الحياه والمشاعر العنيفة استهلكته وحفرته لكن الطبيب
قد فهم الحياه وهيمن على مشاعرة وقال بصوت عميق :

-لأدرى على الاطلاق ما الذى أريدة

تداعى للسقوط على مقعدة قبالتى : ومسح جبينه يحس الراحة والرضى اذ لا يكون واقفا على ساقيه

وان عينيه تخيفان عيناه كبيرتان سوداوان متعجرفان

- سأطلب . . . سأطلب - قدحا من الكالفدوس يابنتى

جعلت الخادم تتأمل هذه السحنة المخددة الهائلة من غير ان تأتي حركة انها عالمة ورفع الرجل

القصير رأسه وهو يبتسم بسمه متحررة كان صحيحا : ان هذا الانسان الضخم قد حررنا كان هنا شيء

فظيع يوشك ان يأخذنا وتنفست بقوة : إننا الان بشر تجاه بشر

- متى يأتي خمري ؟

انتفضت الخادم ومضت وبسط هو ذراعية الضخمتين وأخذ الطاولة من حافتها السيد اشيل فرح غايه

الفرح كان يود جذب انتباه الطيب لكنه عبثا ارجح ساقيه وقفز على المقعد فهو من الضالة بحيث يحدث

ضجة

حملت الخادم الكالفادوس وبحركة من رأسها دلت الطبيب على جارة ادار الدكتور روجيه قامته ببطء

لا يستطيع ان يحرك رقبتة وصاح :

- عجا هذا انت ايها القدر ؟ ألم تمت ؟

وتوجه الى الخادم :

- هل تقبلون ذلك عندكم

نظر الى القصير بعينه المتوحشتين نظرة مستقيمة تضع الامور في نصابها وتابع موضعا :

- مجنون قديم

لم يبذل أى جهد ليظهر انه يمزح يعلم ان المجنون القديم لن يغضب وانه سيبتسم وهذا ما حدث : فقد

ابتسم الآخر في مذهل مجنون قديم : انه يسترخى ويحسه محتما من نفسه بالذات ولن يحدث له شيء اليوم

الاعجب من ذلك هو انى انا نفسى قد استعدت اطمئنانى مجنون قديم : هكذا كان اذن ولم يكن غير هذا

ضحك الطبيب ورماني بنظرة واعدة متواطئة : لاشك في ان ذلك بسببى - ثم انى ارتدى قميصا

نظيفا - انه يريد ان يشاركنى بمزاحة ولم اجب على تمهيداته : واذ ذاك جرب على من غير ان يكف عن

الضحك نار حدقتيه الهائلة وجعلنا نتبادل النظر في صمت بضع لحظات كان يحدجنى وهو يصطنع النظر الحسير كان يصنّفنى في فئة المجانين ؟ ام في فئة السوفة ؟

مع ذلك فهو الذى صرف بصره : تهيب يسير امام شخص وحيد لا اهمية اجتماعية له وذلك امر لا يستحق التحدث عنه انه ينسى على الفور ولف سيجارة واشعلها ثم ظل جامدا بعينين ثابتتين قاسيتين على غرار الشيوخ .

التجاعيد الجميلة يملكها جميعا : خطوط الجبين المعترضه ارجل الاوز والثنيات المريرة لكل جبهه من الفم بصرف النظر عن الحبال الصفراء التى تتدلى تحت ذقنه هوذا رجل محظوظ : ما يراه ولو من ابعد مكان يقول لنفسه انه لا بد ان يكون قد تألم وانه واحد من الذين عاشوا والحق انه يستحق وجهه لانه لم يستخف لحظة بطريقة الحفاظ على ماضيه واستعماله : كل ما هنالك انه حشاه واتخذ منه تجربة لاستعمال النساء والشبان .

السيد اشيل سعيد كما لا بد انه لم يكن منذ وقت طويل يتشاءب اعجابا ويشرب قدحة من " البير " بجرعات صغيرة ينفخ لها خديه عرف الطبيب حقا كيف يأخذه الطبيب ليس هن الشخص الذى ينسحر بمجنون قديم الى درجة ان تحدث نوبته ما يحتاجونه ضربة مفاجئة وبضع كلمات كأنها السوط للطبيب تجربته فهو محترف للتجارب الاطباء والكهنة والقضاة والضباط يعرفون الانشان كما لو انهم صنعوه .

احس الخجل من اجل السيد اشيل اننا من طينه واحدة وينبغى لنا ان نتجند ضدهم ولكنه تخلى عنى وانحاز الى جانبهم : وهو يؤمن ايمانا مخلصا بها " بالتجربه " لا بتجربته ولا بتجربتى وانما بتجربه الدكتور روجيه كان السيد اشيل يشعر الساعة بأنه عجيب وكان لديه احساس بأنه وحيد اما الان فهو يعلم ان ثمة آخرين في مثل وضعه آخرين كثيرين فلقد التقى بهم الدكتور روجيه وسيكون بوسعه ان يروى للسيد اشيل قصه كل منهم ويقول له كيف انتهت كل مافى الامر ان السيد اشيل " حاله " تتلخص في سهوله ببضع افكار عامة .

كم اود ان اقول له انهم يخدعونه وانه لعبة بيد الهامين محترفو تجربة؟ قضاوا حياتهم في الكسل المخدر والسبات ولقد تزوجوا على عجل بدافع من نفاذ الصبر وصنعوا اطفالا بالاتفاق لقد التقوا الناس الاخرين في المقاهى وفي حفلات الاعراس وفي حفلات الدفن وبين الحين والحين كان ياخذهم الاندفاع فيتخبطون من غير ان يفهموا ما يحدث لهم كل كما حدث حولهم ابداً وانتهى خارج نطاق نظرهم اشكال طويلة غامضة واحداث آتية من بعيد لامستهم بسرعة وحين ارادوا ان ينظروا كان كل شىء قد انتهى وبعد ذلك حين بلغوا الاربعين عمدوا صنوف عنادهم الصغيرة وبضعه امثال باسم تجربة وبدأوا يجعلون انفسهم الات توزيع اوتوماتيكية : درهمان في الشق الايسر وهاهى حكايات مغلقة بورق فضى ودرهمان في الشق الايمن وهاهى نصائح ثمينه تلتصق بالاسنان كاكارميائل المائع وسيكون بوسعى انا ايضا في هذا الصدد ان ادعى للدخول الى بيوت الناس بحيث يقولون فيما بينهم اننى رحالة كبير اذاء " الخالد " اجل ان المسلمين يمرون راكعين وتستعمل القابلات القانونيات الهندوكيات عوضا عن نبات الاغوتين الزجاج المسحوق في روث البقر وفي بورنيو حين تصاب الفتاه بالطمث تقضى ثلاثة ايام وثلاث ليال على سطح بيتها وقد رأيت في فينيسيا عمليات دفن ف " الجوندول " وحضرت في ايشبيلية اعياد " الاسبوع المقدس " كما شاهدت " الام المسيح " لاوبير اميرجو وبالطبع ليس ذلك كله الا " عينه " هزيلة عن معلوماتى : فبوسعى ان انقلب فوق كرسى وابدأ في لهجة تسلية :

" اتعرفين جيھلانا ياسيدتى العزيزة ؟ انها مدينه صغيرة عجيبة من مدن مورافيا مكثت فيها عام

١٩٢٤ " ٠٠

عند نهاية قصتى يتولى الكلام رئيس المحكمة الذى رأى حالات كثيرة : " كم هذا صحيح ياسيدى العزيز وكم هو انسانى رأيت حالة مشابهه في بدء حياتى القضائية كان ذلك عام ١٨٠٢ وكننت قاضيا مناوبا في ليموج " ٠٠٠

غير انهم بالغوا بأز عاجى بهذا في شبابى بالرغم من اننى لم اكن من اسرة محترفين ولكن هناك ايضا هواه انهم امناء السر والموظفين والتجار واولئك الذين يصغون الا الاخرين في المقهى : انهم يحسون انفسهم منتفخين حين يقاربون الاربعين من العمر بتجربة لايستسيغون ان يسيلوها في الخارج ومن حسن

الحظ انهم صنعوا اولادا فهم يجبرونهم على ان يستهلكوها عن كئيب انهم يودون ان نصدق ان ماضيهم لم يضع وان ذكرياتهم قد تركزت وتحولت بعذوبه الى " حكمه " .

فيا للماضى المناسب ماضى جيب كتاب صغير مذهب ملء بالحكم الجميلة " صدقوني اننى احذكم عن تجربة وكل ما عرفة قد قبسته من الحياة " اترى " الحياة حملت عبء التفكير عنهم ؟ يشرحون الجديد بالقديم – وقد شرحوا القديم بأحداث اشد قدما على غرار اولئك المؤرخين الذين يجعلون من لينين روبسبيريا روسيا ومن روبسبيرير كرمويلا فرنسا : فهم في اخر المطاف لم يفهموا شيئا على الاطلاق اننا نكتشف وراء اهميتهم كسلا شرسا كفهم يرون مظاهر تترى امامهم فينتابون ويفكرون بأن لاشيء جديدا تحت السماوات " مجنون قديم " كان الدكتور روجيه يفكر بغموض في مجانيين اخرين لا يذكر احدا منهم بصورة خاصة والآن لن يستطيع شىء مما سيفعله السيد اشيل ان يفاجئنا : " مادام " مجنونا قديما .

ليس مجنونا قديما : بل هو خائف مم عساه يكون خائفا ؟ من يريد ان يفهم شيئا يقف تجاهه وحده من غير عون وماضى العالم كله لا يملك ان يقدم ايه خدمه ثم يختفى الشىء وما فهم منه يختفى معه .

اما الافكار العامة فهي اكثر اغراء ومخادعة ثم ان المحترفين وحتى الهواة ينتهى بهم الامر الى ان يكونوا على حق حكمتهم توصى باثارة اقل ما يمكن من الضجة وبالعيش اقل ما يمكن وبالتداعى للنسيان وفضل حكاياتهم حكايات الطائشين الشاذسن الذين نالوا عقابهم اجل ان الامر يجرى هكذا وليس ثمة من يقول العكس ربما لم يكن السيد اشيل مرتاح الضمير جدا وربما يقول لنفسه انه ماكان يبلغ هذا المبلغ لو انه استمع الى نصائح ابيه واخته الكبرى ويحق للطبيب ان يتكلم : فانه لم يخسر حياته ولم يفوتها عرف ان يكون مفيدا وهو ينتصب هادئا وقادرا فوق هذا الحطام انه صخرة

كان الدكتور روجيه قد شرب قدح الكالفادوس وكان جسمه الكبير متكوما وجفناه مسترخيين بتناقل وللمرة الاولى ارى وجهه من غير العينين : فكأنه قناع كرتونى كتلك الاقنعة التى تباع اليوم في المحلات لخدية لونا ورديا مريعا وبدت لى الحقيقة فجأة : هذا الرجل سيموت عما قريب وهو يعرف ذلك بالتأكيد وحسبه ان يكون قد نظر الى نفسه في مرآة : فهو يزداد كل يوم شبها بالجنه التى سيكونها بهذا تتلخص

تجربتهم ولهذا السبب قلت لنفسي غالبا ان رائحة الموت تنبعث منها : فذلك هو دفاعهم الاخير الطبيب يود كثيرا ان يصدق الامر يود لو يقع الواقع الذي لايحتمل ينحل من اجل هذا نراه قد بنى جيدا هذيانه التعويضى الصغير ورتبه جيدا وغلفه جيدا فهو يقول لنفسه انه يتقدم ان له فجوات في الفكر لحظات تدور الامور فيها دورانا فارغا في رأسه ؟ ذلك ان حكمة كف عن ان يمتاز بعجله عهد الشباب انه لايفهم بعد مايقراً في الكتب ؟ ذلك انه اصبح الان شديد البعد عن الكتب لايستطيع بعد ان يقوم بعمل الحب ؟ ولكنه قام به فأن يكون المرء قد قام بعمل الحب افضل كثيرا من ان يستمر في القيام به : انه بالارتداد الى خلف يحكم ويقارن ويفكر ولكى يستطيع ان يتحمل رؤيه هذا الوجه المريع وجه الجثه في المرايا فإنه يجهد للاعتقاد بأن دروس التجربة قد نقشت فيه .

يدير الطبيب رأسه قليلا ويفتح جفناه فينظر الى بعينين وردهما النعاس وابتسم له اننى أود أنم تكشف له هذه البسمة كل ما يحاول أن يخفيه عن نفسه : ان هذا هو ما سوف يوقظه ، اذا استطاع أن يقول لنفسه : " هو ذا إنسان ((يعرف)) أننى سأموت ! " ولكن جفنيه يسبلان من جديد : انه ينام . وأخرج ، تاركاً السيد أشيل يسهر على نومه .

انقطع المطر ، وأصبح الهواء عذباً ، وكانت السماء تقلب في هدوء صوراً جميلة سوداء : وكان ذلك أكثر من كاف لصنع إطار لحظة كاملة ، كان جديراً بأنى ، لكى تعكس هذه الصور ، أن تولد فى قلبينا بحيرات صغيرة معنمة . اما أنا . فلا أحس انتهاء الفرصة : أننى أمضى تائهاً ، خالياً وساكناً ، تحت هذه السماء التى لا تستعمل .

الأربعاء

" يجب ألا أخاف "

الخميس

كتبت أربع صفحات . وبعد ذلك ، فترة طويلة من السعادة . ينبغي إلا أبالغ فى التفكير بقيمة التاريخ
فأن ذلك يوشك أن ينفرتى منه . يجب ألا انشر ان السيد دوروليون يمثل ، فى الساعة التى هو فيها ، التبرير
الوحيد لوجودى .

سألقى أنى بعد ثمانية أيام .

الجمعة

كان الضباب من الكثافة ، فى طريق "لاروتوند" ، بحيث حسبت من الحكمة ان احاذى جدران "
الكازيرن" ، وكانت اضواء السيارات الى يمينى تطرد أمامها نوراً مبتلاً ، وكان مستحيلاً ان يعرف المرء
ينتهى أين الرصيف . كان حولى اشخاص ، كنت أسمع وقع أقدامهم ، واحيانا، طنين كلامهم : ولكنى لم أكن
أرى أحداً . وذات مرة ، تشكل على مستوى كتفى وجه امرأة ، ولكن الضباب ما لبث ان ابتلعه ، ومرة
أخرى ، لامسنى آخر وهو يلهث بشدة ولم أكن أدرى أين أنا ذاهب ، فقد كنت شديد الإستغراق كان ينبغي
التقدم بحذر ، وجس الأرض بطرف القدم ، بل ومد اليدين الى الأمام الحق أنى لم أكن أصيب أية متعة بهذا
التمرين . ومع ذلم فانى لم أكن أفكر فى العودة إلى غرفتى ، فقد كنت مأخوذاً . وأخيراً ، لمحت فى البعيد
بعد نصف ساعة بخاراً أزرق . واذا توجهت اليه ، بلغت طرف شعاع كبير ، عرفت فيه مقهى ما بلى الذى
كان يخرق بأصواته الضباب .

لمقهى ما بلى اثنى عشر مصباحاً كهربائياً ، ولكن لم يكن مضاءً منها إلا اثنان ، أحدهما فوق
الصندوق ، والآخر فى السقف . ودفعنى الخادم الوحيد الى زاوية مظلمة .

- ليس من هنا يا سيدى ، فأنا أنظف .

كان يرتدى سترة ، بلا صدره ولا ياقة منشأة ، مع قميص ابيض مخطط بالبنفسجى . وكان يتشاءب
وينظر الى بهيئة عابسة وهو يمرر أصابعه فى شعره .

- فنجان قهوة مع " الكرواسكرن " .

فرك عينيه من غير أن يجيب ، وابتعد . وكانت العتمة تحيط بى حتى عيني ، ظلمة مثلوجة قدرة .
المدفأة لم تكن مضاءة بلا شك ولم أكن وحدى . كانت امرأة ذات بشرة شمعية جالسة قبالى ، تتحرك يداها
بلا انقطاع ، تارة لتلامسها قميصها ، وتارة لتسو يا قبعتها السوداء على رأسها . وكانت بصحبة رجل
طويل اشقر كان يأكل خبز "البريوش" من غير ان ينبس بحرف وبدا لى الصمت ثقيلأ . كانت بى رغبة
لأشعل غليونى ، لكن كان يزعجنى ان اجذب انتباهها بفرقة عود تقاب .

جرس تليفون . وتوقفت اليدان: وظلتا معلقتين بالقميص . وتباطأ الخادم فى الإجابة ، وظل يكنس
على مهل ، قبل أن يقرر اخيراً الذهاب لرفع السماعه . " آلو ؟ السيد جورج ؟ مرحبأ ، يا سيد جورج ...
نعم، يا سيد جورج ... المعلم ليس هنا ... نعم ، لا بد انه قد نزل ... آه ، فى مثل هذا الطقس الضبابى ...
عادته ان ينزل حوالى الثامنة .. نعم ، يا سيد جورج ، سأنقل إليه الرسالة مع السلامة يا سيد جورج كان
الضباب يتقل على زجاج النوافذ كستار ثقيل من المخمل الرمادى . والتصق وجه بالزجاج للحظة ثم اختفى
. وقالت المرأة بلهجة شاكية :

- اربط لى حذائى .

فقال الرجل من غير ان ينظر :

- انه غير منحل

فغضبت ، وأخذت يداها تتلمسان قميصها ورقبتها كأنهما عنكبوتان كبيران .

- بلى ، بلى ، اربط لى حذائى .

فانحنى بهيئة مزعجة ولمس قدمهاها لمسأ خفيفأ تحت الطاولة :

- لقد فعلت .

فابتسمت فى رضى . ونادى الرجل الخادم :

- كم هو الحساب ؟

فقال الخادم :- كم قطعة " بريوش " اخذتما ؟

كنت قد خفصت عيني حتى لا ابدو كمن يحدجهم . وبعد بضع ثوان ، سمعت بعض فرقعات ، رأيت طرف تنورة ونعلين ملوثين بوحل جاف . تبعهما نعلا الرجل ، وكانا براقين مدبيين تقد ما نحوى ، ثم تستمرا واستدار نصف استدارة : كان يرتدى معطفه وفى هذه اللحظة ، اخذت يد تهبط على التنورة ، تمت الى ذراع صلبة ، وترددت قليلاً ، وهى تحك التنورة .

قال الرجل : - هل أنت على استعداد ؟

انفتحت اليد وجاءت تلمس نجمة عريضة من الوحل على الحذاء الأيمن ، ثم اختفت .

قال الرجل : - اوف !

وكان قد تناول حقيبة قرب المشجب وخرجا رأيتهما يدلفان فى الضاب

قال لى الخادم : وهو يحمل لى قهوتى

- انهما فنانون وهما اللذان قدما " فقرة " الاستراحة فى سينما بالاس المرأة تعصب عينيها وتقرأ الاسم الاول

للمشاهدين وعمرهم وهما ذاهبان اليوم لانه يوم الجمعة وفيه يتغير البرنامج

ذهب ليأتى بصحن من " الكرواسون " كان على الطاولة التى غادرهما الفنان

- لا حاجة بى اليها

لم يكن بى رغبة لاكل تلك القطع من " الكرواسون "

- يجب ان اطفىء الكهرباء مصباحان لزبون واحد في الساعة التاسعة صباحا : المعلم سيناقشنى الحساب

غمرت العتمة المقهى كان ضوء هزيل ملطخ بالرمادى والاسمر يسقط الآن من واجهات الزجاج العليا

- أريد ان ارى السيد فاسكيل

لم اكن قد رأيت العجوز داخلة هبت نفحة هواء مثلوج فارتعشت لها

- لم يهبط السيد فاسكيل بعد

فاستطردت تقول – السيدة فلوران هي التى بعثتنى انها متوعدة وهى لن تأتى اليوم

والسيدة فلوران هي امينة الصندوق ذات الشعر الاحمر

قالت العجوز :- هذا الطقس مزعج لايناسب بطنها

فاتخذ الخادم هيئة اهتمام وأجاب :

- إنه الضباب وهذا شبيهه بشأن السيد فاسكيل ويدهشنى انه لم ينزل طلبوة على التليفون وهو عادة ينزل في

الساعة الثامنة .

نظرت العجوز أليا الى اسقف :

- أنه فوق؟

- نعم تلك غرفته

فقال العجوز بصوت ممطوط كما لو انها كانت تتحدث الى نفسها

لنفرض انه مات . .

فعبر وجه الخادم عن غيظ شديد وقال :

- أه ! شكرا لك شكرا !

لنفرض انه مات ٠٠ ألمت هذه الفكرة بذهنى وهذا حقا نوع الافكار التى تراود المرء في هذا الطقس من

الضباب

خرجت العجوز وكان على ان احذو حذوها : فقد كان الطقس باردا ومظلما كانالضباب يتسرب

من تحت الباب وكان يوشك ان يصعد ببطء ويغرق كل شىء ولو كنت في " المكتبة البلدية " لوجدت نورا

ونارا٠

من جديد اقبل وجه ينسحق على الزجاج وكان يكثر فقال الخادم في غضب وهو يخرج راكضا :

- انتظر قليلا

امحى الوجه فبقيت وحدى وانحيت على نفسى باللائمة المريرة أنى غادرت غرفتى لابد ان

يكون الضباب قد غمرها الان فاذا دخلنا فلا بد ان يأخذنى الخوف ٠

فرقع شىء ما في العتمة خلف الصندوق كان ذلك صادرا عن السلم الخاص : اتراه المدير ينزل

اخيرا ؟ لا إن احدا لم يظهر كانت الدرجات تفرقع من تلقاء نفسها وكان السيد فاسكيل مايزال نائما او ربما

كان قد مات فوق رأسى عثر عليه ميتا في سريرة ذات صباح ضبابى – وفي عنوان اصغر : في المقهى

كان الزبائن يشربون من غير ان يشعروا ٠٠٠

لكن أكان مايزال في سريرة ؟ أتراه لم يسقط جاذبا للحاق معه صادما رأسه بالارض الخشبية ؟

إننى اعرف السيد فاسكيل معرفة جيدة ٠ وقد سأل احيانا عن صحتى انه انسان سمين مرح ذو

لحية مرتبه فاذا مات فلا بد ان يكون السبب نوبه وسكون بلون البانجان ولسانه خارج فمه ولحيته في الهواء

ورقبته بنفسجية تحت الشعر المجعد

كان السلم الخاص يضيع في الظلام وكنت لا اكاد استطيع ان اميز الكرة من الدرايزين ينبغى

عبور هذا الظلام وسوف يفرقع السلم وفوق سأجد باب الغرفة ٠٠

الجسم هناك فوق رأسى اذا صعدت فسأدير مفتاح الضوء : وسألتمس تلك البشرية الدافئة لأرى

ولم استطع الاحتمال بعد فنهضت اذا فأجأنى الخادم في السلم فسأقول له انى سمعت ضجة

وعاد الخادم فجأة وهو يلهث وصاح :

- نعم ياسيدى

الأحمق ! وأقبل نحوى

- فرنكان

فقلت له : - سمعت ضجة فوق

- الوقت ليس باكرا !

- نعم ولكنى اعتقد ان هناك شيئا ما : فكأنها حشرات ثم إنها قد حدثت ضجة عميقة

في تلك الحجرة المظلمة بهذا الضباب خلف الزجاج كان ذلك يبدو طبيعيا جدا أننى لن انسى نظرة عينيه تلك

أضفت بمخاتلة : - عليك ان تصعدى لترى

قال : - أوه لا : اخشى ان يوبخنى كم هى الساعة ؟

- الساعة العاشرة

- سأصعد اليه في العاشرة والنصف إن لم ينزل

قمت بخطوة نحو الباب

- هل انت ذاهب ؟ ألا تبقى ؟

- لا

- اكانت حشرة حقيقية ؟

فقلت له وأنا أهم بالخروج :

- لا أدري ربما كان ذلك لأنى كنت افكر فيه

كان الضباب قد انحسر قليلا واسرعت في عبور شارع " تورنوبريد " كنت بحاجة الى اضوائه ولكنى أصبت بالخيبة : كان ثمة نور بكل تأكيد وكان يسيل على زجاج المحلات ولكنه لم يكن نرا مرحا كان ابيض كل البياض بسبب الضباب وكان يسقط على كتفيك كماء " الدش "

كثير من الناس ولاسيما من النساء : خادمت ووصيفات ومديرات ايضا من هاتيك اللواتي يقلن :

" اننى اشترى بنفسى فهذا أضمن وكن يشمنن الواجهاث قليلا ثم ينتهى بهن المر الى الدخول •

توقفت امام بائع اللحوم جوليان وكنت أرى بين الحين والاخر عبر المرآه يدا تومىء الى الارجل

المحشوة بالكماة والى الامعاء واذ ذاك كانت فتاة سمينه شقراء تتحنى مبدولة الصدر وتأخذ بين اصابعها طرف اللحم الميت كان السيد فاسكيل ميتا في غرفته على بعد خمس دقائق •

بحثت فيما حولى عن مرتكز صلب عن حماية لى من أفكارى ولكنى لم أجد : رويدا رويدا كان

اضباب قد تمزق ولكن شيئا ما مغلقا كان باقيا يتمطى في الشارع ربما لم يكن تهديدا حقيقيا فهو قد امحى

شفافا لكن هذا بالذات هو ماكان ينتهى باشاعة الخوف اسندت جبيني بالواجهه ولاحظت على " مايونيز "

بيضه معدة على الطريقة الروسية قطرة ذات لون احمر معتم : كان ذلك دوما وكان هذا الاحمر على ذلك

الاصفر يثير اشمنزازى •

فجأة حدثت لى رؤية : سقط احد الاشخاص وجهه الى أمام ينزف في صحون الطعام وكانت

البيضة قد تدرجت في الدم وانفصلت عنها قطعه البندورة التى كانت تكلها فسقطت حمراء على اللون

الاحمر وكان المايونيز قد سال قليلا فاذا هو بحيرة من القشدة الصفراء تقسم قناه الدم الى ذراعين

هذا غاية في البلادة فيجب ان أنتفض اننى ذاهب للعمل في دار الكتب "

العمل ؟ كنت أعلم جيدا اننى لن اكتب سطرا واحدا انه نهار آخر يضيع ورأيت وأنا أعبر

الحديقة العامة على المقعد الذى اعتدت ان أجلس عليه رداء كبيرا ازرق جامدا هذا الانسان لا يصاب بالبرد

حين دخلت غرفة المطالعة كان العصامى يهم بأن يغادرها وارتمى على :

- يجب ان اشكرك ياسيدى صورك قد جعلتني اقضى ساعات لاتنسى

غمرتنى لحظة أمل إذ رأيتة : ربما كان من الايسر قضاء هذا النهار حين نكون اثنين لكن مع العصامى لن

نكون اثنين إلا في الظاهر

ضرب بيده على مجلد " تاريخ الاديان "

- ياسيدى لم يكن ثمة من هو أكفأ من " نوسابيه " لمحاولة وضع هذا المؤلف التركيبى أهذا صحيح ؟

كان الوهن باديا عليه وكانت يدها ترتجفان وقلت له :

- وجهك ينم عن التعب

- آه أظن ذلك ياسيدى ذلك انه حدث لى حادث كرية

كان الحارس قادما نحونا : انه كورسيكى قصير غضوب ذو شاربين يشبهان شاربى ضارب

طبل كبير وهو يتنزه ساعات طويلة بين الطاولات صافقا نعلية وهو في الشتاء يبصق في مناديل يجففها بعد

ذلك علناالموقد

واقترب " العصامى " حتى كان فمه يزفر امام وجهى وقال لى بلهجةحميمه :

- لن اقول لك شيئا امام هذا الرجل اذا كنت تريد ياسيدى ؟

- ماذا ؟

فاحمر وجهه وتمايل كشحاه بلطف :

- سيدي آه ياسيدي : أننى أرتمى في الماء هل تشرفنى بتناول الغذاء معى يوم الاربعاء؟

- بكل رضى

كانت رغبتى في تناول الغذاء معه تشبه رغبتى في شئ نفسى قال العصامى :

- ايه سعادة تحققها لى !

ثم اضاف بسرعة :

- سأتى لاصطحابك من بيتك اذا كنت تريد

اختلفى ولاشك ان ذلك كان خوفا من أن أغير رأى اذا ترك لى الوقت الكافى لذلك

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف وقد استغلت حتى الثانية إلا ربعا وكان عملا ردينا :

صحيح ان كتابا كان تحت نظرى ولكن ذهنى كان يرجع الى مقهى مابلى ترى أكون السيد فاسكيل قد نزل

الآن ؟ الحق أننى لم أكن أو من كثيرا في أعماقى بموته وهذا بالذات ماكان يزعجنى ! كانت هذه فكرة عائمة

لم أكن أستطيع أن اقتنع بها ولا ان انجو منها وكان نعلا الكورسيكى يصطفقان على الاض الخشبية وقد أتى

مرات عديدة ينزرع امامى وعليه هيئة من يريد التحدث إلى ولكنه كان يعدل ويبتعد .

وحوالى الساعة الواحدة خرج آخر المطالعين ولم اكن جائعا كنت لا اريد ان اذهب وعملت فترة

أخرى ثم انتفضت : كنت احسنى مكفنا بالصمت .

رفعت رأسى : كنت وحيدا لابد ان الكورسيكى قد نزل الى زوجته التى كانت بوابة المكتبة

وكانت بى رغبة لسماع صوت قدمية كل ماسمعه صوت سقوط فحم في الموقد كان الضباب قد غشى

القاعة ليس الضباب الحقيقى الذى كان قد تبدد منذ وقت طويل – وانما الضباب الآخر ذلك الذى كانت

الشوارع ماتزال ملأى به والذى كان يخرج من الجدران ومن الارض المبلطة انه لون من لاكتفاة الاشياء

وكانت الكتب ماتزال هنا بالطبع مصفوفة فوق البجدية على الرفوف بظهورها السوداء او السمراء وطابعها

اع ٠ اف ٧٩٩٦ (استعمال للعموم – ادب فرنسى) او أع، عط (استعمال للعموم – علوم طبيعية) ولكن

••• كيف افسر ؟ انها عادة بقوتها وكثافتها مع الموقد والمصابيح الخضر والنوافذ الكبيرة والسلام تسد المستقبل وما دام المرء باقيا بين هذه الجدران فان ماسيحدث ينبغي ان يحدث الى يمين الموقد او يسارة حتى ولو كان على القديس دني سان يدخل حاملا رأسه بين يديه فيجب ان يدخل من اليمين وأن يمشى بين الرفوف المخصصة للأدب الفرنسي والطاولة المخصصة للقارنات • واذا لم يمس الارض اذا عام على ارتفاع عشرين سنتيمترا من الارض فان عنقه الدامية ستكون على ارتفاع رف الكتب الثالث وهكذا تجدى هذه الاشياء على الاقل في تثبيت حدود ماهو محتمل الوقوع •

لكنها اليوم لم تكن تثبت شيئا على الاطلاق بل كان يبدو ان وجودها بالذات موضع شك وانها كانت تعاني اكبر المشقة للانتقال من لحظة الى اخرى وشدت بين يدي بقوه المجلد الذى كنت اقرأ فيه : ولكن أعنف المشاعر كانت قد ضعفت ولم يكن شىء ليبدو حقيقيا كنت احسنى محاطا بديكور كرتونى يمكن ان ينتزع فجأة من مكانه • كان العالم ينتظر وهو يمسك نفسه وهو يتصاغر – كان ينتظر نوبته " غثيانه " كما حدث للسيد اشيل في ذلك اليوم •

ونهضت لم يكن بوسعى بعد ان أتماسك وسط هذه الأشياء التى لحقها الضعف والوهن : وقمت لالقي نظرة من النافذة على رأس امبتراز وتمتمت : " كل شىء " يمكن ان يحدث " كلشىء " يمكن ان يحصل بالطبع ليس نوع ماهو فظيع الذى اختره البشر إن امبتراز لن يأخذ في الرقص على قاعدته وانما سيكون شيئا اخر •

ونظرت في ذعر الي هذه الكائنات غير الثابته التى ربما انهارت بعد ساعة او بعد دقيقة : اجل كنت هنا كنت اعيش وسط هذه الكتب الزاخرة بالمعارف التى كان بعضها يصور الاشكال التى لاتتغير للاجناس الحيوانية وكان بعضها الاخر يشرح أن كمية الطاقة تحتفظ بنفسها كليا في العالم كنت هنا واقفا قرب نافذة كان لزجاجها علامة انعكاس محددة ولكن ما أضعفها من حواجز أننى افترض ان العالم يتشابه من يوم لآخر بداعى الكسل انه يبدو اليوم وكأنه يريد ان يتغير واذا ذاك يمكن ان يحدث " كل شىء " " كل شىء " •

ليس لدى وقت اضيعة اصل هذا القلق يعود الى قصة مقهى مابلى يجب ان اعو داليه وأن أرى

السيد فاسكيل على قيد الحياة وأن ألمس عند الحاجة لحيته او يديه وعند ذاك ربما اتحرر .

تناولت معطى على عجل والقيته على كتفى من غير ان ارتدية اننى اهرب وفيما كنت اعبر

الحديقة وجدت في المكان نفسه الرجل ذا الرداء وكان له وجه ممتنع هائل بين أذنين قرمزيين من فرط

البرد .

كان مقهى مابلى يشع من بعيد : لابد ان المصاييح الاثنى عشر كانت مضاءة كلها وحثت

خطوى : كان ينبغي ان انتهى من الأمر وألقيت أولا بنظرة عاجلة من الفتحة الكبيرة المزججة كانت القاعة

خالية لم تكن أمينه الصندوق هناك ولا الخادم – ولا السيد فاسكيل .

كان على ان ابذل جهدا كبيرا لأدخل ولم أجلس بل صحت : " جارسون " فلم يجب احد كان ثمة

فنجان فارغ على طاولة وقطعة سكر على الصحن .

- اليس هنا أحد ؟

كان ثمة معطف يتدلى من مشجب وكانت مجلات مركومة في صناديق كرتونية سوداء

موضوعة على طاولة عمود واحد ارهقت سمعى لادنى صوت ممسكا انقاسى فرقع السلم الخاص فرقعة

خفيفة في الخارج صفارة باخرة خرجت متقهقرا من غير ان اغادر السلم بعينى .

أعرف جيدا أن الزبائن نادرون في الساعة الثالثة بعد الظهر كان السيد فاسكيل مريضا لابد انه

كان قد ارسل الخادم في مهمة – ربما للعودة بطبيب نعم ولكن القضية انى كنت " بحاجة " لأن ارى السيد

فاسكيل وعند مدخل شارع تونوبريد التفت وتأملت في اشمزاز المقهى المشع الخالى كانت الشبايبك مغلقة

في الطابق الاول .

استولى على ذعر حقيقى لم اكن ادري اين كنت سأتجه عدوت بمحاذاة احواض السفن انعطفت

الى الشوارع المقفرة في حى " بوفوازى " كانت البيوت تنظر الى هاربا بعيونها الكئيبة كنت اردد لنفسى

في ضيق : اين اذهب ؟ اين اذهب ؟ يمكن ان يحدث " كل شيء " وبين الحين والآخر كنت اقوم بنصف
استدارة فجائية خافق القلب : ما الذى كان يحدث في ظهري ؟ ربما كان ذلك سيبدأ خلفى حتى اذا التفت فجأة
يكون الاوان قد فات ومادام في إمكانى ان احقق في الاشياء فلن يحدث شيء : وكنت انظر الى كل ماكنت
استطيع النظر اليه من الطرق والبيوت وقناديل الغاز ، كانت عيناي تنتقلان بسرعة من احداها الى الاخرى
لتفاجئها وتوقفها اثناء تحولها لم تكن هيئتها طبيعية جدا لكنى كنت اقول لنفسى في قوه : هذا قنديل غاز وهذا
نبيع كنت احاول بقوه بصرى ان احيلهما الى مظهرهما اليومى وقد التفتيت مرات كثيرة بحانات في طريقى :
" مقهى سكان بريتانيا " " حانة البحرية " كنت اقف وأتردد امام سنائرها المصنوعة من التول الوردى :
ريما لم تمس هذه " العلب " المحكمة جيدا وربما كانت ماتزال تنطوى على اثاره من عالم الآمس معزولة
منسية ، ولكن كان ينبغى دفع الباب والدخول ولم اكن اجرؤ فكنت امضى في سبيلى كانت ابواب البيوت
خاصة : تخيفنى كنت اخشى ان تنفتح من تلقاء نفسها وانتهى بي الامر الى السير وسط الشارع .
افضيت فجأة الى محطة " احواض الشمال " قوارب صيد يخوت صغيرة وضعت قدمى على
حلقة حديدية محفورة في الحجر هنا بعيدا عن البيوت بعيدا عن الابواب سيتاح لى ان اعرف لحظة راحة
وعلى الماء الهادى المنقط بجيوب سود كانت سداة تعوم .

وتحت الماء ؟ الم تفكر بما عساه يكون " تحت الماء ؟"

حيوان ؟ بيت سلحفاه غارق الى منتصفه في الوحل ؟ ان اثنى عشر زوجا من الأرجل تفلح

الوعاء على مهل والحيوان يرتفع قليلا بين الحين والحين في جوف الماء دنوت مترصدا حركة ما تموجا
خفيفا ظلت السداة جامدة وسط الحبوب السود .

في تلك اللحظة سمعت اصواتا كان قد آن الاوان لذلك واستدرت على نفسى وواصلت سيرى .

ادركت الرجلين اللذين كانا يتكلمان في شارع "كاستيبيون " ولدى سماعهما وقع اقدامى ارتعشا

بعنف والتفتا معا ورأيت عيونهما القلقة تتجه نحوى ثم خلفى لترى اذا كان شيء آخر قادما كانا اذن مثلى

كانا اذن خائفين ؟ حين تجاوزتهما تبادلنا النظر : لولا قليل لتبادلنا الكلام لكن الأنظار عبرت فجأة عن

الحذر المرء في مثل هذا اليوم لا يتحدث الى اى كان .

الفيتنى في شارع " بولييه " وأنا الهث اذن فقد حكم القدر : اننى سأعود الى " دار الكتب "

وسأتناول رواية وأحاول ان اقرأ واذ حاذيت حاجز الحديقة العامة لمحت الرجل ذا الرداء كان مايزال هناك

في الحديقة المقفورة وكان انفه قد اصبح في مثل احمرار اذنية .

كنت اهم بدفع الحاجز لكن تعبير وجهه سمرنى : كان يغض عينيه ويقهقه نصف قهقه بهيئة بليدة

مسترخية لكنه في الوقت نفسه يحرق في شىء امامة لم اكن استطيع رؤيته بنظرة قاسية جدا وكثيفة جدا

حتى اننى التفت فجأة .

كان ثمه تجاهه فتاه صغيرة في حوالى العاشرة من عمرها فاغرة فمها رافعه احدى قدميها تتأمله

مبهورة وهى تشد بعصبية على منديل عنقها وتمد وجهها المدبب الى امام .

كان الرجل يبتسم لنفسه كمن يوشك ان يقوم بعمل مازح وفجأة نهض واضعا يديه في جيبي

ردائة الذى كان يتدلى حتى قدمية خطا خطوتين فانداحب عيناه حسبت انه سيسقط ولكنه ظل يبتسم بسمه

متناومة .

فهمت فجأة : الرداء كنت اود ان امنع ذلك كان حسبي ان اسعل ا وان ادفع الحاجز لكنى كنت

مسورا بدورى بوجه الطفل الصغيرة كانت ملامحها متمددة بالخوف ولا بد ان قلبها كان يخفق خفقا مريعا :

غير انى قرأت على خطم هذه الفأرة شيئا ما قويا وشريرا لم يكن ذلك فضولا بل كان الاخرى لونا من

الانتظار المطمئن واحسنتى عاجزا : كنت في الخارج عند حافة الحديقة عند حافة مأساتهما الصغيرة

ولكنهما هما كانا مشدودين احدهما الى الاخر بقوة رغبتهما الغامضة كانا يشكلان زوجا وامسكت انفاسى

كنت اريد ان ارى ما الذى سيرتسم على ذلك الوجه الذى بدأ يشيخ حين يعمد الرجل خلف ظهرى الى ابعاد

ذيول ردائه .

لكن الصغيرة نفضت رأسها فجأة واخذت تعدو متحررة كان الرجل ذو الرداء قد رأى : كان هذا

ما اوقفه وقد ظل لحظة جامدا وسط الممر ثم مضى مستدير الظهر كان رداؤة سصطفى بريلة ساقه .

دفع الحاجز وأدركته يقفز وصحت :

- إيه ! إسمع !

فأخذ يرتعش وقلت له بتأدب حين مررت به :

خطرا شديدا يثقل على المدينة

دخلت قاعة المطالعة تناولت " لارشارتروز دوبارم " التي كانت موضوعة على طاولة كنت

احاول ان استغرق في قراءتي ان اجد ملجأ في أيطاليا المشرقة كما وصفها ستاندال كنت ابلغ ذلك بالتدريج

وبهلسنات قصيرة ثم كنت اسقط ثانية في ذلك النهار المههد قبالة شيخ قصير كان يتنحج وشاب كان يحلم

وهو مستلق على كرسية .

كانت الساعات تنقضى الواجهات تصبح سوداء وكنا اربعة بالاضافة الى الكورسيكى الذى كان

يسجل على طاولته آخر مقتنيات المكتبة كان هناك ذلك العجوز القصير والشاب الاشقر وأمرأة شابه تعد

شهادة الليسانس وأنا كان احدنا يرفع راسة بين الحين والآخر فيلقى نظرة سريعة خدرة على الثلاثة الآخرين

كما لو انه كان يخشاهم وذات لحظة اخذ العجوز القصير يضحك : فرأيت المرأة الشابة ترتعش من رأسها

الى قدميها لكنى كنت قد تهجأت بالمقلوب عنوان كتاب كان يقرأه : رواية مرحة .

الساعة السابعة الا عشر دقائق فرت فجأة ان دار الكتب كانت تغلق ابوابها في الساعة السابعة سيلقى بي

مرة اخرى في المدينة فأين عسانى اذهب ؟ ما الذى سأفعله ؟

كان العجوز قد انجز روايته لكنه لم يكن ليذهب كان يضرب الطاولة بأصابعه ضربات منتظمة جافة قال

الكورسيكى :

- ايها السادة سنغلق الابواب عما قليل

فانتفض الشاب ورماني بنظرة موجزه كانت المرأة الشابة قد التفتت الى الكورسيكى ثم اخذت كتابها من جديد بدت وكأنها تغرق فيه

قال الكورسيكى بعد خمس دقائق :

- أننا نغلق

فهز العجوز رأسه بهيئة مترددة دفعت المرأة الشابة كتابها ولكن من غير ان تنهض

دهش الكورسيكى قام بعدة خطوات مترددة ثم ادار مفتاحا كهربائيا فأنطفت المصابيح على

طاولات المطالعة ظل المصباح المركزي وحده مضاء وسأل العجوز على مهل :

- ينبغي ان نذهب ؟

نهض الشاب متباطنا على مضض وقد انفق من الوقت اكثر من أى آخر ليرتدى معطفه حين

خرجت كانت المرأة ماتزال جالسة وقد بسطت احدى يديهما على كتابها

في اسفل السلم كان الباب يفغر فمه الليل انقتل الشاب وكان في الطليعة فهبط السلم على بطنه

اجتاز الممر وتلبث لحظة عند العتبة ثم ارتدى في الليل واختفى .

حين بلغت اسفل رفعت رأسى وبعد لحظة غادرت العجوز الصغيرة قاعة المطالعة وهو يزور

معطفه وحين هبط الدرجات الثلاث الاولى اندفعت غاطسا وانا مغمض عيني .

احسست على وجهي مداعبة صغيرة رطبة كان ثمة في البعيد من يصفر رفعت جفنى : كانت

السماء تمطر مطر عذب هادىء كانت الساحة مضاءة بسكون بقناديلها الاربعة ساحة ريفية تحت المطر كان

الشباب يبتعد بخطى واسعة كان هو الذى يصفر : اخذتنى الرغبة ان اصبح بالآخرين اللذين لم يكونا قد عرفا

بعدا، بوسعهما ان يخرجوا بلا خوف وان الخطر قد زال .

ظهر العجوز القصير على العتبة فحك خده بهيئة مرتبكة ثم ابتسم ابتسامة عريضة وفتح مظلته

صباح السبت

شمس فاتنة مع ضباب خفيف يعد بطقس جميل ذلك النهار وقد تناولت فطوري في مقهى مابلى

منحتنى السيدة فلوران امينه الصندوق بسمة عذبة وصحت من طاولتى :

- هل يكون السيد فاسيكيل مريضا ؟

- نعم ياسيدى انه " كريب " شديد وه مضطر الى ملازمة فراشة بضعة ايام وصلت ابنته هذا الصباح من دنكر ك وستقيم هنا للعناية به .

أنى سعيد حقا بأن ارى أنى من جديد للمرة الاولى منذ تلقيت رسالتها . ماالذى فعلته منذ سنته اعوام ؟ اترانا سنتضايق حين نلتقى من جديد ؟ أنى لاتعرف ماهو الضيق سوف تتلقانى كما لو انى تركتها امس المهم الا اتصرف بحماقة الا ازعجها بادية ذى بدء وان اتذكر الا امد لها يدى حين تصل : انها تحتقر ذلك كم يوما سنبقى معا ؟ ربما عدت الى بوفيل يكفى ان تعيش فيها بضع ساعات ان تنام ليله في فندق برنتانيا وبعد ذلك سيختلف الموقف ولن اشعر بعد بالخوف

بعد الظهر

حين قمت في العام الماضى بزيارتى الاولى لمتحف بوفيل استوقفتنى صورة اوليفه بلافينى

أبسبب خطأ في النسب ؟ أم في المنظور ؟ ماكنت لاستطيع ان اثبت لكن شيئا ما كان يزعجنى : ان هذا النائب لم يكن مستقر الهيئة على قماشة لوحته .

عدت بعد ذلك لأشاهدة عدة مرات لكن ضيقى لم يكن ينقضى لم اكن اريد الاقرار بأن بوردوران

الحائز على جائزة روما وعلى ست مداليات اخرى قد ارتكب غلطة في الرسم .

لكنى تبينت الحقيقة بعد ظهر هذا اليوم وانا اقلب صفحات مجموعة قديمة لصحيفة " ساتيريك بوفيلوا " وهى صحيفة شانتاح اتهم صاحبها في اثناء الحرب بالخيانة وسرعان ماغادرت دار الكتب وذهبت اليوم بجولة في المتحف .

عبرت عتمة الممر بسرعة لم تكن خطواتى لتحدث اية ضجة على البلاطات البيض والسود كان شعب كامل من الجص يلوى حولى اذرعتة لمحت عبر فتحتين كبيرتين اوانى مشققة وصحونا وانااا بقدمى تيس ازرق اصفر يثوم على قاعدة كانت تلك قاعة " برنار باليسى " كان ثمة سيد وسيدة يرتديان ثياب الحداد ويتأملان هذه الاشياء المطبوخة باحترام .

فوق مدخل القاعة الكبرى – او قاعة بوردوران – رونيدا – كانوا قد علقوا منذ وقت بعيد بلا شك لوحة كبيرة لم اكن اعرفها كانت تحمل توقيع ريشار سيفيران وتدعى " موت العازب " كانت اللوحة هبة من الدولة .

كان العازب متمددا عل سرير مدعوك عاريا حتى النطاق وقد اخضر صدره قليلا كما يجدر بالاموات كانت الأغطية والشراشف المدعوكة تتم عن احتضار طويل ابتسمت وانا اذكر السيد فاسكيل لم يكن وحده فابنته كانت تعتنى به وعلى اللوحة كانت الخادم ذات الملامح الشيرة قد فتحت درج خزانة واخذت تعد الدراهم كان باب مفتوح يتيح في الظل رؤية رجل ذى قبعة كان ينتظر وقد التصقت سيجارة بشفته السفلى وبالقرب من الجدار كانت قطه تعلق حليبا بلا اكتراث .

لم يكن هذا الرجل قد عاش الا لنفسه عقابا صارما وجديرا به لم يجىء احد فيغمض له عينيه وهو على سرير الموت كانت هذه اللوحة تعطينى انذارا اخيرا : الاوان لم يفت بعد كان بوسعى ان اعود على اعقابى ولكن لاعرف جيدا هذا اذا تجاهلت ذلك الانذار : ان ثمة في القاعة الكبيرة التى سأدخلها اكثر من مائة وخمسين صورة معلقة على الجدران فاذا استثنينا بضعة شبان نزعوا باكرا من أسرهم ومديرة ميتم فليس في الذين مثلوا هناك واحد قد مات اعزب وليس من مات بلا اولاد او بلا وصيه او بلا تناول السرار

• هؤلاء الناس الذين كانوا على علاقة طيبة مع الرب ومع الناس في ذلك اليوم كما في الايام الاخرى دلفوا على مهل الى الموت ليذهبوا فيطالبوا بنصيب الحياة الابدية الذى كان يحق لهم •

ذلك انه كان يحق لهم كل شىء الحياة والعمل والثروة والقيادة والاحترام واخيرا الخلود •

فرغت الى نفسى لحظة ثم دخلت كان ثمة حارس ينام قرب نافذة • كان نور اشقر يسقط من

الواجهات فيخلف لطخات على اللوحات • لم يكن ثمة ما هو حى في هذه القاعة الكبيرة المستطيلة باستثناء قطة اخذها الخوف عند دخولى فثربت لكنى احسست نظر مائه وخمسين زوجا من العيون تحط على •

جميع الذين كانوا ينتمون الى نخبه بوفيل بين ١٨٧٥ و ١٩١٠ كانوا هنا رجالا ونساء وقد رسمهم رونودا وبودوران برقه وعناية •

بنى الرجال كنيسة سانت - سيسيل - دولارمير • وأسسوا عام ١٨٨٢ اتحاد مجهزى المراكب

والتجار في " بوفيل " لكى " يجمعوا في ضمه قويه جميع ذوى الارادة الطيبة ويسهموا في الانعاش القومى

ويحيطوا محاولات الاحزاب التخريبية " ••• وقد جعلوا من بوفيل افضل مرفأ تجارى فرنسى تجهيزا

لتفريغ الفحم والخشب كان عملهم تمديدا المحطات وتوسيعها وقد اعطوا " المحطة البحرية " كل الاتساع

المطلوبى وعمقوا حتى ١٠٧٠ أمتار ماء الارسال للجزر المنخفض وذلك بواسطة عمليات متصله لجرف

الرمل وفي عشرين عاما ارتفعت حموله سفن الصيد التى كانت ٥٠٠٠ برميل فى عام ١٨٦٩ الى ١٨٠٠٠

برميل بفضل جهودهم انهم لم يكونوا يتراجعون عن بذل اية تضحية لتسهيل نجاح افضل ممثلى الطبقة

العاملة ولذلك انشأوا بمحض مبادرتهم مختلف مراكز التعليم التكتيكى والمهنى التى ازدهرت تحت جناح

رعايتهم وقد حطموا اضراب عمال المرافىء الشهير عام ١٨٩٨ وهبوا الوطن اولادهم عام ١٩١٤ •

اما النساء رفيقات هؤلاء المناضلين الكريمات فقد أنشأن معظم المؤسسات الخيرية وملاجىء

الفقراء ومشاغل البنات • ولكنهن كن قبل كل شىء زوجات وأمهات وقد بين اولادا جميلين وعلمنهم

واجباتهم وحقوقهم والدين واحترام التقاليد التى صنعت فرنسا •

وكان طابع الصور العام يميل الى الاسمر المعتم كانت الالوان الفاقعة مبعدة بدافع من الاحتشام ومع ذلك فإن ثلج الشعر والسوالف في لوحات رونودا الذى كان يؤثر رسم الشيوخ كان يحسم الالوان على ارضيات سود، كان يبدع في رسم الايدى اما عند بوردوران الذى كانت طرائقة أقل وضوحا فان الايدى كانت مهملة بعض الشيء خلافا للياقات المنشاة التى كانت تلمع كالمرمر الابيض .

كان الحر شديدا وكان الحارس يشخر على مهل القيت نظرة دائرية على الجدران فرأيت أيدى وعيونا هنا وهناك كانت لطفة ضوء تأكل وجها واذ كنت متجها نحو صورة اوليفيه بلافينى استوقفتنى شيء ما : كان التاجر " باكوم " يسقط على من الرواق نظرة مشرقة .

كان واقفا ممبلا رأسه بعض الشيء الى خلف ممسكا بيده قبعة عالية وقفازين بإزاء بنطلونه الرمادى لم أتمالك ان اكن له بعض اعجاب : فاننى لم اكن أرى فيه شيئا وسطا شيئا يمكن النقد منه : إن له قدمين صغيرتين ويدين دقيقتين وكتفى مصارع عريضتين وأناقفة خفية مع إثارة من جموح الهوى كان يهب الزوار في بشاشة نقاوة وجهه الذى لاتجد فيه بل ان ظل ابتسامه كان يرف على شفثيه غير ان عينية لم تكونا تبتسمان كان يوحي انه في حوالى الخمسين : نضرا وقتيا كما لو انه في الثلاثين كان جميلا .

عدلت عن رأى ان فيه خطأ ولكنه لم يتركنى فقد قرأت في عينية حكما هادئا مصرا .

وفهمت آنذاك كل ماكان يفصلنا : إن ما يمكن ان أفكر بصددة لم يكن ليبركة كان مجرد تحليل نفسى كذاك الذى يصنع في الروايات . لكن حكمة كان يخترقنى كالسيف ويضع حتى حقى في الحياة موضع التساؤل .

كان هذا صحيحا كنت دائما أدركة : لم يكن لى حق الحياة . لقد ظهرت اتفاقا وكنت موجودا كحجر كنبته كجرثومة كانت حياتى تنمو سعيدة في كل اتجاه كانت ترسل لى احيانا إشارات غامضة وأحيانا أخرى لم أكن أشعر إلا بطنين لا غاية له .

أما بالنسبة لهذا الرجل الجميل الخالى من النقائص الذى مات اليوم بالنسبة لجان باكوم ابن باكوم " الدفاع الوطنى " كان الامر مختلفا : خفقات قلبه وأصوات أعضائه كانت تجيئه بشكل حقوق صغيرة نقيه

فجائيه ولقد استعمل طوال ستين عاما بلا ضعف ولا هوادة حق الحياة باللعينين الرماديتين الرائعتين ! لم تعرفا أدنى شك وكذلك ياكوم إنه يخطيء فقط .

قام دائما بواجبه واجبه كله واجبه كابن وكزوج وكأب وكقائد كان ايضا قد طالب بحقوقه دون ما هوادة : حين كان صبيا طال بحقه بأن يربى تربيته جيدة في أسرة موحدة حق وارث لاسم غير ملطخ وارث لعمل مزدهر وكزوج طال بحقه بأن يعنى به ويحاط بالحب العطوف وكأب طال بحقه بأن يحترم وكقائد طال بحقه بأن يطاع دون ما همس ذلك ان الحق ليس إلا المظهر الاخر للواجب ولا بد ان نجاحه الهائل (إن اسرة باكوم هي اليوم أغنى أسرة في بوفيل) لم يدهشه قط . لم يقل لنفسه قط انه كان سعيدا وحين كان يحقق إحدى رغباته كان ينصرف اليها في اعتدال قائلا " أننى استريح " وهكذا كانت الرغبة تدخل هي ايضا في صف الحق فتفقد تفاهتها الاعتدائية وقد لاحظت أنه كان الى يسارة فوق شعرة الرمادى المزرق كتب مصفوفة على رف وكان تجليدها جميلا كانت بالتأكيد من أمهات الكتب الكلاسيكية ولاريب في أن باكوم كان يعيد مساء قبل ان ينام قراءة بضع صفحات من كتب " صديقة القديم مونتاني " أو انشودة لهوراس يفى الاصل اللاتينى لابد انه كان يقرأ أحيانا اخرى مؤلفا معاصرا على سبيل الاطلاع وعلى هذا النحو عرف " باريس " و" بورجيه " كان يضع الكتاب بعد فترة ويبتسم فيصبح نظره فقد تنبهه شبه عالم وكان يقول " ما أبسط ان يؤدي المرء واجبه وما اصعب ذلك !"

لم يسبق له قط ان قام بارتداد آخر على نفسه : كان قائدا

كان ثمة قواد آخرون معلقين على الجدران : بل لم يكن ثمه غير ذلك

كان قائدا ذلك الشيخ الطويل المخضر اللون الجالس على أريكة كانت صدرته البيضاء تذكرنا ناجحا بشعره الفضى (في هذه الصورة المرسومة خصوصا لغايات التسليح الخلقى التي كانت الدقه فيها تبلغ حد الوسواس لم يكن الهم الفنى غائبا) كان يضع يده الطويلة الدقيقة على رأس صبي صغير كان كباب مفتوح يستريح على ركبتيه اللتين كانتا محاطتين بغطاء لكن نظرة كان يتيه في البعيد . كان يرى جميع هذه

الإشياء التي لا يراها الشبان كان اسمه قد كتب على معينه من الخشب المذهب تحت صورته : كان

المفروض ان يسمى باكوم او بارونين او شينيو .

فانه لم يخطر لى ان أذهب فأرى : فبالنسبة لأقاربه ولهذا الصبى ولنفسه كان بكل بساطة الجد فاذا كان الان

يحكم بأن الساعة قد حانت ليطلع حفيده على مدى واجباته المقبلة فانه سيتكلم عن نفسه بصيغة الغائب .

- عد جدك بأن تكون عاقلا يا صغيرى الحبيب وبأن تدرس جيدا في العام القادم فربما غاب الجد في العام

القادم .

كان في مساء الحياة ينشر على كل انسان طبيته الرحيمة ولو كان يرانى انا بالذات - ولكنى

شفاف إزاء نظراته - لوجدت في عينيه الرحمة : سوف يفكر بأنه كان لى في الماضى جدود ولم يكن يطلب

شيئا : المرء حين يبلغ هذه السن يفقد كل شهوته لم يكن يطلب الا ان يخفض الناس صوتهم قليلا حين يدخل

، وإلا ان تحمل البسمات حين يمر ظلا من حنان واحترام وإلا ان تقول بنت زوجته أحيانا : " إن أبى هائل

انه أفتى منا جميعا " والا ان يكون وحده القادر على تهدئه غضب حفيده بأن يضع له يديه على رأسه وأن

يستطيع ان يقول له بعد ذلك : " انالجد هو الذى يحسن ان يؤاسى هذه الهموم الكبيرة " . والا ان يأتى ابنه

بضع مرات في العام ليطلب نصائحه حول القضايا الدقيقة وإلا ان يحس اخيرا أنه هادىء مطمئن عاقل ال

ابعد حد كانت يد السيد العجوز تلامس ملامسه خصلات شعر حفيده : كان ذلك شبه بركة بم عساه كان

يفكلا ؟ بماضية المشرف الذى كان يمنحه حق التحدث بكل شىء وأن تكون له الكلمة الاخيرة في كل شىء

إننى لم اكن ذلك اليوم بعيدا بما فيه الكفاية كانت " التجربة " اكثر من دفاع ضد الموت كانت حقا : حق

الشيوخ .

الجنرال اوبرى المعلق في الرواق بسيفه الكبير كان هو ايضا قائدا كذلك الرئيس هبير المتعلم

المرهف صديق امبتراز كان وجهه طويلا ومتناسبا ذا ذقن لا ينتهى تنقطه خصلة زغب صغيرة تحت الشفه

السفلى : كان يبرز فكه قليلا بحيث تبدو عليه هيئة من يحرص على التميز او على اصدار اعتراض مبدئى

كجشأة خفيفة كان يحلم كان يمسك بريشه اوزة : هو ايضا كان يستريح وكان ذلك يقرض الشعر ولكن كانت له عين القادة النسرية .

الجنود ؟ كنت في وسط القاعة قبله أنظار جميع هذه العيون الجادة لم أكن جدا ولا أبا حتى ولا

زوجا ولم اكن اقترح أكاد لا ادافع إلا بعض الضرائب : لم أكن استطيع ادعاء حقوق المكلف ولا حقوق

الناخب حتى ولا حق السرف المتواضع الذى تضيفه على المستخدم عشرون عاما من الطاعة كانت حياتى

قد بدأت تدهشنى بصورة جادة ألم أكن مجرد مظهر .

قلت لنفسى فجأة : " هيه ! انا الجندى ! " أضحكى ذلك بلا حقد .

رد لى بسمه جميلة رجل خمسينى سمين كان رونودا قد رسمه في محبة ولكنه لم يضيف عليه

لمسات بالغة الحنان بالنسبة للأذنين المتلثتين الدقيقتين ولا لليدين خاصة الطويلتين العصبيتين بأصابعهما

المنفرجة : انهما يدا عالم او فنان حقيقتان كان وجهه مجهولا عندى : ولا بد انى غالبا ما مررت باللوحه

من غير ان أنتبه اليه اقتربت فقرأت : " ريمى باروتين مولود في بوفيل عام ١٨٤٩ اتاذ في مدرسة الطب

بباريس "

باروتين : سبق للدكتور واكفيلد ان حدثنى عنه :

" التقيت ذات مرة في حياتى رجلا طويلا كان يدعى ريمى باروتين تابعت محاضراته خلال

شتاء ١٨٠٤ (انت تعرف أنى قضيت عامين في باريس لأدرس فن التوليد) وقد أفهمنى ماهو القائد اقسام

لك انه كان يملك تيارا يكهربنا حتى يصبح بإمكانه ان يقودنا طوعا الى اخر الدنيا كان ألى ذلك انسانا نبيللا :

يملك ثروة ضخمة يخصص قسما كبيرا منها لمساعدة الطلاب الفقراء " .

هكذا أوحى لى امير العلم هذا اذ سمعت به للمرة الاولى ببعض المشاعر القويه وهأنذا الآن

أمامه وهو يبتسم لى وكم كان في بسمته من ذكاء وبشاشة ! كان جسمه السمين يستريح باسترخاء في جوف

اريقة جلدية كبيرة كان هذا العالم البعيد عن الغرور يوحى للناس فورا بالاطننان والرضى ولولا روحانية

نظرته لمال الانسان الى اعتبارة رجلا أقرب الى السذاجة .

ليس المرء بحاجة الى وقت طويل ليدرك سر نفوذة : كان محبوبا لأنه كان يفهم كل شىء وكان

بامكان المرء ان يقول له كل سىء وبالاجمال كان يشبه رينان بعض الشبه مع مزيد من التميز كان من هؤلاء الذين يقولون :

" الاشتراكيون ؟ الحقيقة اننى انا أذهب أبعد مما يذهبون ؟ " وحين يتبعة المرء في هذا الدرب

الخطر فانه لن يلبث طويلا حتى يهجر وهو يرتعش الأسرة والوطن وحق التملك وأقدس القيم بل إنه ليشك

لحظة بحق النخبة البورجوازية في القيادة خطوة اخرى واذا بكل شىء فجأة يعود الى نصابة قائما على

اسس صلبة بصورة مدهشة فاذا التفت بعد ذلك لمح خلفه الاشتراكيون وقد ابتعدوا وضحوا صغارا وهم

يلوحون بمنديلهم صائحين : " إنتظرونا !"

الحق انى كنت اعرف عن طريق واكفيلد أن " المعلم " كان يحب كما يقول هو نفسه ميتسما أن

" يولد الأرواح " ولما كان قد بقى شابا فانه كان يحب ان يحيط نفسه بالشباب : كان غالبا ما يستقبل شبان

الاسر المرموقه الذين كانوا بتجهون الى قراءة الطب وقد قصده واكفيلد غير مرة وتناول الطعام في منزله

كان " المعلم " يدلف مع ضيوفه الى غرفة التدخين بعد الغذاء فيعامل هؤلاء الطلاب معاملة الرجال بالرغم

من انهم لا يكونون قد تجاوزا بعد تدخين سيجارتهم الاولى : فيقدم لهم السيجار كان يتمدد على ديوان ليتحدث

طويلا وعيناه نصف مغمضتين يحيط به جميع تلاميذة العطاش كان يبتعث ذكريات ويروى حكايات

يستخرج منها عبرا عميقة نافذة واذا اتفق ان كان بين هؤلاء الشبان الذين ربوا تربية صالحة شاب مشاكس

معاند فان باروتين كان يوليه اهتماما خاصا كان يدعوه للكلام وستمع اليه باهتمام ويقدم له أفكارا

وموضوعات للتأمل كان يأتي يوم بالضرورة يمتلىء فيه الشاب بالافكار السمحة ويثور للعداوة التى يلقاها

من ذويه ويتعب من كونه يفكر وحده وضد الجميع فاذا هن يطلب من " المعلم " ان يستقبله على انفراد

فيبوح له وهو يتمتم من فرط الخجل بأخفى أفكاره وآلامه وآماله وكان باروتين يشده الى صدره ويقول له :

" اننى افهمك وقد فهمتك من اليوم الاول وكان يتحدثان ويمضى باروتين بعيدا ويمعن في البعد حتى يجد

الشاب مشقة في متابعته وبعد بضع مقابلات على هذا النحو يمكن للمرء ان يلاحظ تقدما محسوسا لدى

الشاب المتمرد إنه يتبصر طريقة ويتعلم ان يعرف الصلات العميقة التى كانت تربطه بأسرته ومحيط ويفهم

أخيرا دور النخبة الرائع وينتهي المر بالنعجة الشاردة التي تبعث باروتين خطوة خطوة الى ان تجد نفسها بسحر ساحر وقد عادت الى " الحظيرة " واعية نادمة لقد شفى من النفوس يقول واكفيلد منها حديثا اكثر مما شفيت من الاجسام " .

كان ريمى باروتين يبتسم لى بشاشة كان حائرا يسعى الى ان يفهم وضعى لينعطف به على مهل ويعيدنى الى الحظيرة لكنى لم اكن أخافه: اننى لم اكن نعجة ونظرت الى جبينه الجميل الذى لا أثر فيه للتعهد وبطنه الصغير ويده المبسوطة على ركبته وبادلته بسمته ثم تركته .

كان جان باروتين اخوه رئيس جمعية S.A.B يعتمد بكلتا يديه على حافة طاولة محملة بالأوراق وكان بوضعه كله يخبر الزائر بأن الجلسة كانت قد انتهت . كان نظره خارقا كان كأنه مجرد وكان يلتمع بالحق الصافى كانت عيناه الباهرتان تلتهمان وجهه كله وقد رأيت تحت هذا اللهب شفتين رقيقتين مشدودتين تشبهان شفتى صوفى وقلت لى نفسى " عجباً إنه ريمى باروتين . " والتفت الى " المعلم الكبير " أننى إذ أتفحصه على ضوء هذا الشبه أرى فجأة على وجهه العذب ما لست أدربه من الجفاف والأسى من طابع الأسرة وعدت الى جان باروتين .

كان لهذا الرجل بساطة الفكرة ولم يكن باقيا منه سوى عظم ولحم ميت و " حق صاف " وفكرت : حالة تملك حقيقية حين يستولى " الحق " على انسان فليس ثمة تعزيم يستطيع ان يطرده ولقد كرس جان باروتين كل حياته للتفكير بحقه " : لاشيء آخر ولو كان بدلا منى حين كنت أشعر بصداع خفيف كلما زرت متحفا لشعر فى صدغيه بحق اليم فى ان يعنى به كان ينبغى ألا يحمل أبدا على الامعان فى التفكير وألا يلفت انتباهه الى وقائع غير سارة الى موته الممكن والى الآلام الآخرين ولاشك فى انه قال لزوجته وهو على سرير الموت فى تلك الساعة التى تواضع فيها الناس منذ سقراط على النطق ببعض الكلمات الرفيعة قال لزوجته كما قال احد اخوالى لزوجته التى كانت قد سهرت عليه اثنى عشرة ليلة : " اننى لا اشكر كانت ياتيريز فانتم لم تقومى الا بواجبك " وحين يبلغ رجل هذا المبلغ فيجب ان ترفع القبعة احتراما له .

كانت عيناه اللتان حدقت فيهما بدهشة شديدة تومنان لى بالانصراف لكنى لم انصرف كنت بكل تأكيد قليل الحذر ولكونى قد تأملت طويلا في مكتبة الاسكوريال صورة لفيليب الثانى كنت اعلم النالمرء حين ينظر مواجهه الى وجه يتفجر بالحق فان هذا التفجير ينطفئ بعد لحظة ليخلف اثرا من رماد : وهذا الاثر هو الذى كان يهمنى ..

كان باروتين ينم عن مقاومة جميلة لكن نظرة انطفأ فجأة وأصبحت اللوحة شاحبة . ماالذى كان باقيا ؟ عيناه عماوان والقم الدقيق الشبه يحية ميتة ووجنتان .وجنتا صبى شاحبتان مستديرتان : كانتا تتمددان على قماشة اللوحة لم يسبق لعمال جمعية S.A.B ان لاحظوا قط : فلم يكونوا يبقون في مكتب باروتين وقتا كافيا لذلك كانوا اذا يدخلون يلتقون هذا النظر المريع كالجدار كان الخدان من الخلف في منجى ابيضين رخوين ترى كم كان على زوجته ان تنفق من الوقت لتلاحظهما ؟ عامين ؟ خمسة اعوام ؟ اننى اتصور انها ذات يوم اذا كان زوجها نائما الى جانبها وشعاع من القمر يلامس انفه او حين كان يهضم في مشقه عند الظهر القائط مستلقيا فوق اريكة وعيناه نصف مغمضتين وبقعه شمس على ذقنه جرؤت على ان تنظر اليه مواجهه فاذا بهذا اللحم كله يبرز من غير حماية متورما مشوها فاجرا بغموض ولا ريب في ان السيدة باروتين منذ ذلك اليوم قد تسلمت القيادة .

خطوت بضع خطوات الى الخلف وشملت بنظرة واحدة هذه الشخصيات الكبيرة باكوم ، الرئيس هيبير ، الاخوين باروتين ، الجنرال اوبرى كانوا قد اعتمروا جميعا قبعات عالية وكانوا يلتقون يوم الاحد في شارع تورنوبريد السيدة جراتيان زوجة المختار التى رأت القديسة سيسيل في نومها فكانوا يوجهون لها تحيات احتفالية كبيرة ضاع سرها .

كانوا قد رسموا بدقه كبيرة ومع ذلك فان وجوههم كانت تحت الريشة قد جردت الضعف الخفى لوجوه الرجال .كانت طلعاتهم واضحة كالخزف حتى اشدھا ضعفا : عبثا كنت ألتمس فيها قرابه ما مع الشجر والحيوان مع افكار الأرض او الماء .كنت اعتقد جيدا انهم لم يحسوا بهذه الضرورة وهم على قيد الحياة ولكنهم حين انتقلوا الى الخلود عهدوا بأنفسهم الى رسام مشهور لكى يحدث على وجوههم بصورة خفيه تلك العمليات من الجرف والتقب والسقى التى غيروا بها البحر والسهول حول مدينة بوفيل وهكذا

استعبدوا بمساعدة رونودا وبوردوران " الطبيعة " كلها : خارج نفوسهم وداخلها ان ما كانت هذه اللوحات المعتمدة تهبه لأنظاري انما كان هو الانسان مفكرا به ثانية من قبل الانسان مع اجمل فتح حقه الانسان كزينه وحيدة : باقة " حقوق الانسان والمواطن " .

أننى معجب بحكم الانسان وسلطته من غير فكرة مبيته .

كان سيد وسيدة قد دخلا وكان برتديان السواد ويحاولان ان يتضاءلا وقد توقفا مأخوذين على

عتبه الباب وحسر الرجل رأسه بالية فقالت المرأة منفعلة جدا :

- أه ، حسنا !

استعاد الرجل برودته بأسرع منها وقال بلهجة احترام :

- أنه عهد برمته

فقالت المرأة : - نعم انه عهد جدتي

خطا بضع خطوات فالتقيا بنظر جان باروتين ولبثت السيدة فاغرة الفم . أما السيد فلم يكن معتزا

: كان يبدو بهيء متواضعة ولا بد انه كان يعرف جيدا النظرات التى تبعث على الرهبة والجلسات المقصرة وقد جذب زوجته من ذراعها على مهل وقال :

- انظرى الى هذا

كانت بسمة ريمى باروتين تعود دائما بالراحة والرضى على المتواضعين واقتربت المرأة فقرأت في اجتهاد

: " صورة ريمى باروتين المولود في بوفيل عام ١٨٤٩ استاذ في مدرسة الطب بباريس بريشة رونودا

قال زوجها - باروتين من اكاديمية العلوم بريشة رونودا من المعهد هذا من " التاريخ !"

فهزت السيدة رأسها ثم نظرت الى " المعلم الكبير " وقالت :

- كم هو جميل وكم يبدو ذكيا !

فأتى الزوج حركة واسعة وقال ببساطة :

- هؤلاء جميعا هم الذين صنعوا بوفيل

فقالت السيدة بلهجة عطوف :

- أحسنوا صنعا بوضعهم جميعا معا هنا

كنا ثلاثة جنود نقوم بعملية مناورة في هذه القاعة الواسعة كان الزوج يضحك احتراما في صمت ثم رمانى بنظرة قلقة وكف فجأة عن الضحك .

استدرت وذهبت انزرع تجاه صورة اوليفيه بلافينى وغمرتني متعه عذبه : الواقع انى كنت على حق كان ذلك عجيبا حقا !

كانت المرأة قد اقتربت منى فقالت : وقد تشجعت فجأة :

- جاستون تعال !

فأقبل الزوج نحونا وتابعت المرأة :

- هناك شارعا باسم هذا الرجل : اوليفيه بلافينى اتعرفه ذلك الشارع الصغير الذى يتسلق " الرابية الخضراء " قبل ان نصل الى جوكتابوفيل

وأضافت بعد لحظة :

- لم يكن دمث الاخلاق .

- نعم ولا بد أنه كان يجد كثيرا من المحتجين الشرسين

كانت العبارة موجهة الى نظر الرجل من زاوية عينيه وأخذ يضحك في شيء من الصخب هذه

المرّة بهيئة متغترسة متنطسة كما لو انه كان هو نفسه اوليفيه بلافينى

لم يكن اوليفيه بلافينى يضحك كان يصوب نحونا فكه المنقبض وكان حلقومه بارزا

حدثت لحظة صمت وانتشاء ثم قالت السدة :

- لكأنى به يهم بأن يتحرك

فأوضح الزوج بمراعاة :

- كان تاجرا كبيرا للقطن ثم تعاطى السياسة وكان نائبا

كنت اعرف هذا فمئذ عامين استشرت بشأنه " القاموس الصغير لرجال بوفيل الكبار " مع وضع الاب

موريليه ونسخت المقال

" بلافينى اوليفيه - مارتيال ابن السابق ولد ومات في بوفيل (١٨٤٩ - ١٩٠٨) درس الحقوق

في باريس وحصل على درجة الليسانس عام ١٨٧٢ .

تأثر جدا بفتنة " الكومون " التى اجبرته ككثير من الباريسيين على اللجوء الى فرساي تحت

حماية المجلس الوطنى فأقسم وهو مايزال في السن التى لا يحلم فيها الشبان الا باللذة " على ان يكرس حياته

لاعادة النظام " وقد اوفى بعهدة : فبمجرد عودته الى مدينتنا أسس " نادى النظام " الشهير الذى كان يجمع

كل مساء لمدة سنوات طويلة اهم تجار بوفيل ومجزئها وهو النادى الارستقراطى الذى قيل عنه على سبيل

الفكاهه انه كان اكثر انغلاقا من " الجوكى " احدث حتى عام ١٩٠٨ تأثيرا طيبا على مقدرات مرفأنا

التجارى الكبير وتزوج اوليفيه بلافينى عام ١٨٨٠ ماري - لويز باكوم صغرى بنات التاجر شارل باكوم (

أنظر هذا الاسم) وأسس عند موته هذا الاخير دار باكوم - بلافينى واولادهما وبعد ذلك بقليل التفت الى

السياسة الفعالة ورشح نفسه للنيابة .

قال في خطاب له مشهور ان البلاد تعاني اخطر مرض : وهو ان الطبقة الموجهة لاتريد ان تقود بعد فمن الذى سيقود ايها السادة اذا كان اولئك الذين جعلتهم وراثتهم وتربيتهم وتجربتهم اجد الناس بممارسة السلطة ينصرفون عنها بداعى التخلّى او التعب ؟ سبق ان قلت غير مرة : القيادة ليست حقا للنخبة بل هى واجبها الرئيسى . اننى اتضرع اليكم ايها السادة : لتعد مبدأ السلطة الى نصابه ! "

انتخب في الثورة الاولى يوم ٤ أكتوبر ١٨٨٥ واعيد انتخابه باستمرار منذ ذلك التاريخ . ألقى بضعة خطب لامعة تميز فيها بفصاحة قوية صلبة . كان في باريس عام ١٨٩٨ حين انفجر الاضراب المريع فاننتقل بسرعة الى بوفيل حيث اصبح محرك المقاومة واتخذ مبادرة التفاوض مع المضربين لكن هذه المفاوضات التى أملتها روح مصالحة عريضة قطعت بسبب وقية جوكتابوفيل ومعروف ان تدخلا سريريا قام به الجيش قد اعاد الهدوء الى النفوس .

كان موت ابنه اوكتاف الذى دخل مدرسة البوليتيكنيك وهو بعد فتى كان يريد ان " يجعل منه قائدا " ضربة هائلة أصابت اوليفيه بلافينى في الصميم ولم ينهض بعد هذه الضربة فمات بعد ذلك بعامين في فبراير ١٩٠٨ .

مجموعات خطب " القوى المعنوية " (١٨٩٤) " واجب العقاب " (١٩٠٠) ألقى جميع خطب هذه المجموعة بصدد قضية دريفوس " ارادة " (١٩٠٢) وجمعت بعد موته خطبة الاخيرة مع بعض رسائل لأخصائه تحت عنوان Labor Improbus (دار بلون ١٩١٠) في علم الصور : انها صورة ممتازة وكان اوليفيه بلافينى يحمل شاربا سغيرا اسود كان وجهه الزيتونى يشبه قليلا وجه موريس باريس ولاشك ان الرجلين قد تعارفا فقد كانا يجلسان على مقعد واحد لكن نائب بوفيل لم يكن يملك لامبالاة رئيس " جامعة الوطنيين " كان صلبا كالهراوة كان ينبع من اللوحة كما ينبع شيطان من قمقه كانت عيناه تقدحان شررا : كان البؤبؤ اسود والقرنية محمرة كان يقرص شفنيه السغيرتين الريانتين ويشد يده اليمنى على صدره .

لكم ألقنتي هذه الصورة كان بلافينى يبديو لى احيانا مفرط الطول وكان احيانا اخرى يبديو لى

مفرط القصر اما اليوم فانى اعرف ماكان امامى .

كنت قد علمت الحقيقة وانا اقلب جريدة " ساتيريك بوفيلوا " كان عدد يوم ٦ نوفمبر ١٩٠٥

مخصصا برمته لبلافينى وقد مثلوه على الغلاف صغيرا معلقا بعرف الاب كومب مع هذه الفذلكة : " قمل الاسد " .

وكان كل شىء يتضح منذ الصفحة الاولى : كان طول اوليفيه بلافينى مترا وثلاثة وخمسين .

وكانوا يهزأون من قامته القصيرة وصوته الضفدعى الذى جعل مجلس النواب اكثر من مرة ينفجر ضاحكا كانوا يتهمونه بأنه يضع اكعابا من الكاوتشوك لتعلية في المقابل كانت السيدة بلافينى وهى من اسرة باكوم حصانا ويضيف المؤرخ قوله : " وهذا يعنى ان ضعفه يساوى نصفها " .

متر وثلاثة وخمسون ! نعم " ان بوردوران كان بعناية فائقة قد احاط بجميع تلك الاشياء التى

لاتعرضه للتصغير مقعد منخفض محشو اريكة واطئة رف طاولة فارسية صغيرة على انه منحة القامة

نفسها التى كان يملكها جارة جان باروتين وكانت للوحتين الابعاد نفسها كان ينتج من ذلك ان الطاولة

الفارسية الصغيرة المرسومة في اللوحة الاولى كانت في مثل كبر الطاولة الهائلة المرسومة في الاخرى

وان المقعد المنخفض المحسو كان بمحاذاة كتف باروتين وكانت العين تقوم بالمقابلة بصورة غريزية : كان

هذا مصدر انزعاجى .

اما الان فان بى رغبة للضحك : متر وثلاثة وخمسون ! لو اردت ان اتحدث الى بلافينى لوجب

على ان انحنى او انطوى على الركبتين ولم اكن لأدهش بعد ان يرفع انفه في الهواء بمثل هذا التحدى : ان

قدر الرجال الذين يملكون هذه القامة يقرر دائما على بعد بوضع بوصات فوق رؤوسهم .

يالقوة الفن المعجبة ! لن يخلد شىء من هذا الرجل القصير ذى الصوت الثاقب الا وجه مهدد

وحركة رائعة وزعينان داميتان تشبهان عيني الثور .

الطالب المذعور بسبب " الكومون " النائب القصير الهادر : هذا ما أخذ الموت ولكن الذى خلد بفضل
بورديوران هو رئيس " نادى النظام " وخطيب " القوى العنوية " .

- أوه ! يا" لبيبو" الصغير المسكين !

كانت السيدة قد اطلقت ثرخة مخنوقه : فقد كان تحت صورة اوكتاف بلافينى " ابن السابق " عبارة قصيرة
خطتها يد تقيّة :

" مات في مدرسة البوليتكنيك عام ١٩٠٤ "

- مات ! شأنه في ذلك شأن الابن ارونديل . كان له مظهر الذكاء وكم شق ذلك على امه دون ريب ! والحق
انهم يرهقونهم جدا في تلك المدارس الكبيرة ان العقل يعمل حتى في اثناء النوم اما انا فأحب كثيرا هذه
القبعات ذات القرنين انها توحى بالاناقة هل هي تسمى " الكاسوار ؟"

- لا ان قبعات " الكاسوار " يلبسها سكان سان - سير

تأملت بدورى طالب البوليتكنيك الذى مات صغيرا والحق ان بشرته الشمسية وشاربة المفكر
يكفيان لايقاف فكرة موت قريب والواقع انه كان قد تنبأ بمصيرة : فان نوعا من الاستسلام يبدو في عينيه
المشرقتين اللتين كانتا تنفذان الى البعيد ولكنه في الوقت نفسه كان يرفع رأسه وكان بهذا الثوب العسكرى
يمثل " الجيش الفرنسى " .

وردة مقطوعة طالب في البوليتكنيك مات : أى شىء ادعى الى الحزن ؟

سرت على مهل في الرواق الطويل محييا من غير ان اقف الوجوه النبيلة التى كانت تخرج من
الظل : السيد بوسوار ، رئيس المحكمة التجارية ، السيد فابى رئيس مجلس ادارة مرفأ بوفيل المستقل ،
السيد بولانج ، التاجر مع اسرته السيد رانوكان مختار بوفيل السيد دولوسيان المولود في بوفيل سفير فرنسا
في الولايات المتحدة وشاعر مجهول في ثياب المحافظ الام سانت مارى - لويز مديرة الميتم الكبير السيد
والسيدة تيرزون السيد ثيبوست - جورون المدير العام لمجلس الحكماء السيد بوبو المدير الرئيسى "

للتسجيل البحري " السادة بريون ، مينيت ، غرولو ، لوفيفر ، الدكتور بان وزوجته ، بوردوران نفسه ،
مرسوما بريشة ابنه بيار بورودوران . نظرات شفافة باردة ملامح دقيقة افواه رقيقة السيد بولانج كان
ضخما وصابرا الام سانت -مارى - لويز ذات تقى بارع السيد ثيبوست -جورون كان قاسيا على نفسه
قسوته على الآخرين .اما السيدة تيريزون فقد كانت تقاوم مرضا عميقا من غير ان تهن وكان فيها المتعب
الى ابعد حد يعبر عن عذابها تعبيريا كافيا .

ولكن هذه المرأة التقية لم تقل قط " اننى متألمة " وكانت تقوم وتتمتصر : كانت تشكل جداول
طعام وترأس جمعيات خيرية كانت احيانا وهى في وسط عبارة من العبارات تسبل جفنيها على مهل فتغادر
الحياة وجهها لم يكن هذا الاسترخاء يدوم اكثر من لحظة يفكانت السيدة تيريزون سرعان ماتفتح عينيها
وتستأنف عبارتها كانوا يتمتمون في المشغل " مسكينة السيدة تيريزون ! لاتشكو ابا "
كنت قد عبرت صالة بوردوران - رونودا بكل طولها واستدرت وداعا ايتها الزنبنقات الناعمة في معابدك
المرسومة وداعا ايتها الزنبنقات الجميلة موضع فخرنا وسبب وجودنا وداعا ايها " القذرون "

الاثنين

انقطعت عن تأليف كتابة عن رولبون انتهى الأمر لا استطيع بعد ان اكتبه فما الذى سأصنعة بحياتي ؟
كانت الساعة الثالثة كنت جالسا على طاولتى وكنت قد وضعت على جانبي رزمة الرسائل التى سرققتها في
موسكو كنت اكتب "
" اهتم البعض بنشر عدد من الاشاعات الموزية ولا بد ان السيد دورولبون وقع في هذه المناورة
مادام قد كتب لحفيدة بتاريخ ١٣ سبتمبر انه كتب وصيته "
كان المركز حاضرا : وبانتظار ان اسجله نهائيا في الوجود التاريخي كنت اعيرة حياتي وكنت
احس به حرارة خفيفة في جوف معدتى .

خطر لى فجأة اعتراض لن يقصر الناس في توجيهه الى : كان رولبون بعيدا عن ان يصارح
بالحقيقة حفيده الذى كان يريد ان يستغله اذا فشلت قضيته كشاهد نفي بالقرب من بول الاول فكان ممكنا جدا
ان يكون قد اخترع قصة الوصية ليظهر بمظهر الساذج .

لكن هذا اعتراض تافه لا يثبت شيئا غير انه يكفى مع ذلك لاغراق في حلم شرس تمثلت فجأة
الخدم السمينية التى تعمل في مطعم " شى كميل " ورأس السيد اشيل الشارد والقاعة التى احسستى فيها
منسيا متروكا يفي الحاضر قلت لنفسى في ضجر :

" كيف استطيع انا الذى لم تكن لى قدرة حفظ ماضى بالذات ان اوئل امكان انقاذ ماضى رجل آخر ؟"
اخذت ريشتى وحاولت ان اعود الى العمل كان لى ركام كبير من هذه التأملات حول الماضى
والحاضر والعالم ولم اكن اطلب الا شيئا واحدا : ان يتركونى انهى كتابى بهدوء.

لكن حين وقع بضرى على دفتر الورق الابيض اخذت مظهره فبقيت وريشتى في الهواء أتأمل
هذا الوبق الباهر : كم كان قاسيا ولامعا كم كان حاضرا ! لم يكن فيه شىء الا من الحاضر ولم تكن
الأحرف التى خطتها عليه قد جفت بعد ومع ذلك كفت عن ان تخصنى .

" اهتم البعض بنثر الاشاعات المؤذية " ...

فكرت في هذه العبارة وتأملتها كانت اولا بعض نفسى اما الآن فقد حفرت في الورق فهى تقف
كتله ضدى وانا لا اتعرفها بعد بل لم يكن بوسعى ان مافكر فيها ثانية .كانت هنا قبالتى وعبثا مالتمس فيها
اشارة للمصدر الاصلى بوسع كل انسان آخر ان يكتبها ولكنى لم أكن متأكدا أنى كتبتها والحرف الآن لم تكن
بعد لتلمع بل كانت جافة . كان هذا ايضا قد اختفى : لم يكن باقيا بعد شىء من التماعها المؤقت .

ألقيت نظرة قلقة فيما حولى : حاضر ولاشئ غير الحاضر أثاث خفيف وصلب مليئة بخاصرها
طاولة سرير خزانة ذات مرآة – وأنا نفسى كانت طبيعية الحاضر الحقيقة تكشف عن نفسها : كانت ماهو
كائن وكل مالم يكن حاضرا غير كائن الماضى لم يكن كائنا على الاطلاق لا في الاشياء حتى ولا في فكرى

صحيح انى منذ وقت طويل كنت قد فهمت ان ماضى فاتنى ولكنى أظن حتى ذلك الحين انه انسحب بكل بساطة خارج متناولى الماضى في نظرى لم يكن الا وضعاً في التقاعد كان طريقة اخرى للوجود حالة من العطلة واللاعمل كل حدث حين ينتهى دورة يدلف من تلقاء نفسه الى علبتويصبح حدثاً شرفياً : فما اشق ان يتخيل المرء العدم ! اما الان فكنت اعرف : إن الاشياء هى برمتها ما تبدو عليه – و " خلفها " لاشيء استغرقتنى هذه الفكرة بضع دقائق اخرى ثم قمت بحركة كتفين عنيفة لاتحرر وجذبت نحوى دفتر الورق .

"كتب وصيته "

فجأة غمرنى اشمئزاز هائل وسقطت الريشة من يدي وهى تبصق حبراً . مالذى حدث ؟ هل كنت احس " الغثيان " ؟ لا لم يكن الامر كذلك فقد كان للغرفة هيئتها الحانية اليومية . وكانت الطاولة تكاد تبدو لى اثقل فقط واسمك وقلم حبرى أكثف كل مافى الامر ان السيد دورولبون مات للمرة الثانية . كان هنا في هادئاً وحاراً كنت أحسه بين الحين والآخر يتحرك كان حياً جداً أكثر حياةفي نظرة من " العصامى " او من صاحبة مقهى " راندفو دى شامينو " لاشك انه كانت له أهواؤة كان يمكن ان يبقى بضعة ايام من غير ان يظهر لكنه كان غالباً في اوقات جميلة خفية يخرج أنفه كالكبوشى المختص بعلم قياس الرطوبة الجوية فكنت ألمح وجهه الكامد وخدية الازرقين وحتى حين لم يكن يظهر كان يتقل على قلبى وكنت أحسنى ممثلنا . أما الآن فلم يكن باقياً منه شيء . كما لم يكن باقياً على هذه الآثار من الحبر الجاف أكثر من ذكرى التماعها القريب كانت تلك غطتى : الكلمات الوحيدة التى كان ينبغى الاتقال نطقت لها : قلت إن الماضى لم يكن موجوداً ودفعه واحده في غير صخب عاد السيد دورولبون الى عدمه .

تناولت رسالة في يدي وجسستها في نوع من اليأس قلت لنفسى : " أنه هو أنه مع ذلك هو الذى رسم هذه العلامات واحدة واحدة لقد استند الى هذا الورق ووضع إصبعه على الصفحات ليمنعها من ان تنقلب تحت ريشته " .

بعد فوات الأوان هذه الكلمات لم يكن لها من معنى بعد لم يكنثمة ماهو موجود غير رزمة ورق اصفر كنت أشده بين يدي صحيح انه كان ثمة تلك القصة المعقدة : حفيد دورولبون الذى اغتالة عام ١٨١٠

شرطة القيصر وأوراق المصادرة والمنقولة ال مركز " الارشيف " السرى والمنقولة بعد مائه وعشر سنوات من قبل السوفييت الذين استولوا على الحكم الى مكتبة الدولة حيث سرقتها عام ١٩٢٣. ولكن ذلك لم يكن يبدو حقيقيا لم اكن احتفظ بأية ذكرى حقيقية من هذه السرقة التي ارتكبتها انا بالذات ولتعليل وجود هذه الاوراق في غرفتى لم يكن صعبا العثور على مائة قصة اخرى اجر بالتصديق : إنها كلها تجاه هذه الاوراق الخسنة ستبدو جوفاء خفيفة كالفقاقيع فبدلا من ان اعتمد عليها ل يتم الاتصال بينى وبين رولبون سيكون من الافضل على الفور ان اتجه الى الطاومات الدائرة ان رولبون لم يكن موجودا بعد على الاطلاق ، ولئن كان قد بقى منه بعض العظام فأنها تكون موجودة لذاتها مستقلة كل الاستقلال وهي ليست بعد إلا قليلا من الفوسفات وكربونات الكلس مع املاح وماء .

قمت بمحاولة اخيرة فرددت كلمات مدام دوجانلى التي كنت اتذكر بها المركيزة عادة : " وجهه الصغير المجعد النظيف النقى المنقط بالجدرى كان ينبض بخبث فريد الى العينين مهما بذل من جهد لاختفائه ."

ظهر لى وجهه بوداعة وأنفه المقرن وخداه الازرقان وبسمته كنت استطيع ببسر ان ارسم ملامحة ربما بسهولة اكثر من الماضى غير ان ذلك لم يكن بعد الا صورة في تخيلا وتنهدت وتداعيت للانقلاب الى وراء على مسند كرسى يراودنى شعولار خييه لايحتمل .

دقت الساعة الرابعة ها قد مرت ساعة على وجودى هنا متدلى الذراعين فوق كرسى بدأ الظلام يهبط وباستثناء ذلك لم يتغير شىء في هذه الغرفة : الورق الابيض مازال علي الطاولة قرب قلم الحبر والمحبرة لكنى لم اكتب بعد ابدا على الورقة المبدوءة لن اقصد بعد ابدا دار الكتب سالكا شارع " الموتوليه " وطريق " لارودوت " لاطالع فيها الارشيف .

بى رغبة لان اففز على قدمى واخرج وان افعل شأى شىء لاتشاغل ولكن اذا رفعت اصبعها اذا لم ابق هادئا كلى الهدوء فأنا اعرف جيدا ماسيحدث لى " لا اريد " ان يحدث لى بعد ان ذلك سيأتى دائما قبل الاوان لا اتحرك وأنا اقرأ بألية على ورقة الدفتر المقطع الذى تركته دون إنجاز .

" اهتم البعض بنشر الاشاعات المؤذية ولا بد ان السيد دورولبون قد وقع في هذه المناورة مادام

قد كتب لحفيدة بتاريخ ١٣ سبتمبر أنه كتب وصيته " .

انتهت قضية رولبون الكبرى كما تنتهى عاطفة كبرى مهووسة فينبغى ايجاد شىء اخر حين

كنت في شانغهاى منذ بضعة اعوام خرجت ذات مرة فجأة من حلم كنت في مكتب مرسييه فاستيقظت ثم

حلمت حلما اخر كنت فيه اعيش في بلاط القياصرة في قصور بلغ من برودتها ان رواسب من الثلج كانت

تتشكل في الشتاء فوق الابواب وأنا اليوم استيقظ تجاه دفتر من الورق الابيض ان المشاعل والاعباد المتلجة

والبزات الرسمية والاكتاف الجميلة الراحشة قد اختفت كلها بقى بدلا منها شىء ما في الغرفة الدافئة شىء لا

اريد ان اراه .

كان السيد دورولبون شريكى : كان بحاجة الى ليكون وكنت بحاجة الية حتى لا احس بكيونتي

كنت انا اقدم المادة الخام هذه المادة التى كان على ان اعيد بيعها والتى لم اكن ادرى ماذا اصنع بها : الوجود

" وجودى "كانت مهمته هو ان يمثل كان يقف قبالتى كان قد استولى على حياتى لكى " يمثل "الى حياته ولم

أكن الاحظ بعد أنى كنت موجودا لم أكن موجودا بعد في أنا بل فيه كنت اكل وله كنت أتنفس وكان لكل

حركة من حركاتى معناها في الخارج هناك قبالتى تماما فيه لم اكن ارى بعد يدى التى كانت ترسم الحروف

على الورق حتى ولا الجملة التى كنت قد كتبتها – ولكن خلف فيما وراء الورقة كنت ارى المركز الذى

كان قد طالب بهذه الحركة التى كانت تمدد الوجود وتثبته لم اكن الا وسيلة لجعله يعيش فقد كان سبب

وجودى وكان قد حررنى من نفسى فما الذى سأعمله الان ؟

المهم الا اتحرك " ألا أتحرك " آه !

حركة الكتفين هذه لماسطع ان امسكها

الشىء الذى كان ينتظر قد تنبه فانتقض على وذاب في فأنا ممتلىء به انه يتحرك انها ملامسات

في كل مكان تذوب وتتلاشى بعذوبة كبيرة .

في فمى ماء مزبدا أبتلعه فيسيل في حلقي ويداعبنى – وها هو ذا يولد من جديد ي فمى .

في فمي دائما وأبدا بركة صغيرة من الماء المبيض – الخفى – يلامس لساني وهذه البركة هي أيضا وكذلك اللسان والحق هو أنا .

أرى يدي التي تتفتح على الطاولة تعيش – وهي أنا تتفتح وتنبسط الأصابع وتومىء انها مقلوبة على ظهرها ترينى بطنها السمين .تشبه حيوانا مقلوبا اصابعها هي ارجله وأنا أتسلى بتحريكها بسرعة كبيرة كأرجل سرطان وقع على ظهره السرطان ميت : والارجل تتكوم وترتد الى باطن اليد وانا أرى الاظافر – الشىء الوحيد الذى لا يحيا في ومرة اخرى تتقلب يدي وتنبسط على بطنها فهى تولينى الان ظهرها ظهر فضى ملتئم بعض الشىء – فكأنه سمكة لولا الزغب الاحمر عند ملتقى الاصابع احس يدي هذان الحيوانان اللذان يتحركان في نهاية ذراعى وتحك يدي احدى هاتين الرجلين بظفر رجل اخرى احس ثقلها على الطاولة التي ليست إياى انه طويل طويل هذا الشعور بالثقل وهو لا ينقضى وليس ثمة سبب لكى ينقضى انه لطول وقته يحتمل .. اسحب يدي وأضعها في جيبى لكنى احس فورا عبر القماش حرارة فخذى وسرعان ما انشل يدي من جيبى وادعها تتدلى على مسند الكرسي .. هأنا الآن أحس ثقلها في طرف ذراعى تتقل قليلا مسترخية انها كائنة ولا ألح : أننى كثما وضعنتها فانها ستستمر في الكينونة وسأستمر في الاحساس بأنها كائنة لا استطيع ان احذفها ولا ان احذف بقية جسمى الحرارة الرطبة التي تلوث قميصى ولا هذا الشحم الحار الذى يدور بكسل كما لو انه يحرك بالملعقة ولا جميع هذه الاحساسيس التي تنتزعة هنا في الداخل تروح وتجىء وتصعد من خاصرتى الى إبطى او تأسن ببطء من الصباح حتى المساء في ركنها المعتاد .

أنهض منتفضا : ليتنى كنت استطيع الكف عن التفكير اذن لكان ذلك افضل الافكار هي أتفه شىء في الدنيا اتفه من لحم الجسد .تتمطى بلا انتهاء وتخلف مذاقا عجيبا ثم ان هناك الكلمات داخل الافكار الكلمات غير الناجزة الرسوم الايجازية للعبارة التي تعود دائما وأبدا : " يجب ان انته... مات السيد دورول ميت ... أنا لست ... أننى ... " كفى كفى وذلك لا ينتهى ابدا وهذا اسوأ منالبقى لأننى احسنى مسؤولا ومتواطئا مثلا هذا النوع من الاجترار والمؤلم : " اننكائن " انما أنا الذى أغذيه أنا إن الجسم شىء يعيش وحده بمجرد أن يبدأ أما الفكرة " فأنا " الذى يكملها يدحرجها : اننى كائن وأنا افكر بأنى كائن اوه ياللانبوب

الحلزوني هذا الاحساس بالكينونة – ادحرجة ، بكل تمهل ... ليتنى استطيع الامتناع عن التفكير ! احاول
فأنجح : ويخيل النان رأسى يمتلىء دخانا ... الأمر يعود من جديد : " دخان ... عدم التفكير ... لا أريد ان
افكر ... افكر بأننى لا اريد ان افكر يجب الا افكر بأنى لا اريد ان افكر فهذا تفكير " اترانا لن ننتهى أبدا ؟

فكرتى هي " أنا " : من اجل هذا لاستطيع ان اتوقف أننى كائن لأنى افكر ... ولا استطيع
الامتناع عن التفكير في هذه اللحظة بالذات – وهذا فظيع – اذا كنت كائنا فذلك " لأنى " استفظع ان اكون أنا
" أنا " الذى اسحب نفسى من العدم الذى انشده : فالكراهية والنفور من ان اوجد هما طريقتان لأن " اوجد "
نفسى لأن اغرق في الينونه . الافكار تولد من خلفى كالدوار وانا احسها تولد خلف رأسى ... فاذا استسلمت
فانها ستأتى الى قدام بين عيني – وانا استسلم دائما فتكبر الفكرة وتكبر وهامى ذى هائلة تمنى برمتى
وتجدد كينونتى .

لعابى مسكر وجسمى دافىء احسنى تفها ووهذه مديتى موضوعة على الطاولة فلافتحها ولم لا ؟
إن هذا تغييرا على اى حال واضع يدي على دفتر الورق وأطعن راحتى بالمديية طعنه جيدة كانت الحركة
مفرطة العصبية لذلك انزلت الشفرة فكان الجرح سطحيا ونزف الدم وبعد ذلك ؟ ما الذى تغير ؟ ومع ذلك
فأنا انظر برضى على الورقة البيضاء عبر سطور كتبها الآن الى هذه البركة الصغيرة من الدم التى كفت
اخيرا عن ان تكون انا . اربعة اسطر على ورقة بيضاء لخرة دم هذا هو مايشكل ذكرى جميلة وينبغى ان
اكتب تحتها : " هذا اليوم عدلت عن تأليف كتابى عن المريكيز دورولبون " .

هل ترانى سأعنى بتضميد يدي ؟ إننى اتردد وانظر الى مسيل الدم الرتيب هوذا بتجميد انتهى
المر بشرتى تبدو صدئه حول الجرح وتحت الجلد لايبقى إلا احساس صغير كالاحاسيس الاخرى وربما كان
اتفه منها .

هى الساعة تدق النصف بعد الرابعة وأنهض فيلتصق قميصى البارد بلحمى واخرج لماذا ؟ الحق انى
افعل ذلك لأنه ليس ثمة من الاسباب ما يدعو الى عدم فعله حتى ولو بقيت حتى ولو قبعص صامتا في احدى
الزوايا فلن انسى نفسى سأكون هناك وساتقل على الارض الخشبية اننى كائن .

اشترى صحيفة في هذه الاثناء خبر هام عثر على جسم لوسيان الصغيرة ! رائحة حبر الورق
يندعك بين اصابعى لاذ المجرم القذر بالفرار الطفلة هتكت عثر على جسمها واصابعها مشنجة في الوحل
أكوم الجريدة بشكل كرة اصابعى متشنجة على الجريدة رائحة حبر يالهي الاشياء كائنة اليوم بشكل قوى
هتكت الصغيرة لوسيان وخنقت مزال جسمها كائنا ولحمها مثخنا " أنها " غير كائنة بعد يداها غير كائنة
بعد. البيوت أمشى بين البيوت منتصبا على الارض المبلطة البلاط تحت قدمى كائن البيوت
تنغلق على كما ينغلق الماء على اننى كائن موجود أفكر فأنا اذن موجود اننى كائن لأنى افكر لماذا
ترانى افكر ؟ لا اريد ان افكر بعد كائن لأنى افكر بأنى لا اريد ان اكون افكر بأنى ... لأنى اف ! اهرب
هرب القذر جسمها المهتوك احسست بذلك اللحم الاخر الذى كان ينزلق في لحمها أننىهوذا ... مهتوكة
. إن رغبة هتك عذبه دامية تأخذنى من الخلف عذبه جدا خلف أذنى والاذنان تهربان خلفى والشعر الاحمر
، احمر على رأسى عشب مبلل عشب احمر أهذا انا بعد ؟ وهذه الجريدة أهى أنا بعد ؟ الامساك بالجريدة
كينونة ضد كينونة الاشياء تكون بعضها ضد بعض وأتلك هذه الجريدة وينبثق البيت انه كائن واسير امامى
بمحاذاة الجدار بمحاذاة الجدار الطويل انا كائن امام الجدار خطوة الجدار كائن امامى واحد اثنان ورائى
اصبع يحك في سروالى يحك يحك ويسحب اصبع الصغيرة الملوث بالوحل الوحل على إصبعى يخرج من
المجرى الموحد ويسقط على مهل على مهل يميع يحك بأضعف مما تحك اصابع الصغيرة التى كانت تخنق
المجرم القذر كانت تحك الوحل الارض بأضعف الاصبع ينزلق على مهل الرأس يسقط اولاً ويداعب
متدحرجا حارا ازاء فخذى الكينونة رخوه تتدحرج وتهتز اهتز بين البيوت انا كائن موجود افكر فأنا اذن
اهتز انا كائن الوجود سقط لايسقط يسقط الاصبع يحك الشباك الوجود شىء ناقص غير كامل السيد السيد
الجميل كائن السيد يشعر بأنه كائن كلا السيد الجميل الذى يمر مزهوا رقيقا كاللبلاب الارجوانى لايشعر بأنه
كائن تتفتح ان يدي المجروحة تؤلمنى كائنة كائنة كائنة السيد الجميل كائن وسام جوقه الشرف كائن شاربين
هذا كل شىء لابد ان المرء سعيدا جدا بالا يكون الا وسام جوقه الشرف والا شاربين والباقي لايراه احد
يرى طرفى شاربية المقرنين من جهتى الانف كليهما لا افكر فانا اذن شاربان لايرى جسمة الهزيل ولا
قدمية الكبيرتين من يبحث في جوف البنطلون يجد حتما زوجا من المماحى الرمادية الصغيرة يحمل وسام
جوقه الشرف إن القدرين يحق لهم ان يكونوا : " أننى كائن لان هذا حقى يحق لى ان اكون إذن يحق لى الا

افكر : ويرتفع الاصبع اترانى سوف ..؟ أداعب في تفتح الاغطية البيضاء اللحم الابيض المتفتح الذى يعود
فيرتخي بعذوبة وألمس رطوبات الابطين المزدهرة إكسير اللحم وسائلة وإشراقة وأدخل كينونة الاخر
المخاطيات الحمراء رائحة الكينونة العذبة وأحسنى كائنا بين الشفاه الرقيقة المبلله الشفاه الحمراء بالدم
الاصفر الشفاه النابضة التى تتناوب مبلله بالكينونة مبلله بصديد فاتح بين الشفاه المبلله المسكرة التى تدمع
كالعيون ؟ جسمى المحمى الذى يعيش اللحم الذى ينغل ويحمض ماء لحمى العذب المسكر دم يدي اتوجع
وجعا عذبا في لحمى المثخن الذى ييمشى أمشى افر اننى انسان قدر ذو لحم مثخن المثخن كينونة لهذه
الجدران اشعر بالبرد اخطو خطوة اشعر بالبرد خطوة انعطف الى اليسار ينعطف الى اليسار يفكر بأنه
ينعطف الى اليسار مجنون هل انا مجنون يقول انه يخشى ان يكون مجنونا الكينونة هلى ترى ايها الصغير
في الكينونة يتوقف الجسم يتوقف يفكر انه يتوقف من اين هو قادم ؟ ما الذى يفعله ؟ ويمضى من جديد خائفا
خائفا جدا انسان قدر الشهوة كالضباب الشهوة الاشمزاز يقول انه مشمنز من ان يكون ايكون مشمنزا ؟
متعب من اشمزازه من ان يكون ويعدو ما الذى يأمله ؟ يعدو هاربا أيلقى بنفسه في الحوض؟ يعدو والقلب
القلب الذى يخفق عيد القلب كائن والشاقان كائنان والنفس كائن انها كائنة وهى تعدو وتلهث وتخفق بعذوبة
تبههر وتبههرنى يقول انه ينبهر ان الكينونة تأخذ افكارى من الخلف وعلى مهل تفتحها " من الخلف " اننى
أؤخذ من الخلف واقسر من الخلف على التفكير اذن على ان اكون شيئا ما يلهث خلفى فقاقيع كينونة خفيفة
فقاعة ضباب شهوة ممتنع امام المرأة كالميت ان رولبون ميت وانطوان روكانتان ليس ميتا ليتنى يغمى على
: يقول انه يود لويغمى عليه ويعدو يعدو الفضولى (من الخلف) من الخلف (من الخلف) لوسى الصغيرة
التى هوجمت من الخلف وهتكت بالكينونة من الخلف انه يطلب الرحمة يخجل من طلب الرحمة الشفقة
النجدة النجدة اذنانا كائن ويدخل " حانة المارين " المرايا الصغيرة في الماخور الصغير ممتنع الوجه في
المرايا الصغيرة بالماخور الصغير الرجل الطويل الاحمر الشعر الذى يتداعى للسقوط على المقعد الصغير
الفونوغراف يغمى يكون كل شىء يدور الفونوغراف كائن القلب يخفق : دورى دورى ياسائل الحياة دورى
مجلة سوانل لحمى عذوبات ... الفونوغراف .

عندما يبدأ القمر الطالع في الظهور

احلم كل ليلة حلما صغيرا

الصوت يظهر فجأة خشنا ابح ويتلاشى العالم عالم الكينونات . هذا الصوت هو لأمرأة من لحم

غنت امام اسطوانة وهى فى اجمل زينتها كانوا يسجلون صوتها المرأة : كانت كائنة مثلى مثل رولبون

ليست لى رغبة فى معرفتها لكن هناك هذا المرء لا يستطيع ان يقول بأن ذلك كائن . الاسطوانة التى تدور

كائنة والنغم الذى يضربة الصوت فيرتعش كائن وكان الصوت الذى اثر فى الاسطوانة . انا الذى اصغى

كائن كل شىء ممتلىء الكينونة فى كل مكان كثيفة وثقيلة وعذبة ولكن فيما وراء هذه العذوبة التى لاتدرك

القريبة كل القرب البعيدة مع الاسف الفنية القاسية الهادئة كانت ثمة ... تلك الصرامة .

الثلاثاء

لاشىء كائن

الاربعاء

هناك دائرة شمس على الخوان الورقى وفى الدائرة ذبابة تجر نفسها مخدرة تتدفاً وتحك رجليها

الاماميتين احدهما بالاخرى .ساودى لها خدمة ان اسحقها . انها لاترى هذا الاصبع العملاق الذى يلتمع

رغبة فى الشمس لاترأه ينبجس وصاح العصامى :

- لاتقتلها ياسيدى !

تنفجر وتخرج امعاؤها الصغيرة البيضاء من بطنها لقد خلصتها من الحياة واقول للعصامى بجفاء :

- كانت هذه خدمة تؤدى لها

لماذا ترانى هنا ؟ -ولماذا لا اكون هنا ؟ انه الظهر انا انتظر ساعة النوم (من حسن الحظ ان

النوم لا يهرب منى) سأرى أنى من جديد بعد أربعة ايام : وهذا هو فى هذه اللحظة تبرير حياتى الوحيد بعد

ذلك ؟ حين تتركنى أنى ؟ اعلم جيدا ما أوملة خفية : أومل الا تتركنى بعد ابدا . على انه ينبغى لى ان اعرف جيدا ان أنى لن ترضى ابدا بأن تشيخ امامى أننى ضعيف ووحيد وانا بحاجة اليها وقد كنت اود لو اراها في قوتى : فإن أنى قاسية على ماهو حطام

- هل انت بخير ياسيدى ؟ هل تحس انك بخير ؟

ينظر العصامى الى بطرف ضاحك . يلهث قليلا فاغر الفم ككلب فاقد انفاسة واعترف : انى كنت هذا الصباح سعيدا برويته ثانية فقد كنت محتاجا الى ان اتكلم

قال : - كم انا سعيد بأن تكون على طاولتى اذا كانت تشكو البرد فان بوسعنا ان نجلس قرب المدفأة هذين السيدين على وشك ان يذهبا فقد طلبا حسابهما

احد يهتم بى ويتساءل عما اذا كنت اشكو البرد وانا اتحدث الى رجل آخر : ذلك لم يحدث لى منذ سنوات نهضا فهل تريد ان نغير مجلسنا ؟

اشعل السيدان لفافتين وخرجا هاهما في الهواء النقى في الشمس يحاذيان الواجهاة الكبيرة وهما يمسكان بقبتيهما . يضحكان ينفخ الهواء معطيهما لا لا اريد ان اغير مجلسى ماجدوى ذلك ؟ ثم اننى ارى عبر الزجاج بين سقوف الحمامات البيضاء البحر الاخضر الكثيف .

اخرج العصامى من محفظته مستطيلين من الورق المقوى البنفسجى . سيعطيها الساعه الى الصندوق وأقرأ على قفا احدهما :

" دار بوتانيه ، مطبخ بوجوازى

" الغذاء بسعر محدد : ٨ فرنكات

" مقبلات حسب الطلب

" لحم مع خضار

" جبن او حلوى "

" ١٤٠ فرنكا ثمن ال ٢٠ قرصا "

هذا الرجل الذى يأكل على الطاولة المستديرة قرب الباب اذكره الآن : غالبا ما يهبط الى فندق

برنتانيا وهو تاجر رحالة يضع على بين الحين والآخر نظرة المتنبه الباسم لكنه لايرانى فهو شديد

الاستغراق في مراقبة ما يأكل في الجانب الاخر من المشرب أرى رجلين احمرين قصيرين يندوقان

الصدف وهما يشربان خمرا ابيض اسمع اقصرهما وهو ذو شارب دقيق اصفر يروى قصة يتسلى بها هو

نفسه ويتوقف مبطنا ويضحك كاشفا عن اسنان باهرة اما الاخر فلا يضحك ان عينية قاسيتان ولكنه غالبا ما

يؤمىء برأسه " نعم " بالقرب من النافذة رجل هزيل اسمر ذو ملامح متميزة وشعر جميل ابيض مسرح الى

خلف يقرأ جريدته بتفكر وقد وضع على المقعد الخشبي الى جانبه محفوظو جلدية يشرب ماء فيشى هؤلاء

الاشخاص سيخرجون جميعا بعد لحظة وسيكونون متقلبن بالطعام يداعبهم النسيم معاطفهم مفتوحة

ورؤوسهم حارة بعض الشىء ضاجة بعض الشىء فيما هم يسيرون بمحاذاة الدريزين وهم ينظرون الى

الاطفال عند الشاطيء والى السفن في البحر سيذهبون الى اعماله اما انا فلن اذهب الى اى مكان لانى

لاعمل لى

يضحك العصامى ببراءة وتداعب الشمس شعرة القليل

- أتريد ان تختار طعامك ؟

يمد لى لائحة الطعام : لى الحق في صحن مقبلات حسب الطلب فأما خمس قطع صغيرة من المقائق او

بعض الفجل او بعض السرطان الرمادى او صحيفة كرفس حامض اما بزاق " بورجونى " يفهو اضافى .

قلت للخادم – اعطنى صحن مقائق

فانتزع اللائحة من يدى قائلا

- اليس هناك ماهو افضل ؟ هذا بزاق بورجونى

- الواقع انى لا احب البزاق كثيرا

- خذ اذن محارا

قال الخادم : - ثمنه يزيد اربعة فرنكات

- أعطينا اذن محار يأنسة ولى انا صحيفة فجل

شرح لى وقد احمر وجهه :

- احب الفجل كثيرا

وأنا ايضا

سأل : وبعد ذلك ؟

فاستعرضت لائحة اللحوم لحم البقر المطبوخ جدير به ان يغرينى ولكنى اعلم سلفا انه سيقدم لى

صحن فراخ فذلك هو اللحم الاضافى الوحيد

قال : - يأنسة اعطى السيد صحن فراخا انا فصحن لحم بقر مطبوخ

قلب اللائحة : كانت الخمر على القفا وقد قال بلهجة احتفالية

- سيأخذ قدحى خمر

قالت الخادم : - اراك تغير عادتك ! فانت لاتشرب الخمر قط

- لكنى استطيع ان اتحمل قدح خمر بالمناسبة فهل تريدان يأنسة ان تعطينا قنينة من خمر انجو ؟

وضع العصامى اللائحة وقطع رغبة قطعاً صغيرة وفرك صحنه بمنشفته ورمى نظرة الى

الرجل ذى الشعر الابيض الذى يقرأ جريدته ثم ابتسم لى : - اجىء الى هنا بصحبة كتاب على الرغم من ان

طبيبا قد نصحنى بالا افعل : فأن المرء فى هذه الحالة يأكل بسرعة مفرطة ولايمضغ لكن لى معدة نعامة

استطيع ان التهم اى شىء في شتاء ١٩١٧ حين كنت اسيرا كان الطعام من الرداءة بحيث سقط الجميع

مرضى وبالطبع تظاهرت بأنى مريض كالأخرين : ولكنى لم اكن اشكو شيئا

كان اسير حرب ... انها المرة الاولى التى يحدثنى فيها عن ذلك واكاد لا اصدق فأنا لا استطيع ان اتصوره

الا عصاميا

- اين كنت اسيرا ؟

لم يجب وضع شوكته وجعل ينظر الى بكثافة عجيبة انه على اهبة ان يحدثنى عن همومة :

وأتذكر الان ان شيئا ما كان غير طبيعى في دار الكتب ارهفت سمعى : لا اطلب الا ان اشفق على هموم

الاخرين وذلك سيغيرنى ليس لى هموم املك المال كأصحاب الايرادات لا رئيس لى ولا امرأة ولا اولاد :

كل ما هنالك انى كائن وهذا الهم مبهم جدا ميتافيزيقى جدا حتى انى اشعر منه بالخلج

لم يكن يبدو على العصامى انه يريد ان يتكلم . وأيه نظرة فضولية يرمينى بها : ليست هى نظرة

للرؤية وانما هى لتواصل الارواح لقد سعدت روح العصامى حتى عينية الرائعتين عينى الاعمى اللتين

كانت تجعلهما بمستوى واحد فلتفعل روحى مثل ذلك لتأت فتلتصق انفها بالزجاج : أنهما كلتيهما ستتبادلان

عبارات اللياقة والتأدب .

لا اريد تواصل ارواح لم انحدر الى هذا المستوى انى اتقهقر لكن العصامى يقدم صدره فوق

الطاولة من غير ان ينزع عنى بصره . وتحمل له الخادم صحن الفجل من حسن الحظ فيتداعى من جديد

على كرسية وتختفى روحة من عينية ويأخذ يأكل بوداعة.

- هل صفيت همومك ؟

فانتفض وقال بلهجة مذعورة :

- ايه هموم ياسيدى ؟

- تلك التى حدثتنى عنها في ذلك اليوم كما تعرف

فاحمر احمرارا عنيفا ثم قال بصوت جاف

- ها! نعم ها ! ذلك اليوم اجل ذلك الكورسيكى ياسيدى كورسيكى دار الكتب

تردد مرة اخرى وعلية هيئة نعجة عنيدة

- هذه ياسيدى ثرثرات لا اريد ان ازعجك بها

لم المح كان يأكل بسرعة عجيبة من غير ان يبدو عليه ذلك كان قد انهى فجلة حين جاءنى بالمحار ولم يكن باقيا في صحنه الا كومة من اطراف خضر وقليل من ملح متبل ...

في الخارج توقف شخصان شابان امام لائحة الطعام التى كان طباخ كرتونى يقدمها لهما بيده

ليسرى (كان يمस्क في اليمنى موقدا للقلى) وترددا كانتالمرأة تشعر بالبرد وقد ادخلت ذقنها في ياققتها الفروية ثم يكون الشاب اول من يقرر فيفتح الباب ويمحى ليترك لرفيقتة ان تمر .

تدخل تنتظر فيما حولها بهيئة لطيفة وهى ترتعش قليلا ثم تقول بصوت خشن :

- الطقس حار

يغلق الشاب الباب خلفه وهو يقول :

- ايها السادة والسيدات

فيلتفت العصامى ويقول بلطف :

-ايها السادة والسيدات فلا يجيب الزبائن الآخرون لكن السيد الانيق يخفض جريدته قليلا ويرقب القادمين

الجديدين بنظرة عميقة

- شكرا لا يحتاج الامر هذا الجهد

قبل ان تتمكن الخادم وقد اقبلت لمساعدة الشاب من ان تأتي اية حركة نزع مشمعة كان يرتدى بدلا من السترة صدره من جلد ذات سحاب وانفتلت الخادم نحو المرأة الشابة وقد اصيبت ببعض الخيبة . لكنه تقدمها وساعد رفيقته بحركات لطيفة دقيقة على خلع معطفها جلسا بقربنا احدهما لصق الآخر لم يكن يبدو عليهما انهما متعارفان منذ وقت طويل كان للمرأة الشابة وجه متعب نقي مقطب بعض الشيء رفعت فجأة قبعتها ونفضت شعرها الاسود وهي تبتسم .

تأملها العصامى طويلا في طيبة ثم استدار الى وغمزنى غمزة عطوفا كما لو انه كان يريد ان

يقول : " مااجملهما ! "

انهما غير قبيحين وهما يلتزمان الصمت سعيدين ان يكونا معا سعيدين ان يراهما الناس معا حين كنا انا وآنى ندخل احيانا مطعما في بيكاديلى كنا نحس نفسينا موضوع تأملات عطوف كانت آنى تنزعج من ذلك اما انا فأعرف بأنى كنت فخورا بعض الشيء بذلك كنت خصوصا مندهشا لم يسبق لى قط ان ظهرت بمظهر النظافة الذى يناسب هذا الشاب كل المناسبة بل لايمكن القول بأن قبحى كان مثيرا غير اننا كنا شابين اما اليوم فانا في سن العطف على شباب الاخرين ولكنى لماعطف كان للمرأة عينان معتمتان وكان للشباب بشرة برتقالية محببة بعض الشيء وذقن صغيرة اخاذة صحيح انهما يقعان في نفسى ولكنهما ايضا يثيران اشمئزاضى قليلا انى احسهما جد بعيدين عنى : الحرارة تضنيهما وهما يتابعان في قلبيهما حلما واحدا ما اعذبه وما اضعفه انهما راضيان بنظرات بثقة الى الجدران الصفرة والى الناس يجدان ان العالم جيد كما هو ، كما هو تماما وكل منهما في الظاهر يستمد معنى حياته من حياة الاخر .

انهما كليهما لن يلبثا ان يصنعا حياة واحدة حياة بطيئة دافئة لن يكون لها بعد اى معنى –

ولكنهما لن يلحظا ذلك

يبدو عليهما ان احدهما يرهب الآخر واخيرا اخذ الشاب بهيئة مرتبكة وعازمة يد رفيقته بأطراف اصابعه انها تتنفس بقوة وقد مالا معا فوق لائحة الطعام اجل انهما سعيدان ثم ماذا ؟

كسا العصامى وجهه بسماء الانشراح والتسلية الغامضة بعض الغموض :

- رأيتك امس الاول

- أين ؟

فقال محولا ان ينكدنى باحترام :

-ها ! ها !

جعلنى انتظر لحظة ثم :

- كنت خارجا من المتحف

فقلت :- آه ليس أمس الاول بل السبت

فلا شك في انى لم اكن امس الاول املك الجراة على زيارة المتاحف

- هل رأيت تلك اللوحة من الخشب المحفور التى تمثل محاولة اغتيال اورسينى ؟

- لا أعرفها

- اهذا ممكن ؟ انها في قاعة صغيرة الى اليمين وانت داخل انها عمل متمرّد من " الكومون " عاش في بوفيل

حتى العفو العام مختبئا في مخزن للحبوب كان قد اراد ان يبحر الى امريكا لكن شرطة المرفأ هنا شديدة

التيقظ انه رجل يثير الاعجاب استعمل اوقات فراغة الاجبارية على نحت لوح كبير من السنديان لم يكن لدية

وسائل غير مديته ومبرد اظافر .

كان يصنع القطع الدقيقة بالمبرد : اليدين ،العينين وكان طول اللوح مترا وخمسين وعرضه مترا

واللوحة كلها قطعة واحدة وفيها سبعون شخصا كل منهم بحجم يدى بالاضافة الى الحصانين اللذين يجران

مركبة الامبراطور والوجوه ياسيدى هذهاالوجوه المنحوتة بالمبرد تملك كلها سيماءها وهى ذات هيئة بشرية

اذا سمحت لنفسى ياسيدى لقلت ل كان هذااثر جدير بأن يرى

ولم ارد ان ألتزم :

- كنت اريد بكل بساطة ان ارى لوحات بوردوران من جديد

فاغتنم العصامى فجأة وقال في بسمة راعشة :

- تلك اللوحات المعلقة في القاعة الكبيرة ؟ اننى ياسيدى لا افقة شيئا من الرسم صحيح انه لايفوتنى ان
بورودوران رسام كبير وأنا أرى جيدا انه صاحب ملمس وحنق كما يقولون ولكن المتعة المتعة الجمالية
مجهولة عندى .

فقلت له في ود :

- وأنا كذلك بالنسبة للنحت

- أه ياسيدى انا ايضا مع الاسف وبالنسبة للموسيقى وبالنسبة للرقص غير انى لااخلو من بعض المعلومات
والحق انه شيء غير معقول : رأيت شبانا لم يكونوا يعرفون نصف ماعرف ولكنهم اذا وقفوا امام لوحة
يبدون وهم يحسون متعه

فقلت له بلهجة مشجعه :

- لا بد انهم يتظاهرون

- ربما

حلم العصامى قليلا :

- ما يحزننى ليس هو حقا ان اكون محروما من نوع من المتعة بقدر ما يحزننى ان اكون غريبا على فرع
برمته من النشاط الانسانى ... ومع ذلك فأنا انسان و" بشر " هم الذين صنعوا هذه اللوحات ...

واستطرد فجأة وقد تغير صوته :

- خاطرت مرة يا سيدى فى التفكير بان الجمال ليس الا قضية ذوق . ليس هناك قواعد مختلفة لكل عصر
هل تسمح لى ، يا سيدى؟

رايته، وانا مندهش، يسحب من جيبه دفترًا صغيرًا من الجلد الاسود . يقلب صفحاته

لحظة:صفحات كثيرة بيضاء ، ومن بعيد لبعيد،بضعة اسطر مكتوبة بالحبر الاحمر . اصبح كله مصفرا .

وضع الدفتر على الخوان ، ووضع يده الكبيرة على الصفحة المفتوحة . سعل في ارتباك :

- تخطر على بالي احيانا، لا اجرؤ اناقول افكار . وذلك غريب جدا: انى هنا اقرا، فجأة ولا أدري مصدر ذلك

أحسني ملهما ولم أكن اهتم لذلك بادئ ذي بدء ثم صح عزمي علي ان اشترى دفترًا

توقف ينظر الي : انه ينتظر

قلت : - اه ! اه !

- هذه الحكم يا سيدي هي طبعا مؤقتة : فان ثقافي لم تكتمل أخذ الدفتر بيديه المرتجتين فبدا شديد الانفعال :

- هذه بعض أشياء عن الرسم بالذات وسأكون سعيدا اذا سمحت لي بأن أتلوها عليها

قلت :- بكل رضي

فقرأ :

- لم يبق ثمة من يؤمن بما كان القرن الثامن عشر يعتقد صحيا لماذا يراد لنا ان نظل نستمتع بالاثار التي

كان يعتبرها جميلة ؟

نظر الي نظرة ابتهاج :

- ما رأيك بذلك يا سيدي ؟ ربما كان ذلك متناقضا بعض الشئ ؟ ذلك انى ظننتي مستطيعا ان أضفي علي

فكرتي شكل فكاهاة

- الحق . . . انى اجد ذلك مثيرا جدا للاهتمام

- هل سبق ل كان قرأته في مكان ما ؟

- لا بكل تأكيد

- حقا لم تقرأه في أي مكان قط ؟

ثم أضاف وقد عاد اليه الغم :

- هذا يا سيدي غير صحيح اذن فلو كان صحيحا لسبقتني غيري الي التفكير به

فقلت له : - انتظر قليلا ربما أفكر فيه أعتقد اني شيئا كهذا فالتمعت عيناه وسحب قلمه وسألني بلهجة

واضحة :

- عند أي مؤلف ؟

- عند ٠٠٠ عند رينان

فاستطار فرحا وقال وهو يمص رأس قلمه :

- هل تتلطف فتذكر لي المقطع تماما ؟

- قرأت ذلك منذ وقت طويل جدا

- اوه لا بأس لا بأس ..

كتب اسم رينان علي فتره تحت الحكمة وقال موضحا بلهجة مأخوذة :

- التقيت برينان ! وقد كتب الاسم بالقلم الرصاصي ولكني سأسطره هذا المساء بالحبر الاحمر

نظر الي فتره لحظة في نشوة وانتظرت ان يقرأ لي حكما أخري لكنه أغلقه في حذر ودسه في جيبه لا شك

في انه حكم بأن ما أصابه من سعادة في مرة واحدة كان حسبه وقال بلهجة حميمة :

- كم يلذ المرء ان يستطيع احيانا ان يتحدث علي هذا النحو ياستسلام سحق هذا الحادث كما يمكن للانسان

ان يتصور محادثتنا المسترخية وتبع ذلك صمت طويل .

كان جو المطعم قد تغير منذ وصول الشابة والشاب فقد صمت الرجلان الاحمران وجعلا يدققان

من غير انزعاج في محاسن المرأة الشابة ووضع السيد النيق جريدته وأخذ ينظر اليهما في سعادة بل في شبه تواطؤ انه يفكر في الشيوخة عالقة والشاب جميل وهو يهز رأسه ببعض الغنج : هو يعلم جيدا انه ما يزال جميلا وانه محافظ علي كل قواه وانه ما يزال يستطيع بسمرته ورقة جسمه ان يسحر وهو يمثل دور الاشعار بالأبوة أما أحاسيس الخادم فتبدو أبسط : انزرت امام الشاب والشابة تتأملها فاغرة الفم .

انهما يتحدثان بصوت منخفض قدمت لها المقبلات ولكنهما لم يمساها وبوسعي اذا أرهفت أذني

ان التقط اطرافا من احاديثهما انا افهم فهما افضل ما تقوله بصوتها الغني والمحجب .

- لا يا جان لا

فتم الشاب في حيوية مهووسة :

- ولم لا ؟

- قلت لك الجواب

- ليس ذلك سببا

هناك كلمات نفوتي ثم تقوم المرأة الشابة بحركة ضجر ساحرة :

- حاولت اكثر مما ينبغي اجتزت السن التي يستطيع فيها المرء ان يبدأ حياته من جديد انت تعلم أنني شخت

فضحك الشاب بتهكم واستطردت هي :

- لن أستطيع ان أتحمل ٠٠٠ خيبة

قال الشاب :- يجب ان تتدري بالثقة فانك هنا لن تعيشي كما أنت الان

فتنهت :- أعرف ذلك

- تذكري جانيت

قالت في تكشيرة : - نعم

- الحق اني انا اجد جميلا جدا ما فعلته كانت جريئة

فقالت المرأة الشابة :

- انت تعرف انها بالأحري قد وثبت علي المناسبة وسأقول لك اني لو شئت لحصلت علي مائة مناسبة هذا النوع لكني فضلت ان انتظر فقال برقة : كنت علي حق كنت علي حق بأن تنتظري ضحكت بدورها وقالت : - كم هو مغرور لم أقل هذا

كففت عن الاصغاء اليهما : انهما يزعجانني سينامان معا وهما بعرفان ذلك كل منهما يعرف ان الاخر يعرف ذلك لكن لكونهما شابين طاهرين ومحتشمتين ولكون كل منهما يريدان يحتفظ باحترامه واحترام الاخر ولما كان الحب شيئا شعريا عظيما ينبغي ألا يخفل فانهما يقصدان عدة مرات في الاسبوع المراقص والمطاعم ليقدما مشهد رقصاتهما الطقوسية الضغيرة والالية ٠٠٠

يجب في اخر المطاف قتل الوقت انهما شابان ذوا بنية جميلة لا يزال أمامهما ثلاثون عاما فهما لذلك لا يستعجلان بل هما يبطنان وليسا في ذلك بمخطئين بعد ان يناما معا يجب ان يجدا شيئا اخر ليحجبا عبثية كينونتتهما الهائلة ومع ذلك ٠٠٠ أمن الضروري حتما أن يكذب أحدهما علي الاخر ؟

أجبل عيني في القاعة انها لنكتة ! جميع هؤلاء الاشخاص جالسون بهيئة رصينة يأكلون لا أنهم لا يأكلون : وانما هم يجدون قواهم لينجزوا المهمة الملقاة علي عاتقهم لكل منهم عناده الشخصي الصغير الذي يمنعه من ان يلاحظ انه كائن ليس فيهم من لا يحسب نفسه ضروريا لانسان او لشيء أليس العصامي هو الذي قال لي ذات مرة : (لم يكن ثمة من هو أكفا من (نوسابيه) للقيام بهذا العمل التأليفي الواسع ؟) ان كلا منهم يعمل شيئا صغيرا وليس ثمة من هو أكفا منه للقيام بهذا العمل ليس ثمة من هو أكفا من ذلك الوكيل التجاري الرحالة هناك للترويج لمعجون الاسنان (سوان) وليس ثمة من أكفا من هذا الشاب المثير للفضول

فاذا نظروا الي فلابد من ان يفكروا في انه ليس ثمة من هو اكفا منى للقيام بما اقوم به . لكنى انا اعرف
• انه لا يبدو على شئ لكنى اعرف انى كائن وانهم كائنون .

لو كنت اتقن فن الاقناع لذهبت اجلس قرب السيد ذى الشعر الابيض ولشرحت له ما هو الوجود
• انى لانفجر بالضحك وانا اتصور الهيئة التى سيتخذها وجهه • العصامى ينظر الى فى اندهاش • كم اتمنى
ان اكف لكنى لا استطيع اننى اضحك حتى لتسيل منى الدموع •
قال لى العصامى بهيئة تحفظ:

اراك مرحا يا سيدى

• قلت له ضاحكا : افكر باننا نقضى وقتنا هنا ناكل ونشرب لنحافظ على وجودنا الثمين وليس ثمة اى تبرير
للوجود على الاطلاق •

فاتخذ العصامى مظهر الجد وبذل جهدا ليفهنى • ضحكت بصوت مرتفع اكثر مما ينبغى فلقد
رايت عدة رؤوس تستدير الى • ثم اننى نادى على انى نطقت بهذاكله • غير ان ذلك لايعنى فباخرا الامراحد
• ردد على مهل :

ليس ثمة اى تبرير للوجود... لاشك فى انك تعنى يا سيدى ان الحياة لا غاية لها ؟ اليس هذا ما يدعى با
لشاؤم؟

فكر لحظة اخرى ثم قال فى عذوبة:

- قرات منذ بضعة اعوام كتابا لمؤلف امريكى عنوانه : هل تستحق الحياة ان تعاش؟ اليس هذا هو السؤال
الذى تطرحه على نفسك؟

بالطبع لا • ليس هذا هو الذى اطرحه على نفسى • لكنى لا اريد ان اشرح شيئا • قال لى العصامى بلهجة
معزية :

- انتهى المؤلف فى صالح التفاؤل الارادى •

ان للحياة معنى اذا اراد المرء ان يعطيها معنى • يجب عليه اولاً ان يعمل ان يرمى فى عمل • فاذا فكر بعد ذلك يكون قد التزم • ولست ادري راىك فى ذلك يا سيدى
قلت : لا رأى لى •

أو أن راىى فى الحق ان هذا هو بالذات نوع الكذب الذى يتبادلله الوكيل التجارى والشابة والشاب والسيد ذو الشعر الابيض
• ابتسم العصامى فى شئ من الخبث وكثير من الزهو

:ليس ذلك راىى ايضا • فانا اعتقد انه لا ينبغى لنا ان نبحث عن معنى حياتنا فى مثل هذا البعد •
هكذا اذن؟

هناك هدفا يا سيدى هناك هدف هناك البشر

هذا صحيح : نسيت انه مفكر انسانى • وظل لحظة صامتا الوقت الذى التهم فيه نصف قطعة اللحم المطبوخ وقطعة كبيرة من الخبز • هناك البشر • رسم نفسه برمته هذا الرقيق العطوف اجل لكنه لا يحسن التعبير عن ذلك • روحه تملأ عينيه هذا لاجدال فيه لكن الروح لا تكفى • سبق لى ان عاشرت مفكرين انسانيين من باريس سمعتهم مائة مرة يقولون هناك البشر لكن ذلك كان شيئاً اخر • كان فيرجان لا يضاهى • كان ينزع نظارتيه كما لو أنه يريد يظهر عاريا بجسمة البشرى كان يحدق فى بعينية المؤثرتين بنظرة ثقيلة متعبة كان يخيل الى انهما تعرينى لتلنقط جوهرى البشرى ثم كان يتمتم بلهجة منغمة : " هناك البشر يا عزيزى هناك البشر " مضيفا على " هناك " نوعا من القوة كما لو انه حبه للبشر المتجدد والمدهش ابدا كان يتعثر فى جناحية العملاقين .

اما حركات العصامى الایمائية فلم تكسب هذه المخملية حبه للبشر ساذج وبربرى : انه انسانى ريفى

قلت له : - البشر... البشر ... على كل حال لا يبدو عليك انك تهتم بهم كثيرا : انت دائما وحيد وأنفك دائما
فى كتاب

فصفق العصامى بيديه وأخذ يضحك بخبث :

- انت علي خطأ آه ياسيدى اسمح لى ان اقول لك : أى خطأ هذا !

صمت لحظة في تحفظ ابتلاع لقمته .كان وجهه مشرقا كالفجر وخلفة انفجرت المرأة الشابة بضحكة خفيفة
كان رفيقها قد مال عليها يهمس في اذنها .

قال العصامى : - خطأك طبيعى جدا وكان على ان اقول لك منذ زمن طويل ...لكنى جد خجول ياسيدى
كنت ألتمس مناسبة

فقلت له بتأدب : - وها انت تجدها

- أعتقد ذلك اناايضا ماسأقوله لك ...

توقف وقد احمر وجهه :

- لكن ربما كنت أضايقك ؟

فطمأنه فأطلق تنهده سعيدة

- المرء ياسيدى لايلتقى برجال مثلك كل يوم تقترن سعة النظر لديهم بنفاذ البصيرة انقضت أشهر وأنا اود ان
احدثك ان اشرح لك مالذى كنته وماذا أصبحته ...

كان صحنه فارغا نقيا كما لو انه حمل له الساعة واكتشف فجأة بالقرب من صحنى صينية قصدير صغيرة
كانت تسبح فيها قطعة دجاج في مرق اسمر يجب ان أكل هذا

- كنت أحدثك منذ حين عن أسرى في المانيا وهناك ابتداء كل شىء كنت وحيدا قبل الحرب ولم اكن اشعر بذلك

كنت اعيش مع اهلى الذين كانوا أناسا طبييين لكنى لم اكن اتفاهم معهم حين افكر في تلك السنوات ...لكن

كيف استطعت ان اعيش على ذلك النحو ؟ كنت ميتا ياسيدى ولم اكن احس بذلك كنت املك مجموعة من

طوابع البريد

نظر الى ثم اضاف :

- ياسيدى انت ممتقع ويبدو عليك التعب اننى لا اضايقك على الاقل؟

- بل انت تثير اهتمامى كثيرا

- أدلعت الحرب فتطوعت من غير ان ادري لماذا . بقيت عامين من غير ان افهم لان حياة الجبهة كانت

لاتدع الا وقتا يسيرا للتفكير ، ثم إن الجنود كانوا مفرطين في الوحشية .في نهاية عام ١٩١٧ أسرت وقيل

لى منذ ذلك الحين ان كثيرا من الجنود قد استردوا في الاسر الايمان الذى كان يملا طفولتهم

استطرد العصامى وهو يرخى جفنيه على حدقتيه الملتهبتين :

- اننى ياسيدى لا أوؤمن بالله فان العلم ينكر وجوده ولكنى في معسكر الاعتقال تعلمت ان أوؤمن بالانسان

- لأنهم كانوا يتحملون مصيرهم بشجاعة ؟

فقال بهيئة غامضة :

- نعم كان هذا عنصر آخر والحق أنا كنا نعامل معاملة طيبة ولكنى كنت اقصد شيئا آخر : ففي شهور الحرب

الاخيرة كفوا عن ان يعطونا عملا وحين كانت السماء تمطر كانوا يدخلوننا في سقيفة كبيرة للالواح الخشبية

كنا نقف فيها متئين تقريبا متلاصقين وكانوا يغلقون الباب ويتركوننا هناك متلاصقين فيما بيننا في ظلام شبه

تام .

وتردد لحظة ثم أضاف

- لن استطيع ان اعبر لك ياسيدى كان جميع اولئك الرجال هناك لايكاد المرء يراهم ولكنه كان يحسهم

ملتصقين به وكان يسمع صوت تنفسهم وفي احدجى المرات الاولى التى حبسوننا فيها في تلك السقيفة كان

الضغط شديدا جدا حتى حسبت اول الامر انى سأختنق ثم ارتفع في فجأة فرح قوى حتى كدت انهار : واذ

ذال احسست انى احب هؤلاء الرجال كأنهم إخوه ووددت لو اقبلهم جميعا وبعد ذلك كنت احس الفرح نفسه

كلما دخلت السقيفة .

يجب ان أكل قطعة الدجاج التي لا بد ان تكون قد بردت فلقد انتهى العاصمي منذ وقت طويل
والخادم تنتظر لتغير الصحون .كانت السقيفة قد اكتست في نظري طابعا مقدسا . ونجحت احيانا في التحرر
من مراقبه حراسنا ، فدلفت الي السفينه وحيدا ، وهناك ، في الظلام ، في ذكري الفرحة التي عرفتها فيها،
كنت اسقط في نوع من النشوة . كانت الساعات تمر، لكني لم اكن اتنبه اليها. وقد حدث لي ان بكيت.

لا بد اني مريض: فليس ثمة طريقة اخري لشرح هذا الغضب الشديد الذي هزني . اجل، غضب
مريض : كانت يداي ترتجفان ، وقد سعد الدم الي وجهي، وانتهي الامر بشفتي فأخذتا ترتعشان. كل هذا ،
لأن الدجاجة كانت ببساطة ، باردة . انا ايضا كنت في الواقع باردة ، وكان هذا اشق ما في الامر : اقصد ان
اعماقي قد ظلت كما كنت منذ ست وثلاثين ساعة ، باردة جدا مثلجة . اخترقني الغضب وهو يدوم ، كان
ذلك شبيها برعشة ، بجهد يبذله وعيي ليقوم برد الفعل ، ليقاوم سقوط الحرارة هذا . جهد عابث : فلا ريب
في اني كنت جديرا ، لآتفه الاسباب ، ان انقض علي العاصمي او الخادم لاوسعهما ضربا وارهبهما شتما.
لكني لن اكون قد دخلت بكليتي في اللعبة لو فعلت . لقد كان غضبي يرتج علي السطح ، واحسست ذات
لحظة احساسا شاقا بأني كتلة من ثلج محاطة بالنار . تلاشي هذا الاضطراب السطحي ، وسمعت العاصمي
يقول:

- كنت كل يوم احد ، اذهب الي القديس . وانا يا سيدي لم اكن يوما مؤمنا . ولكن الانستطيع ان نقول ان سر
القديس الحقيقي انما هو التواصل بين الناس؟ كان ثمة كاهن فرنسي ، لم يبق له الا ذراع واحدة ، يقيم
القديس الاحتفالي . كان لدينا ارغن ، وكنا نستمع وقوفا ، عاري الرؤوس ، وبينما كانت انغام الاغن تحملني
، كنت احسني اشكل كلا واحدا مع جميع الناس الذين كانوا يحيطون بي. اه! لكم استطعت اناحب تلك
القديس يا سيدي. وما زلت حتي الان ، احياء لذكراها ، اقصد الكنيسة احيانا ، صباح الاحد . ولدينا في
كنيسة سانت سيسيل عازف ارغن ماهر .

- لا بد انك قد اشتقت غالبا الي تلك الحياة ؟

نعم يا سيدي ، سنة ١٩١٩ . انها سنة تحريري . قضيت شهورا شاقة جدا . لم اكن ادري ماذا

افعل ، كنت اتلاشي . كنت حيثما وجدت بشرا متجمعين اندس بينهم .

اضاف وهو يبتسم:

- حدث اني مشيت في جنازة رجل مجهول . وذات يوم ، قذفت ، من فرط اليأس ، مجموعة طوابعي في النار ... لكني وجدت دربي...

-حقا؟

- نصحني احدهم... اعرف يا سيدي اني استطيت ان اعتمد علي تكتك . انني - ربما لم تكن هذه افكارك ، ولكن لك فكرا واسعا جدا - انني اشتراكي.

خفض عينيه فحفت جفونه الطويله:

- منذ شهر ١٩٢١ ، تسجلت في ((الحزب الاشتراكي)) . هذا ما كنت اود ان اطلعك عليه .

كان يشع افتخارا . وجعل ينظر الي . وراسه مرتد الي خلف . وعيناه نصف مغمضتين ، وفمه مشقوق ، فكأنه شهيد .

قلت : -حسنا جدا .

- كنت اعرف يا سيدي انك ستقر ني . واني للمرء ان يوبخ من ياتي فيقول له : لقد تصرفت بحياتي علي هذا النحو وهذا النحو ، وهأنذا الان سعيد جدا ؟

فتح ذراعيه وقدم لي راحتيه ، واصابعها موجهة نحو الارض ، كما لو انه يوشك ان يلتقي

الجروح . كانت عيناه زجاجتين ، رأيت في فمه كتله ورديه معتمه تتدحرج . فقلت :

- آه ! مادمت سعيدا...

- سعيد ؟

نظره يبعث علي الضيق ، رفع جفنيه وحقق في تحديق قاسيا :

- سيتاح لك يا سيدي ان تحكم في الامر . كنت احسني ، قبل ان اتخذ هذا القرار ، في وحده فظيعة جدا حتي اني فكرت في الانتحار . غير ان ما امسكني هو التفكير بان احدا علي الاطلاق لت يتأثر لموتي ، وسأكون في الموت اشد وحده مما كنت في الحياة .

- لست بعد وحيدا يا سيدي . لن اكون بعد وحيدا ابدا.

قلت : - اه ، انك تعرف كثيرا من الناس؟

فأبتسم ، وسرعان ما ادركت سذاجتي :

- اقصد الي القول اني لا ((احستني)) بعد وحيدا . ولكن بالطبع يا سيدي ليس من الضروري ان اكون مع احد.

قلت:- ومع ذلك ، ففي الاحزاب الاشتراكي ...

- اه ، انني اعرف الجميع هناك . لكن معظمهم ، انما اعرفهم اسما فقط .

اضاف في دهاء:

- هل يكون المرء مجبرا يا سيدي علي ان يختار رفاقه علي هذا النحو الضيق؟

اصدقائي هم البشر جميعا. حين اقصد المكتب في الصباح ، فان امامي وورائي رجالا اخرين يذهبون الي اعمالهم . انني اراهم ، ولو كنت اجرؤ لبسنت لهم، انا افكر بأنني اشتراكي ، وانهم جميعا غاية حياتي ، وجهودي ، وانهم لا يعرفون ذلك بعد . هذا عيد لي ، يا سيدي .

ساءلنى بعينه، فأقررت وانا اهز رأسي ، لكنني شعرت انه خائب بعض الخيبة، وانه يود مزيدا من الحماسه . ماذا استطيع ان اصنع؟ ايكون خطأي ان المس ، في كل ما يقوله لي ، التكلف والاستشهاد ؟ ان اري ، فيما هو يتكلم ، جميع الانسانيين الذين عرفتهم يظهرون ؟ عرفت كثيرا منهم مع الاسف !

الانساني الراديكالي بصورة خاصة صديق الموظفين، والانساني الذي يوصف ب((اليساري)) همه الرئيسي الحفاظ علي القيم الانسانية ، انه لا ينتمي اتلي اي حزب ، لأنه لا يريد ان يخون ما هو انساني ، لكن عاطفته تتجه الي الوجود ، وهو يكرس للوضعاء ثقافته الكلاسيكيه الجميله . انه بالاجمال ارمل ذو عين جميله منداه بالدمع دائما : وهو يبكي في اعياد الميلاد ، ويحب ايضا القططه والكلب وجميع الضرعيات العليا . اما الكاتب الشيوعي فيحب الناس منذ اعلن المشروع الثاني للسنوات الخمس ، وهو يعاقب لانه يحب ، وهو لاحتشامه ، شأن جميع الاقوياء ، يحسن اخفاء عواطفه ، ولكنه يحسن كذلك ، بنظرة ، او بثنيه من صوته ، ان يشعرنا ، فيما وراء كلماته المحبه للعدل ، بعاطفته المهووسه الرقيقه لاخوته . اما الانساني الكاثوليكي ، المتأخر الوصول ، الابن الاعز ، فإنه يتحدث عن البشر بلهجه اعجاب شديد . انه يقول : ما اجملها قصة جن ، قصه تلك الحياه المتواضعة التي يعيشها عامل مرفأ لندني ، او مضر به احذية ! لقد اختار انسانيه الملائكة ، وهو يكتب ، في سبيل بناء الملائكة ، روايات طويله حزينه وجميله ، غالبا ما تحرز جائزة ((فمينا))

هذه هي الادوار الكبيرة . لكن هناك ادوارا اخري . غيمة من الادوار الاخري : الفيلسوف الانساني الذي ينحني علي اخوته كأخ اكبر والذي يملك حس مسؤولياته ، والانساني الذي يحب البشر كماهم ، والانساني الذي يحبهم كما ينبغي ان يكونوا ، ذلك الذي يريد ان يخلق اساطير جديدة ، والذي يكتفي بالقديمة ، والذي يحب في الانسان موته ، والذي يحب في الانسان حياته ، والانساني الفرح الذي يملك دائما الكلمة الضاحكة ، والانساني المظلم الذي نلتقي به خصوصا في الاماسي المأتمية . انهم جميعا يتبادلون الكراهية كأفراد طبعا ، لا كبشر . ولكن العصامي يجهل ذلك : فلقد حبسهم في نفسه كما تحبس قطط في كيس جلدي ، وهو ينتازعون ويجرح بعضهم بعضا ، من غير ان يشعر هو بذلك .

كان قد بدأ ينظر الي بثقة اقل :

- الاتشعر بلامر ، كما اشعر به يا سيدي ؟

-الحقيقة ...

ازاء هيئته القلقة التي لا تخلو من حقد ، احس بعض الندم اني قد خيبت ظنه . لكنه استطرد بود:

- اعرف انك ابحاثك وتحقيقاتك وكتبتك ، فأنت تخدم القضية نفسها علي طريقتك.

كتبي ، تحقيقاتي ، يات للابله ! انه لا يستطيع ان يرتكب خطأ افدح من هذا .

- انني لا اكتب من اجل هذا .

علي الفور تغيرت ملامح العاصامي : فكأنما هو قد شم رائحة العدو ، ولم يسبق لي قط ان رأيت مثل هذا

التعبير علي وجهه . لقد مات شيء ما بيننا .

وسأل وهو يتظاهر بالدهشة :

- ولكن ... لماذا تكتب اذن يا سيدي ، واغفر لي هذه الصراحة؟

- الحقيقة .. انني لا ادري . اكتب هذا ، لكي اكتب .

فأبتسم بزهو ،، اعتقد ان ربكني :

- هل تكتب في جزيرة مقفرة ؟ الا يكتب الانسان دائما لكي يقرأ؟

انما اعطي عبارته صبغة التساؤل بدافع العادة. فالواقع انه يؤكد . لقد انقشر طلاء عذوبته وخجله ، فبت

انكره . وقد نمت ملامحه عن عناد ثقيل ،

فبدا جدارا من الرضي والاكفاء. لم تكن دهشتي قد انقضت حين استطرد يقول :

- اذا قيل لي : انما اكتب من اجل فئة جماعية ، من اجل فريق من الاصدقاء ، فأني افهم ذلك . وربما كنت

تكتب للأجيال القادمة ... ولكنك يا سيدي ، بالرغم منك ، تكتب من اجل احد.

انتظر جوابا ، فلما تأخر ، ابتسم خفيفة :

- ربما كنت متشائما؟

اعرف ما كان يخفيه هذا الجهد الخادع للمصالحة . انه بالاجمال يطلب مني شيئا يسيرا : ان اقبل ببساطه صفقة او طابعا . لكن ذلك كان شركا : فاذا وافقت ، انتصر العصامي ، لن البث ان انهزم ويمسك بي واتجاوز ، لأن النزعة الانسانية تسترد جميع المسالك الانسانية وتذيبها معا . ان من يعارضها مواجهة ينساق للعبتها ، فهي تعيش من معاكستها . انها جنس من الاشخاص المعاندين المحدودين ، جنس من قطاع الطرق ، يخسرون دائما معها : فهي تهضم كل الوان عنفهم ، واسوأ تجاوزاتهم ، فتجعل منها لمفا بيضاء مزبدة .

هضمت النزعة المناهضة للفكر ، وهضمت المانوية ، والصوفية ، ونزعة بغض البشر ، والفوضوية والانانية: فليست هذه الا مراحل ، افكارا غير ناجزة لا تجد تبرير ها الا بها . ونزعة بغض البشر تتخذ مجلسها ايضا في هذه الحفلة الموسيقية : فليست هي الا نشازا ضروريا لتناغم الكل . ان مبغض البشر انسان : فيجب اذن ان يكون الانساني مبغضا للبشر علي نحو ما . لكنه مبغض للبشر علمي ، عرف ان يعين مقدار بغضه ، وهو لا يبغض البشر اولا الا ليكون فيما بعد اقدر علي ان يحبهم.

لا اريد ان اصهر ، ولا ان يذهب دمي الجميل الاحمر ليسمن ذلك الوحش اللمفاوي : لن ارتكب حماقة ان اصف نفسي ب((مناهض للانسانية)) كل ما هنالك ، اني ((لست)) انسانيا.

قلت للعصامي :

- اري المرء لا يستطيع ان يكره البشر اكثر مما يحبهم.

فنظر الي العصامي نظرة عاطفية بعيدة . وتمتم ، كما لو انه غير متنبه لكلماته :

- يجب ان يحبهم ، يجب ان يحبهم ...

- من هم الذين يجب ان يحبهم ؟ الاشخاص الذين هنا؟

- والذين هناك ايضا . الجميع .

استدار نحو الشابة والشاب المشرقي الفتوة : ذلك ما ينبغي ان يحب .

تأمل لحظة السيدذا الشعر الابيض ، ثم ارتد ببصره الي ، فقرات علي وجهه سؤال استفهام اخرس . او مات براسي ((لا)) . فبدا علي وجهه انه يشفق علي .

قلت له منزعا : -انك انت ايضا لاتحبهم.

-حقا يا سيدي ؟ هل تسمح بأن يكون لي رأي مختلف ؟

استعاد مظهر الوقار حتي اطراف اظافره ، لكن نظره كان نظر المتهمم الذي يجد متعة كبيرة . انه يحقد علي . ولقد اخطأت حين تعطفت علي هذا الالهوس . وسألته بدوري:

-قل لي ، هل تحب هذين الشخصين الشابين ، وراءك ؟

فتطلع اليهما مرة اخري ، وفكر ، ثم قال مرتابا:

-تريدني ان اقول اني احبهما من غير ان اعرفهما . الحق يا سيدي اني لا اعرفهما ، واقر ذلك ...

ثم اضاف بضحكة مزهوة:

- الا ان يكون الحب بالذات هو المعرفة الحقيقية !

- ولكن ماذا تحب ؟

- اري انهما شابان ، فأنا احب فيهما الشباب ، بين اشياء اخري ، يا سيدي . وكف مرهفا اذنه :

- هل تفهم ماذا يقولان ؟

يسألني عما اذا كنت افهم؟! كان الشباب ، وقد جراه الود الذي يحيط به ، يروي بصوت ممتلئ

مباراة في كرة القدم ربحتها فريقه في العام الماضي ضد ناد من الهافر .

قلت للعصامي : -يروى لها قصته.

- اه ! لا اسمع جيدا . لكني اسمع الصوتين ، الصوت الناعم ، والصوت الخشن : انهما يتناوبان . فما.. ما

الطف هذا !

- اما انا ، فأسمع ما يقولانه ، مع الاسف .

-ماذا يقولان ؟

- الحق انهما يمثلان.

فسأل بتهكم:

- حقا؟ ربما كانا يمثلان مسرحية الشباب ؟ اسمح لي يا سيدي بأن اجدها مفيدة جدا . هل يكفي المرء ان

يمثلها ليعود الي مثل عمرهما ؟

فتجاهلت تهكمه ، واستطردت:

- انك توليها ظهرك ، وما يقولانه يفوتك .. ما هو لون شعر المرأة الشابة ؟

فأضطرب ، ثم وجه نظرة نحوهما فأستردطمأنيته وقال :

-انه اسود

- انك تري اذن .

- ماذا تعني ؟

- انت تري جيدا انك لا تحبهما ، هذين الاثنين . انك لن تستطيع ان تعرفهما ثانية اذا لقيتهما في الشارع .

فليساهما في نظرك الا رمزين . انت لا ترقق لهما ، هما بالذات ، وانما ترقق ل ((شباب الانسان)) ،))

حب الرجل والمرأة)) ،ل ((الصوت الانساني))

-واذن ؟ اليس هذا موجودا؟

- بالتأكيد لا ، هذا ليس موجودا ! لا ((الشباب)) ولا ((الكهولة)) ولا ((الشيخوخة)) ولا ((الموت))...

فبدا وجه العصامي الممتنع القاسي كأنه سفرجله ، متسمرًا في تكشير انكاري . اني تابعت:

-هذا شأن ذلك السيد المسن خلفك الذي يشرب ماء فيشي . فأنا افترض انك انما تحب فيه ((الانسان

الناضج)) ، الانسان الناضج الذي يسير بشجاعة نحو منحدره والذي يعني بمظهره لانه لا يريد ان يستسلم؟

فقال لي في تحد:- تماما.

- ومع ذلك ، الا تري انه قدر جبان ؟

فضحك ، انه يجذني طائشا ، وقد رمي بنظرة موجزة الي الوجه الجميل المؤطر بالشعر الابيض :

- ولكن لنفرض يا سيدي انه يبدو كما ذكرت ، فكيف تستطيع ان تحكم علي هذا الرجل من سحنته؟ الوجه يا

سيدي لا يعبر عن شئ حين يكون في حالة الراحة.

يا للانسانيين العمي ! هذا الوجه هو جد ((معبر)) ، جد واضح-لكن روحهم الرقيقة المجردة لم تتأثر قط

بمعني وجه.

قال العصامي :- كيف تستطيع ان ((تقرر)) انسانا ، ان تقول ((انه)) كذا او كذا ؟ من يستطيع

ان يستنفذ انسانا ؟ من سيتطيع ان يعرف ينايبع الانسان ؟

استنفاد انسان ! انني احبي ، بالمناسبة ، النزعة الانسانية الكاثوليكية التي استعار منها العصامي ، من غير

ان يدري ، هذه الصيغة .

قلت له :- اعرف ، اعرف ان جميع البشر رائعون . انت رائع.

انا رائع . بصفتنا مخلوقات الرب . طبعًا.

فنظر الي من غير ان يفهم ، ثم قال ببسمه هزيلة:

لاشك في انك تمزح يا سيدي ، ولكنه امر صحيح ان جميع البشر يستحقون اعجابانا . انه صعب ، يا سيدي ، صعب جدا ان يكون المرء انسانا .

ها هو يترك من غير ان يلاحظ ، حب البشر في المسيح ، يهز رأسه ، فاذا هو شبيه بذلك

المسكين جيھينو ، عن طريق ظاهرة ايمائية غريبة.

قلت له:- المعذرة ، لكن هذا يعني اني لست متأكدا حقا من اني انسان : فأنا لم اجد ذلك صعبا قط

. كان يخيل الي انه لم يكن علي المرء ان يستسلم .

فضحك العصامي بطلاقة ، ولكن عينيه ظلتا سيئتين :

- انك مفرط التواضع يا سيدي . فلكي تتحمل وضعك ، وضعك البشري . فأنت بحاجة كسائر الناس الى

كثير من الشجاعة اللحظة التي تاتي ياسيدى يمكن ان تكون لحظة موتك أنت تعرف ذلك ووسعك أن تبتسم :

أليس هذا رائعا ومدعاة للاعجاب ؟

أضاف في مرارة:

- في أتفه افعالك قدرا هائلا من البطولة

- قالت الخادم :- وما الذى تأخذانه في النهاية ياسيدى ؟

كان العصامى ابيض كل البياض وجفناه منطبتان نصف الطباق على عينين حجريتين قام بحركة ضعيفة

من يدة كما او أنه يدعونى للاختيار فقلت في بطولة :

- قطعة جبن

- والسيد ؟

فانتفض :

- ماذا ؟ أه نعم : لن آخذ شيئاً لقد انتهيت

- لويز !

- دفع الرجلان السمينان ومضيا كان احدهما يعرج قادتتهما صاحبة المطعم الى الباب : انهما زبونان هلمان
قدمت لهما زجاجة خمر في دلو تلج

رحت أتأمل العصامى في شىء من الندم : لقد تمتع طوال الاسبوع في تخيل هذا الغذاء الذى
سمكنه من أن يطلع انسانا آخر على محبته للناس . الفرص التى تتيح له ان يتكلم نادرا جدا . وهأنذا أفسد
عليه متعته . أنه في حقيقته على مثل توحدى فليس ثمة من يهتم به غير أنه لايشعر بوحدته أجل : لكن لم
يكن على أنا أن افتحعينية أحسستى منزعا : صحيح اننى غاضب لكن لاعلية بل على امثال فيرجان
والاخرين جميع الذين سموا هذا العقل المسكين لو كان بوسعى أن اوقفهم هنا امامى لكان لى شىء كثير
اقوله لهم اما العصامى فلن اقول له شىءا فأنا لا اكن لهغير الود : شخص من نوع السيد أشيل من نوعى انا
وقد خان بدافع من جهل بدافع من ارادة حسنة !

انتشلتنى من احلامى الضجرة ضحكة اطلقها العصامى :

- اعذرنى ياسيدى فانى حين افكر بعمق حبى للبشر وبقوة الاندفاعات التى تحملنى اليهم ثم ارانا هنا نحاكم
ونبرهن ... فان ذلك يعطينى الرغبة في الضحك .

فصمت وابتسمت بسمة مقتسرة ووضعت الخادم امامى صحناً فيه قطعة من جبن الكامامبير .

أجلت بصرى في القاعة فغمرنى شعور نفور عنيف ما الذى افعله هنا ما شأنى والخطابة عن النزعة
الانسانية ؟ لماذا يكون هؤلاء الاشخاص هنا لماذا يأكلون ؟ صحيح انهم هم لايعرفون انهم كائنون . أننى
راغب في الذهاب في الرحيل الى جهة اكون فيها حقا " في مكانى " اتعلمت فيها ... لكن مكانى ليس في اية
جهه أننى زائد عن اللزوم .

رقت ملامح العصامى كان قد خشى من قبلى مقاومة اشد وهو يود حقا ان يمر بالاسفنجة على كل ماقلت
وقد مال على بهيئة مسارة :

- أنك في اعماقك تحبهم ياسيدى تحبهم مثلى : وأنا تفضل بيننا كلمات

لاستطيع بعد ان اتكلم وانى احنى رأسى كان وجه العصامى بازاء وجهى تماما ابتسم بسمة
مزهوة بازاء وجهى تماما كما يحدث في الكوايبس وأمشغ بمشقة قطعة خبز لا اقر ران ابتلعها البشر يجب
ان نحب البشر البشر راعون معجبون بى رغبة للتقيؤ – وفجأة تم الأمر : " الغثيان " .

نوبة جميلة : تهزنى من فوق الى تحت منذ ساعة وانا اراها قادمة غير انى لم اكن اريد ان
اعترف بها طعم هذا الجبن في فمى ... العصامى يثرثر وصوته يطن بعذوبة في أذنى لكنى لا اعلم بعد
على الاطلاق عن اى شىء يتكلم انا اقره أليا برأسى يدي متشنجة على مقبض المدية وانا أحس هذا المقبض
الخشبي الاسود إن يدي هى التى تمسكة يدي لو خيرت شخصا لآثرت أن اترك هذه المدية وشأنها : فما
جدوى ان يلمس المرء دائما شيئا ما ؟ الاشياء لم تصنع لتمس . فمن الفضل ان يندس المرء بينها متجنبا
اياها ما وسعه ذلك يأخذ احدها احيانا بيده فيضطر الى تركة بأسرع مايمكن تسقط المدية على الصحن
فينتفض لصوتها السيد ذو الشعر الابيض وينظر الى آخذ المدية ثانية فأسند شفرتها على الطاولة واطويها .
هذا اذن هو " الغثيان " : هذه البدهية التى تعمى ؟ حفرت رأسى ! كتبت عنها ! وها انا الان :

كائن – العالم كائن – وأعلم ان العالم كائن . هذا كلى شىء لكن الامر لدى سواء وغريب ان يكون كل شىء
لدى سواء : هذا يذعرنى حدث هذا منذ ذلك اليوم العظيم الذى اردت فيه ان القى الحصى في البحر بحيث
يمس سطح الماء كنت اوشك ان اقدف تلك الحصة فنظرت اليها وأنداك بدأ كل شىء : احسست بأنها كانت
"كائنة " بعد ذلك حدثت " غثيانات " كثيرة الاشياء تأخذ بين الحين والآخر في ان " تكون " في يدك حدث
غثيان مقهى " رانديفودى شامينو " وغثيان بحر قبل ذلك ليلة كنت انظر من النافذة وغثيان ثالث في الحديقة
العامة في يوم واحد وغثيانات اخرى بعد ذلك لكن لم تكن قط قوية كما هو غثيان اليوم .

- ... من روما القديمة ياسيدى ؟

أظن ان العصامى يسألنى وألقت اليه فابتسم له مابه ؟ لماذا تراه يتكوم على كرسية أنى اذن

اثير الخوف الان ؟ لابد ان ينتهى الامر هكذا الحق ان الامر عندى سواء انهم غير مخطئين تماما في ان يخافوا : فانا احس جيدا انب وسعى ان افعل اى شىء ان اغرز مثلا هذه المدية التى تستعمل لقطع الجبن في

عين العصامى بعد ذلك سيدوسنى جميع هؤلاء الاشخاص وسيحطمون اسنانى بضربات احذيتهم لكن ذلك ليس هو مايوقنى فان مذاق دم في فمى بدلا من مذاق الجبن هذا لايشكل فرقا غير انه لابد من القيام بحركة

خلق حدث لا طائل فيه : فستكون الصيحة التى يطلقها العصامى زائدة عن اللزوم – كذلك الدم الذى يسيل على خده وانتفاض جميع هؤلاء الاشخاص هناك مافية الكفاية من الاشياء التى توجد على هذا النحو .

الجميع ينظرون الى وقد قطع ممثر الشباب حديثهما العذب كان فم المرأة فاغرا كاست دجاجة

لابد انهم كانوا يرون مع ذلك انى غير قابل للايذاء .

أنهض وكل شىء من حولى يدور ويحرق العصامى في بعينية الكيرتين اللتين لن أفقأهما ويتمتم :

- هل انت ذاهب ؟

- أنى متعب قليلا وانت لطيف جدا انك دعوتنى الى اللقاء

لاحظت وأنا ذاهب انى احتفظت فييدى اليسرى بمدية آخر الطعام فالقيتها على صحنى اخذ يطن

اجتزت القاعة وسط الصمت لقد كفوا عن الطعام : ينظرون الى وقد انقطعت قابليتهم لو اننى تقدمت نحو

المرأة الشابة وقلت لها " هم " فستاخذ في الصراخ بلا شك لا فائدة من ذلك .

ومع هذا فقد التفت قبل ان اخرج وأريتهم وجهى ليستطيعوا ان يحفروه في ذاكرتهم

- الى اللقاء سادتى سيداتى

فلم يجيبوا ومضيت خدودهم ستسترد الان الوانها وسيأخذون في الثرثرة .

لا ادرى اين اذهب فأنا مزروع الى جانب الطباخ الكرتونى ولا حاجة بى الى الالتفات لاعرف

انهم ينظرون الى عبر زجاج النوافذ ينظرون الى ظهري في دهشة واشمنزاز كانوا يعتقدون انى كنت مثلهم

انى كنت انسانا وانى خدعتهم وفجأة فقدت مظهرى الانسانى فراوا سرطانا يفر القهقرى من هذه القاعة
الانسانية وها هو الدخيل الذى نزع قناعه يفر : وتستمر الجلسة يزعجنى ان احس في ظهري كل هذا
التحرك والاضطراب للعيون والافكار المذعورة اجتاز الطريق الى الرصيف الآخر الذى يحاذى الشاطيء
وغرف الحمامات .

هناك اشخاصا كثيرون يتنزهون على شاطيء البحر ويديرون نحو البحر وجوها ربيعية شاعرية
: بسبب الشمس فهم في عيد هناك نساء يرتدين ثيابا خفيفة سبق ان ارتدينها في الربيع الماضى وهن يمررن
طويلات بيضاوات كقفازات جلدية ملمعة وهناك ايضا صبية كبار يقصدون اللبسية او مدرسة التجارة
وشيوخ يتحلون بأوسمتهم لا يعرف بعضهم بعضا لكنهم يتبادلون النظر في هيئة تواطؤ لان الطقس جميل
جدا ولانهم بشر البشر يتعانقون من غير ان يتعارفا في أيام اعلان الحرب يتبادلون البسمات عند حلول كل
ربيع يتقدم كاهن بخطى بطيئة وهو يقرأ كتاب فرض الكهنة وهو بين الحين والآخر يرفع رأسه وينظر الى
البحر نظرة موافقة : فالبحر ايضا كتاب فرض للكهنة يتحدث عن الرب الوان خفيفة عطور خفيفة ارواح
ربيعية " الطقس جميل البحر اخضر افضل هذا البرد الجاف على الرطوبة " يللشعراء لو أخذت احدهم من
ذيل معطفة وقلت له " تعال الى مساعدتى " فسوف يفكر " ماهذا السرطان ؟ " وسيهرب تاركا معطفة بين
يدى .

اوليهم ظهري واستند بكنتا يدي الى الدربزين البحر " الحقيقى " باردواسود زاخر بالوحوش
يزحف تحت هذه القشرة الرقيقة الخضراء التى صنعت لتخدع الناس الجن الذين يحيطون بى قد استسلمتوا
لها : فهم لا يرون الا القشرة وهى التى تبرهن عن وجود الله اما انا فأرى التحت ! الطلاء يذوب والجلود
الصغيرة المخملية اللامعة تفرقع في كل مكان تحت بصرى تشق بعضها بعضا هو ذا ترام سانت – اليمير
واستدير على عقبى فتدور الاشياء معى صفراء وخضراء كأنها قواقع الصدف غير مجد غير مجد ان اففز
الى داخلها مادامت لا اريد ان اذهب الى اى مكان .

خلف الواجهات تنخطف الاشياء المزرققة في موجات صلبة قابلة للكسر أناس وجدران يعرض
على احد البيوت عبر نوافذة المفتوحة قلبه الاسود ويصفر زجاج النوافذ كل ماهو اسود ويزرقة يزرقة هذا

المسكن الكبير لها القرميد الاصفر الذى يتقدم مترددا وهو يرتعش ثم يتوقف فجأة وهو يعزز بأنفة يصعد سيد فيجلس قبالتى ويستأنف المسكن الاصفر سيرة فينزلق يقفزة إزاء الواجهات الزجاجية يصبح قريبا جدا حتى لايرى منه بعد الا جزء وقد أظلم واسود وترتجف الواجهات ويرتفع ساحقا اعلى من ان تمكن رؤيته مع مئات من النوافذ المفتوحة على قلوب سوداء ينزلق بإزاء العلبة فيلامسها حل الليل بين الواجهات التى ترتجف ينزلق بلا انقطاع اصفر كلوحل والزجاج في زرقة السماء ويختفبقي في الخلف ويغمر العلبة ضوء رمادى حتى ينتشر في كل مكان بعدل لا هوادة فيه : انها السماء وعبر زجاج النوافذ ترى بعد كثافات وكثافات من السماء لأن المرء يصعد شاطيء " اليفار " ولأنه يرى رؤية واضحة من كلا الجانبين يمينا حتى البحر ويسارا حتى حلبة الطيران التدخين ممنوع حتى على بوهيمية .

وأعتمد بيدي على المقعد الخشبى الصغير لكنى لا البث ان اسحبها على عجل : انه كائن هذا الشىء الذى انا جالس عليه والذى كنت اسند اليه يهدى يسمى مقعدا صغيرا صنعوة خصيصا ليمنكالمراء انيجلس عليه وقد اخذوا جلدا ونوابض وقماشافانهمكوا فى العمل في نيتهم ان يصنعوا مقعدا وحين فرغوا كان " هذا " هو ماصنعوة حملوة الى هنا الى هذه العلبة وهاهى العلبة الان تتدحرج وترتج بزجاجها المرتجف وهى تحمل في جوانبها هذا الشىء الاحمر واتمم : أنه مقعد صغير كأنما هو تعزيم لكن الكلمة تبقى على شفتى ترفض ان تذهب فتحط على الشىء تظل ماهى بقطيفتها الحمراء الاف من الارجل الصغيرة الحمراء في الهواء متصلبة كلها ارجل صغيرة ميتة .

هذا البطن الهائل المتجه الي الهواء داميا منتفخا ملطخا بكل ارجلة الميتة بطن يعوم في هذه العلبة في هذه السماء الرمادية ليس هو مقعدا .

فمن الممكن ايضا ان يكون حمارا ميتا مثلا منتفخا بالماء وهو يعوم بالاتفاق وبطنة في الهواء وسط نهر رمادى كبير نهر فيضان واكون انا جالسا على بطن الحمار وقدمى تبتلان في الماء الشفاف تحررت الاشياء من اسمائها فهى هنا وحشية عنيدة عملاقة من السخف تسميتها بأنها مقاعد او التحدث عنها بأى شىء : أننى وسط " الاشياء " التى هى غير قابلة للتسمية تحيط بى وحيدا بلا كلام ولا حماية تحتى وخلفى وفوقى لاتطلب شيئا ولاتفرض نفسها : انها هنا وهناك تحت وسادة المقعد ازاء الجدار الخشبى خط

ظل صغير خط صغير اسود يجرى موازيا للمقعد جريا سريا ذكيا فكأنه بسمة انا اعلم جيدا انه ليس بسمه ومع ذلك فهو كائن يعدو تحت الزجاج المبيض تحت ارتجاج الزجاج وهو يعاند تحت الصورة الزرقاء التي تنخطف خلف الزجاج وتتوقف ثم تمضى إنه يعاند كذكرى مهزوزة لبسمة ككلمة نسيت نصف نسيان لم يعد يذكر منها الا المقطع الاول افضل مايمكن المرء ان يعمل هو ان يصرف عينيه ويفكر في شىء اخر في هذا الرجل المضجع على المقعد الصغير قبالتى هناك في راسة الفخارى ذى العينين الزرقاوين إن القسم الايمن من جسمة قد تراخى والتصقت الذراع اليمنى بالجسم والجنب الايمن يكاد لايعيش يعيشي بخل كما لو انه كان مشلولاً لكن هناك كينونة طفيلية صغيرة تتكاثر على الجنب الايسر كله قرحة : اخذت الذراع ترتجف ثم نهضت على الجنب الايسر كله قرحة : اخذت الذراع ترتجف وحين بلغت مستوى الرأس امتد اصبع واخذ يحك بظفرة جلدة الرأس واقل نوع من التكشيرة الشهوانية يسكن الجانب الايمن من الفم فظل الجانب الايسر ميتا الزجاج يرتج والذراع ترتجف والظفر يحك يحك والفم يبسم تحت العينين الثابتتين ويحتمل الرجل من غير ان يشعر هذه الكينونة الصغيرة التى تنفخ جنبه الايمن التى استعارت ذراعة اليمنى وخذت الايمن لتتحقق وسد قاطع التذاكر الطريق على .

- انتظر الموقف .

لكنى دفعته وقفزت خارج الترام كان قد نفذ صبرى لم اكن استطيع تحمل ان تكون هذه الاشياء قريبة هذا القرب دفعت حاجزا ودخلت فقفزت كينونات خفيفة قفزة واحدة وتعلقت بالذرى الان اجد نفسى واعرف اين انا : اننى فى " الحديقة العامة " وأتداعى للسقوط على مقعد وبين الجذوع الكبيرة السوداء بين الايدى المعقدة السوداء التى تمتد نحو السماء تحك شجرة الارض تحت قدمى بظفر اسود كم اود لو استسلم لو انسى نفسى لو انام ولكنى لا استطيع اننى اختنق الوجود يخترقنى من كل مكان من العينين من الانف من الفم ...

فجأة يتمزق الحجاب لقد فهمت لقد " رأيت " .

الساعة السادسة مساء

لا استطيع القول بأنى احسنى خفيفا ولا مسرورا بل ان ذلك على العكس يسحقتنى غير ان غايتى

قد ادركت اعرف ما كنت اود ان اعرفه فهتمت كل مماحدث لى منذ يناير إن " الغثيان " لم يتركنى ولا

احسب انه سيتركنى بهذه السرعة لكنى لا اكابده بعد فهو لم يعد مرضا ولا نوبة عارضة : أنه انا .

إذن كنت الساعة في الحديقة العامة كان جذر شجرة الكستنا يغرز في الارض تحت مقعدى تماما

لم اكن اذكر بعد انه كان جذرا فقد غدرت الكلمات وغر معها معنى الاشياء وطرق استعمالها والمعالم

الضعيفة التى رسمها البشر على سطحها كنت جالسا مقوسا بعض الشىء منخفض الرأس وحيدا قبالاته هذه

الكتلة المعقدة السوداء الخام كليا التى تثير خوفى ثم حدث لى ذلك الاشراق .

قطع ذلك نفسى لم استشعر قط قبل هذه الايام الاخيرة ما كانت تعنيه كلمة " وجد " كنت

كالآخرين كأولئك الذين يتنزهون على شاطئ البحر بشياهم الربيعية كنت اقول ممثلهم " ان البحر " هوة

اخضر وتلك النقطة البيضاء هناك غالبا هى عصفور الزمج لكنى لم اكن احس بأن ذلك كان كائنا بأن الزمج

كان " ومجا - كائنا " ان الكينونة تختبىء عادة إنمها هناك حولنا فينا انها نحن ولا يمكن قول كلمتين من

غير التحدث عنها وهى في النهاية لاتمس حين كنت اظن انى افكر فيها فيجب الاعتقاد بأنى لم اكن افكر في

شىء بل كان رأسى فارغا او كان في راسى كلمة واحدة لا غير كلمة " الكون " او انى كنت افكر ... كيف

اعبر ؟ كنت افكر " بالانتماء " كنت اقول لنفسى ان البحر كان ينتمى لطبقة الاشياء الخضراء ا وان

الخضرة كانت صفة من صفات البحر حتى حين كنت انظر الاشياء كنت بعيدا عن التفكير بأنهما كانت كائنة

كانت تبدو لى كديكور كنت أخذها بيدي كنت اعتبرها آلات كنت أتنبأ بمقاومتها لكن ذلك كله كان يحدث

على السطح لو كنت سئلت عما عساها تكون الكينونة لكنت اجبت بكل صدق بأنها ليست شيئا وانها على

الاكثر شكل فارغ بأنى فيضاف الى الاشياء من الخارج من غير ان يبدل شيئا في طبيعتها ثم فجأة كانت

هناك واضحة كالنهار : كشفت الكينونة فجأة عن نفسها كانت قد فقدت صفتها كفئة مجردة كانت عجين

الاشياء بالذات ذلك الجذر كان معجونا في الكينونة او على الاصح كان الجذر وحواجز الحديقة

والمقعد والعشب النادر كان كل ذلك قد غر وتلاشى لم يكن تنوع الاشياء وفرديتها الا مظهرا طلاء وهذا
الطلاء كان قد ذاب فبقيت كتل مسيخة رخوة في غير انتظام - عارية عريا فظيحا داعرا .

كنت احرص على الا اأتى ادنى حركة لكن لم تكن بى حاجة الى التحرك لارى خلف الاشجار
الأعمدة الزرقاء ومصباح كشك الموسيقى والفيلادا وسط غابة كثيفة من شجر الغاز جميع هذه الاشياء ...
كيف اعبر ؟ كانت تزعجنى كنت أتمنى لو انها كائنة بشكل اضعف بطريقة اكثر جفاقا اكثر تجريدا وبمزيد
من التواضع كانت شجرة الكستناء تضغط على عيني كان صداً اخضر يغطيها حتى منتصفها وكانت القشرة
المتورمة السوداء تبدو وكأنها من الجلد المغلى كان خريز مياه نبع " ماسكورية " يسيل في اذنى ويقيم له
فيهما عشا ويملها بالتنهات وكان منخرأى يفيضان برائحة خضراء عفنه . كانت جميع الاشياء تستسلم
للكينونة بلطف ورقة على غرار هاتيك النساء المتعبات اللواتى يستسلمن للضحك ويقلن : " ما أذ الضحك
" بصوت مبتسل كن يتمددن بعضهن تجاه بعض يتبادلن المسارة الكريهة عن كينونتهن ادركت انه لم يكن
ثمة وسط بين اللاكينونة وهذا الخصب الجذلان فاذا كان المرء كائنا فينبغى ان يكون " كائنا حتى هذا الحد
حتى التعفن كتى التورم حتى الدعارة ان الدوائر وانغام الموسيقى في عالم نخر تحتفظ بخطوطها النقية
الصلبة لكن الكينونة التواء فالاشجار والاعمدة المزرققة بالليل وهذيان نبع سعيد والروائح الحية والضباب
الحرارى الخفيف الذى يعوم في الهواء البارد ورجل احمر يهضم وهو جالس على مقعد : جميع هذه الالوان
من الاغفاء والهضم تكشف حين تؤخذ معا عن مظهر هزلى هزلى ... كلا لم يكن الامر يبلغ ذلك الحد فليس
فيما هو كائن مايمكن ان يكون هزليا وانما كان ذلك شهباً عائماً يكاد يكون غير قابل للالتقاط مع بعض
مواقف الفودفيل كنا كومة من الكائنين المنزعجين المرتكين بأنفسنا لم نكن نملك اى سبب لنكون هنا لا نحن
ولا الاخرون كان كل كائن قلق مضطرب يحس نفسه زائداً على اللزوم بالنسبة للاخرين " الزيادة على
اللزوم " : تلك كانت الصلة الوحيدة التى استطيع ان اقيمها بين هذه الاشجار هذها الحواجز هذا الحصى عبثا
كنت احاول " عد " اشجار الكستناء " وموضعها " بالنسبة للفيلادا ومقارنة ارتفاعها بارتفاع اشجار الدلب :
كان كل منها يفلت من الصلات التى كنت احاول ان احبسه فيها وينعزل ويفيض هذه العلاقات (التى كنت
اصر على إقامتها لاواخر انهيار العالم الانسانى والمقاييس والكميات والاتجاهات) كنت احس اعتباطيتها

انها لم تكن تعض بعد على الاشياء " زائدة على اللزوم " شجرة الكستناء القائمة هناك قبالتى الى اليسار "
زائدة على اللزوم " الفيلادا ...

" أنا " – المسترخى الداعر المجتر الخافق بافكار كامدة – " انا ايضا كنت زائدا على اللزوم "
ومن حسن الحظ انى لم اكن اعر بذلك كنت افهمه خاصة لكنى كنت منزعا لانى كنت اخشى ان احسه)
وما زلت انا الان خائفا من ذلك- أنى اخشى انياخذتى هذا من وراء رأسى فيرفعنى كمةجة هائلة) كنت
احلم بغموض في ان احذف نفسى لكى اعدم على الاقل احدى هذه الكينونات الزائدة لكن موتى نفسه كان
يكون زائدا على اللزوم زائدا على اللزوم حتتى ودمى على هذا الحصى بين هذه النباتات داخل هذه الحديقة
الباسمة اللحم المفصوم كان يكون زائدا على اللزوم فى الارض التى تكون قد تلقتة وعظامى اخيرا بعد ان
تكون قد نظفت وسلخ عنها اللحم فأصبحت نقية واضحة كالاسنان كانت تكون هى ايضا زائدة على اللزوم :
كنت زائدا على اللزوم بالنسبة للخلود .

كلمة " العبثية " تولد الان تحت قلمى صحيح انى لم اجدها حين كنت منذ حين فى الحديقة ولكنى
لم أكن مع ذلك ابحت عنها فلم تكن لى حاجة اليها : كنت افكر بلا كلام " عن " الاشياء " مع " الاشياء لم
تكن العبثية فكرة فى رأسى ولا لهاث صوت وانما كانت هذه الحية الطويلة الميته عند قدمى هذه الحية
الخشبية حية او ظفر او جدار او مخلب نسر كل هذا سواء كنت افهم من غير ان اكون صيغة واضحة : انى
وجدت مفتاح " الكينونة " مفتاح " غثيانى " مفتاح حياتى نفسها .

الواقع ان كل ما استطعت ان التقطه فيما بعد يتلخص فى هذه العبثية الاساسية عبثية : كلمة
اخرى اننى اتخبط تجاهالكلمات اما هنا فقد كنت امس الشىء غير انى اود ان اناثبت هنا الطابع المطلق لهذه
العبثية ان حركة او حدثا فى عالم البشر الملون الصغير ليس هو عبثيا الا بشكل نسبى : بالنسبة للظروف
التى ترافقه فان خطب مجنون مثلا هى عبثية بالنسبة لما هو فيه من موقف لا بالنسبة لجنونة لكنى قمت منذ
حين بتجربة المطلق " المطلق او العبثى .فذلك الجذر لم يكن ثمة مايجعله عبثيا بالنسبة له اوه ! أننى لى ان
البث ذلك بالكلمات ؟ عبثى : بالنسبة للحصى وللأعشاب الصفراء وللوحل الجاف وللشجر وللسماء وللمقاعد
الخضراء عبثى غير ممكن التنقيص لاشىء يمكن ان يشرحة – حتى ولا جنون للطبيعة عميق وخفى طبعا

لم اكن اعرف كل شىء لم اكن قد رأيت الحبة تنمو ولا الشجرة تنترعرع .لكن امام هذه الرجل الضخمة الخشنة لم يكن للجهل ولا للمعرفة اهمية : إن عالم الشروح والتعليقات ليس هو عالم الكينونة الدائرة ليست شيئا عبثيا فهي تشرح جيدا بأنها دوران خط مستقيم حول احد طرفية لكن الدائرة ايضا غير كائنة اما هذا الجذر فقد كان على العكس كائنا على قدر عجزى عن شرحه كان بتعقدة وجمودة وانعدام الاسم له يسحرنى ويملاً عينى ويعيدنى بلا انقطاع الى كينونته الذاتية .حاولت كثيرا ان اردد : " انه حذر " ولكن ذلك كف عن ان ينجح كنت ارى جيدا ان المرء كان عاجزا عن الانتقال من وظيفته كجذر كمضخة جاذبة " الى هذا " الى هذه القشرة القاسية الكثيفة الشبيهة بظهر الفقمة الى هذا المظهر الزيتى الكاتب العنيد لم تكن الوظيفة تشرح شيئا وانما كانت تسمح للمرء بأن يفهم فهما إجماليا ماعساء يكون الجذر لا ما "ماهو " على الاطلاق إن هذا الجذر بلونة وشكلة وحركة المستمرة كان ... تحت كل شرح كان كل من صفاته يفلت قليلا يسيل خارجا عنه يتجمد نصف تجمد ويصبح شيئا ما تقريبا كانت كل صفة " زائدة عن اللزوم " الجذر كانت الارومة كلها تعطينى الآن الشعور بأنها تتدحرج قليلا خارج نفسها بأنها تنكر نفسها بأنها تضيع في تطرف غريب حككت عقبى بهذا الظفر الاسود : وددت لو اجرحة بعض الشىء لا لغاية بل تحديا لكى اظهر على الجلد المدبوغ اللون الوردى الذى يظهر على الجلفة : " لألعب مع عبثية العالم .لكنى حين سحبت قدمى رأيت ان القشرة بقيت سوداء .

سوداء ؟ ان الجذر " لم يكن " اسود ولم يكن سوادا هذا الذى على قطعة الخشب – وأما كان .. شيئا آخر : السواد شأنه في ذلك شأن الدائرة لم يكن كائنا كنت انظر الى الجذر : أكان " اكثر من اسود " أم كان اسود "تقريبا " ؟ لكنى ما لبثت أن كفتت عن التساؤل لأنى كنت أحس أنى في ميدان أعرفة أجل سبق لى ان ترصدت بهذا القلق أشياء غير قابلة للتسمية كنت قد حاولت – عبثا – ان افكر في شىء " عنها " كنت قد احسست بصفاتها الباردة الساكنة ثققلت وتنزلق بين اصابعى مثلا رافعة بنطلون أدولف في ذلك المساء في مقهى " " رانديفو دى شامينو " . لم " تكن الرافعة بنفسجية تمثلت اللطختين اللتين لم يكن ممكنا تعريفهما على القميص . والحصاه تلك الحصاه العتيدة مصدر هذه القصة كلها : انها لم تكن ... لم اكن اذكر جيدا بالضبط ما كانت ترض ان تكونه . لكنى لم اكن قد نسيت صمودها السلبي ويد العصامى كنت اخذتها وصافحتها ذات يوم في دار الكتب ثم اخذنى الاحساس بأنها لم تكن تماما يدا . كنت قد فكرت في دودة كبيرة

بيضاء لكنها لم تكن ذلك ايضا وشفافية قذح البيرة الملتبسة في مقهى بابلي ملتبسة : هكذا كانت الاصوات والعمود والمذاقات فهي حين تنسل بسرعة تحت انفك كأنها ارانب مطرودة فلا توليها اهتماما كبيرا فأنت تستطيع ان تظنها بسيطة ومطمئنة وتستطيع ان تعتقد انه كان في الدنيا زرقة حقيقية او حمرة حقيقية او رائحة حقيقية او رائحة بنفسج حقيقية لكن يكفي ان تمسكها لحظة حتى يحل محل هذا الشعور بالرضى والمن انزعاج عميق : الالوان والمذاقات والروائح لم تكن قط حقيقية ولم تكن قط هي نفسها ةلاشيء سواها الصفة الابسط والاشد امتناعا على التحليل كان فيها شيء زائد على اللزوم بالنسبة لنفسها في قلبها فالسواد القائم هنا بازاء قدمي لم يكن يبدو سوادا انما كان بالاحرى جهدا غامضا لتصور السواد ببذله شخص لم يسبق له ان رأى سوادا ولم يعرف ان يتوقف شخص تصور كائنا ملتبسا فيما وراء الالوان كان ذلك " يشبه " لونا لكنه يشبه كذلك حدورا او فرازا او مصالة- وشيئا اخر رائحة مثلا كان ذلك يذوب رائحة ارض مبتل هاو رائحة خشب دافىء مبيبل يذوب رائحة سوذاء ممتدة كأنها الطلاء على هذا الخشب العصبى ومذاقا لعرق ممزوج مسكر لم اكن "أراه " ببساطة هذا السواد : فالرؤية اختراع مجرد فكرة منظمة مبسطة فكرة من افكار الانسان كان ذلك السواد الذى هو حضور مسترخ غير متشكل بتجاوز من بعيد الرؤية والشم والمذاق لكن هذا الغنى كان يتحول الى تشوش وينتهى به الأمر الا يكون شيئا لايه كان زائدا على اللزوم .

كانت تلك لحظة عجيبة كنت هنا جامدا مثلجا غارقا في نشوة فظيعة لكن في وسط هذه النشوة بالذات كان شيء جديد يظهر كنت افهم " الغثيان " وأمتلئة والحق يقال انى لم اكن اضع اكتشافتى في صيغ لكنى اعتقد انه سيكون يسيرا على الآن ان اضعها في كلمات الشيء الجوهرى هو عدم لزوم الوجود اقصد ان الوجود بالتعريف ليس هوة اللزوم والضرورة فأن يوجد المرء هو ببساطة ان " يكون هنا " ان الموجودين يظهرون ويدعون انفسهم " يتلاقون " لكننا لا نستطيع ابدأ ان " نستنتجهم " واحسب ان هناك اشخاصا فهموا ذلك غير انهم حاولوا ان يتغلبوا على عدم لزوم الوجود هذا بأن اخترعوا كائنا ضروريا وسببا لنفسه . الحق ان اى كائن ضرورى لا يستطيع ان يشرح الوجود ان عدم لزوم الوجود ليس وهما ليس مظهرا يمكن تبديده انه المطلق وبالتالي المجانية الكاملة كلى شيء مجانى هذه الحقيقة وتلك المدينة وانا نفسى واذا اتفق ل كان ادركت هذا غار قلبك وأخذ كل شيء يعوم كما حدث ذلك المساء في مقهى " رانديفو دى شامينو " : ذلك هو الغثيان وهذا ما يحاول " القذرون " – سكان " التل الاخضر " وسواهم – ان يخفوه

عن انفسهم منذرعين بفكرتهم عن الحق ولكن اية كذبة مسكينة هذه ١ ليس ثمة من يملك الحق انهم مجانيون
كلية كسائر الناس وهم يخفقون في ألا يحسوا أنفسهم زائدين على اللزوم وهم في انفسهم بصورة خفية "
زائدون على اللزوم " أى غير متشككين ملتبسون حزانى .

كم استغرق هذا السحر من وقت ؟ " كنت " جذر شجرة الكستناء . او على الاصح كنت برمتى
وعيا لكيوننتها . كنت ما زال منفصلا عنها – مادامت اعيها – ومع ذلك كنت ضائعا فيها ولاشئ إلا ها
وعى منزعج ولكنة كان مع ذلك يستسلم بكل وزنه بلا سند لهذه القطعة الخشبية الجامدة كان الزمن قد
توقف : بركة صغيرة سوداء عند قدمى كان مستحيلا ان يأتى شئ ما " بعد " تلك اللحظة وددت لو انزع
نفسى من هذه المتعة الفظة لكنى لم اكن اتصور ان ذلك ممكن كنت في الداخل وكانت الارومة السوداء "
لاتمر " كانت باقية هنا في عيني كما تبقى قطعة مفرطة الحجم في حلق انسان يأكل .لم اكن استطيع ان
اقتلها ولا ان ارفضها .بئس اى جهد استطعت ان ارفع عيني ؟ بل هل ترانى رفعتهما ؟ ألم الأش نفسى على
الصح منذ لحظة لكى اولد في اللحظة التالية مقلوب الرأس متجه العينين الى اعلى ؟ الواقع انى لم اشعر بأنه
كان يمة مرور او انتقال .لكن اصبح مستحيلا على بصورة مفاجئة ان افكر في الوجود الجذر .كان قد امحى
وقد رددت كثيرا " أنه كائن وهو مايزال هنا تحت المقعد بأزاء قدمى اليمنى لكن ذلك لم يكن يعنى شيئا بعد
الوجود ليس شيئا يفكر فيه من بعيد : بل ان ذلك يجب ان يغمرك فجأة ان يتوقف عليك وان يزن ثقيلًا
على قلبك كحيوان ضخم جائم – والا فليس ثمة شئ بعد على الاطلاق .

لم يكن ثمة شئ بعد على الاطلاق كانت عيناى فارغتين كنت مسحورا بتحررة ثم فجأة جعل
شئ ما يتحرك اما م عيني حركات خفيفة غير واثقة : كانت الريح تهز قمة الشجرة .
لم يكن يسوءنى ان ارى شيئا يتحرك فان ذلك كان يتسنى جميع تلك الكينونات الساكنة التى كانت
تنظر الى كأنها عيون ثابتة ابدًا مائة في المائة وانما هى انتقالات مراحل بين كينونتين اوقات ضعيفة كنت
أتأهب لكى اراها تخرج من العدم وتنضج تريجيا وتتفتح : سيتاح لى اخيرا ان افاجئ كينونات في حالة
الولادة .

لكنى لم احتج الى اكثر من ثلاث ثوان لتخيب جميع امالى فعلى تلك الغصون المترددة التى كانت

تتلمس ما حولها تلمس العميان لم انجح في التقاط " انتقال " ما الى الكيونونة اذن فانا فكرة الانتقال هذه هى ايضا من اختراع الشر انها فكرة مفرطة الوضوح . كانت جميع هذه التحركات الدقيقة تنعزل وتقف لتتفرج

على نفسها . كانت تتجاوز من كل جهة الاغصان والفروع . كانت تدوم حول هذه الايدى الجافة تغمرها بالاعاصير الصغيرة الحركة هى بكل تأكيد شىء يختلف عن الشجرة . لكنها كانت اطراف الاغصان تزخر

بالكيونات كيونات تتجدد بلا انقطاع ولا تولد ابدا . كانت الريح الكائنة تأتى فتحت على الشجرة كذبابة ضخمة . كانت الشجرة ترتعش لكن الرعشة لم تكن صفة مخلوذة انتقالا من القوة الى الفعل انما كانت شيئا

كان شىء – رعشة ينصب في الشجرة فيستولى عليها ويهزها ثم فجأة يتركها ويمضى بعيدا دائرا على نفسه كان كل شىء ممثلنا كلى شىء ناشطا لم يكن ثمة وقت ضعيف كلشىء .

حتى اكثر الانتفاضات خفاء كان مصنوعا من الكيونونة وجميع تلك الكائنات التى كانت منهمة حول الشجرة لم تكن قادمة من اى مكان ولا ذاهبة الى اى مكان كانت توجد فجأة وبعد ذلك تكف فجأة عن ان

توجد : الكيونونة لا ذاكرة لها فهى لاتحتفظ بشىء يخص الزائلين حتى ولا بذكرى الكيونونة في كل مكان الى ما لاحد زائدة على اللازوم دائما وفي كل مكان الكيونونة التى لا يحدثها ابدا غير الكيونونة . استسلمت وأنا على

المقعد طائشا منكنا بهذا التدفق لكائنات لا اصل لها : في كل مكان تفجرات وتفتحات كانت اذناى تطان بالكيونونة ولحمى نفسه كان يخفق ويتفتح ويستسلم للتبرعم الكونى كان ذلك يدعو للنفور .

وفكرة : " لكن لم هذه الكيونونات كلها مادامت جميعا متشابهة؟" ماجدوى هذه الاشجار المتماثلة

كلها ؟ ماجدوى هذه الكيونونات الناقصة والمستعادة بعناد ثم الناقصة من جديد – كالجهود المرتبكة التى تبذلها حسرة قد وقعت على ظهرها ؟ (كنت احد هذه الجهود) . هذه الغزارة لم تكن تخلف نتيجة السخاء

على العكس كانت كئيبة معوزة مرتكبة بنفسها تلك الاشجار تلك الاجسام الكبيرة الخرقاء ... أخذت اضحك لأنى كنت افكر فجأة في الربيع العظيم الذى كان يوصف في الكتب مليئا بالتفجرات والتفتحات العملاقة كان

ثمّة حمقى بأتون ليحدثوك بطيب خاطر عن القوة والصراع من اجل الحياة . أترأهم لم ينظروا قط الى حيوان ا والى شجرة ان شجرة الدنب هذه مع صفائحها المصابة بداء الثعلب وشجرة السنديان هذه التى

تعفنت نصف تعفن ودوا ان يحملوني على الاقتناع بأنهما قوتان فتيان خشتان تتدفقان نحو السماء وهذا

الجزر ؟ كان واجبا على بلا شك ان امثله مخلبا شرها يمزق الارض وينتزع منها غذاءها ؟

كان مستحيلا ان ارى الاشياء على هذا الشكل انها على الاصح الوان من الرخاوة والضعف

كانت الاشجار تعوم تدفق نحو السماء ؟ الاصح ان سقوط كنت اتوقع في كل لحظة ان ارى الجذوع تتجدد كقضبان متعبة وتتجمع لتسقط على الارض كومة طرية سوداء ذاب تثنيات . " لم تكن راغبة " في ان توجد غير انها لم تكن تستطيع الامتناع عن ذلك هذا كل ما في الامر .

اذن فقد كانت كلها تعد مطبخها على مهل في غير ما اندفاع كان النسغ يصعد متمهلا في العروق على مضض وكانت الجذور تنغرس على مهل في الارض .

ولكنها كانت تبدو في كل لحظة على وشك ان تترك كل شيء هناك وتتلاشى . كانت تستمر في

الكيونى متعبة معمرة في كثير من الاستياء لنها بكل بساطة كانت اضعف من ان تموت لن الموت لم يكن

يستطيع ان يأتيها الا من الخارج : ولم يكن ثمة غير الالحان الموسيقية لتحمل بزهو موتها في ذاتها

كضرورة داخلية غير انها لم تكن كائنة ان كل موجود يولد بلا سبب ويستمر بدافع الضعف ويموت بالاتفاق

وتداعيت الى الخلف واسبلت جفنى لكن الصور مالبثت وقد اندرت ان وثبت فأقبلت تملأ عيني المغلقتين

بالكينونات : ان الكينونة امتلاء لا يستطيع الانسان ان يتركها .

ويالها من صور غريبة ! كانت تمثل طائفة من الاشياء . لا الاشياء الحقيقية وانما اشياء اخرى

تشابها . اشياء من خشب كانت تشبه كراسى وبقايب واشياء اخرى كانت تشبه نباتات ثم وجهان : كانا

الشاب والشابة اللذين تناولا الغذاء بقربى يوم الاحد الماضى في مطعم فيزاليز . يمينان حاران شهوانيان

عبيان بأذان حمراء . كنت ارى كتفى المرأة وصدرها كينونة عارية . أن هذين الاثنين – وذلك ما يذعرنى

فجأة – كانا مستمرين في الوجود في جهه ما من بوفيل في مكان ما – وسط ايه روائح ؟ - هذا الصدر

العذب كان مايزال تحتك بأقمشة رطبة ويقبع في المخرمات كانت المرأة ما تزال تشعر بصدرها كائنا في

ثوبها وكانت تفكر : " نهى ثمرتاى الجميلتان " وتبتسم بسمة سرية متنبهه الى تفتح نهديها اللذين كان يدغدانها ثم صرخت وألفيتنى مفتوح العينين على سعتهما .

اترانى قد حلمت به هذا الحضور الهائل ؟ كان هنا مائلا في الحديقة متدرجا في الشجر رخوا برمته مصمغا كل شىء كثيفا كله كأنه الفاكهة المرببة .كنت أنا في داخله مع الحديقة كلها ؟ كنت خائفا .لكنى كنت خصوصا غاضبا كنت اجد ذلك على غاية البلادة والنفور وكنت اكره هذا الخليط المزعج كان ثمة خليط كان ثمة خليط " كان يصعد نحو السماء ويمضى في كل اتجاه ويملا كل شىء بسقوطة المدبق .كنت ارى منه اعماقا واعماقا ابعد جدا من حدود الحديقة ومن البيوت ومن بوفيل لم اكن بعد في بوفيل ولا في اى مكان كنت عائما .لم اكن مندهشا كنت اعلم جيدا انه " العالم " " العالم " العارى الذى يظهر فجأة . كنت اختنق غضبا من هذا الكائن العبثى الضخم لم يكن بإمكان المرء حتى ان يتساءل من اين كان ذلك كله خارجا ولا كيف تم ان وجد عالم ولم يوجد لاشىء لم يكن لذلك اى معنى .

كان العالم حاضرا في كل مكان امام ووراء . لم يكن ثمة شىء " قبلة " على الاطلاق .لم تكن ثمة لحظة لم يكن يستطيع فيها الا يوجد . كان هذا ه مايعظنى حقا : اكيد انه لم يكن ثمة " أى سبب " لكى توجد تلك الدودة السائلة " ولكن لم يكن ممكنا " الا توجد كان ذلك ممتعا على التفكير : فلكى يتخيل المرء العدم فيجب ان يكون قد سبقه الى الوجود هناك في صميم العالم مفتوح العينين على سعتهما وحيا ان العدم لم يكن الا فكرة في رأسى فكرة موجودة عائمة في هذا المدى الشاسع : هذا العدم لم يكن قد جاء " قبل " الوجود كان وجودا كأى وجود آخر وكان قد ظهر قبل كثير من الكينونات الاخرى.

وصحت : " ايه قدرة ! اية قذارة ! " انتفضت لأتخلص من هذه القذارة المدبقة لكنها كانت تقاوم بشدة والى مالانهاية له : كنت اختنق في جوف هذا السأم الهائل ثم فرغت الحديقة فجأة كما لو انها سقطت في ثقب كبير اختفى العالم على النحو الذى جاء فيه او اننى استيقظت – اننى على اى حال لم اره بعد كان باقيا تراب اصفر حولى كانت تخرج منه اغصان ميتة متصببة في الهواء .

نهضت فخرجت واذ وصلت الحاجز التفت فابتسمت لى الحديقة آنذاك .استندت الى الحاجز ونظرت طويلا . كانت بسمة الأشجار وكتلة الغار "تعنى " شيئا ما كان هذا سر الكينونة الحقيقي تذكرت انى منذ ثلاثة اسابيع وكان اليوم يوم احد كنت قد التقطت على الاشياء نوعا من الهيئة المتواظئة . اترها كانت تتوجه الى انا ؟ كنت اشعر في ملل بأنى لم اكن املك اى وسيلة للفهم . اى وسيلة ومع ذلك فقد كان هناك في الانتظار كان يشبه نظرا كان هناك على جذع شجرة الكستناء ... كان هو شجرة الكستناء . لكأن الاشياء افكار تتوقف في الطريق تنسى نفسها تنسى ما كانت تريد ان تفكر فيه وتظل هكذا فضفاضة مع معنى عجيب صغير يتجاوزها . كان يزعجنى هذا المعنى الصغير " لم: " اكن استطيع " ان افهمه حتى ولو ظلمت سبعمائة سنة مستندا الى الحاجز كنت قد تعلمت عن الكينونة كل ما كان يوسعى ان اعرف وذهبت فدخلت الفندق وهكذا كتبت .

في الليل

اتخذت قرارى : ليس لى من مبرر بعد لأبقى في بوفيل مادمت قد انقطعت عن كتابة كتابى سأذهب للعيش في باريس سأستقل يوم الجمعة قطار الساعة الخامسة وسألتقى يوم السبت بأنى وأعتقد اننا سنقضى بضعة ايام معا . ثماعود الى هنا لأنهى بعض القضايا ولأحزم امتعتى وصناديقى . وفي اول مارس على ابعد تقدير سأكون نهائيا مقيما في باريس .

الجمعة

في مقهى " رانديفو دى سامينو " سينطلق قطارى بعد عشرين دقيقة الفونوغراف . شعور قوى بالمغامرة .

السبت

اقبلت أنى تفتح لى وهى ترتدى ثوبا طويلا اسود وبالطبع لم تمد لى يدها ولم تلق على التحية واحتفظت بيدي اليمنى في جيب سترتى .

قالت بلهجة عابسة سريعة لتتخلص من الشكليات :

- ادخل فاجلس حيث تشاء الا على الاريقة قرب النافذة .

انها هي هي تماما تركت ذراعيها تتدليان وكانت على وجهها شراسة كانت تضى عليها في الماضى هيئة طفلة تعاني سن العقوق .لكنها الان لا تشبه بعد طفلة انها سمينة ولها صدر كبير .

أغلقت الباب وقالت لنفسها بلهجة تأملية :

- لا ادري ان كنت سأجلس على السرير

اخيرا تداعت للسقوط على صندوق مغطى بسجادة .كانت مشيتها متغيرة : كانت تنتقل بثقل وأبهة في شىء من الرشاقة .وهى تبدو مرتبكة ببدانتها الفتية .ومع ذلك وبالرغم من كل شىء فانها هي نفسها .

انفجرت أنى ضاحكة :

- لماذا تضحكين ؟

فلم تجب على التو كما هو شأنها دائما واتخذت هيئة المماحكة .

- قولى لماذا ؟

- لسبب هذه البسمة العريضة التى تنصبها منذ دخولك . انك تشبهابا قد انتهى من تزويج ابنته . هيا لا تبق واقفا . ضع معطفك واجلس . نعم هنا اذا شئت .

تبع ذلك صمت لم تحاول أنى ان تقطعة . ماثد عرى هذه الغرفة ! في الماضى كانت أنى تحمل في سفرها حقيبة كبيرة ملأى بالشالات والشرائط والخمارات الاسبانية والأقنعة اليابانية وصور أبينال .

كانت ما تكاد تنزل فندقا - حتى ولو لم تنوى ان تبقى فيه اكثر من ليلة واحدة - حتى يكون

همها الو لان تفتح هذا الحقيبة وأن تخرج منها كل ثرواتها التي كانت تعلقها على الجدران وتدليها من المصاييح وتبسطها على الطاومات او علي الارض وفق نظام متغير ومعقد وفي اقل من نصف ساعة ، كانت أتفه غرفة ترتدي لباس شخصية ثقيلة وشهوانية ، لا هوادة فيها ربما كانت الحقيقة قد ضاعت أو بقيت في الاستيداع ٠٠٠ هذه الغرفة الباردة ببابها الذي يفتح علي غرفة التواليت عن شئ كئيب انها تشبة ، بأفخر ما فيها واحزنه ، غربي في بوفيل •

ظلت اني تضحك اعرف جيدا هذه الضحكة العالية المخنة •

- انك لم تتغير ما الذي تبحث عنه بهذه الهيئة المذعورة ؟

ابتسمت ، لكن نظرتها حدقت في بفضول يكاد يكون عدائيا

- كنت افكر فقط ان هذه الغرفة لا تبدو مسكونة من قبلك •

فاجابت بلهجة غامضة:

- حقا ؟

صمت جديد • انها الان جالسة علي السرير ، شديدة الامتقاع في ثوبها الاسود • لم تقص شعرها

ظلت تنظر الي ، بهيئة ساكنة ، وهي ترفع حاجبيها قليلا تري أليس لديها اذا ما تقوله لي ؟ لماذا حملتي علي

المجئ ! هذا الصمت لا يحتمل

قلت فجأة بلهجة مثيرة نثر الشفقة :

- اني مسرور لرؤيتك

اخذتت الكلمة الاخيرة في حلقي كان خيرا لي ان اصمت علي اجد هذا الذي قلته فقط سوف

تغضب بلا شك كنت افكر بان ربع الساعة الاولي سيكون حقا شاقا في الماضي حين كنت التقي ثانية بانني

حتى ولو بعد غياب اربع وعشرين ساعة حتي لو في اليوم التالي للقاء مسائي لم أكن قط احسن العثور علي الكلمات التي كانت تنتظرها ن تلك التي كانت تناسب ثوبها ، او الوقت ، او الكلمات الاخيرة التي تبادلناها في اللقاء السابق ولكن ما الذي تريده ؟ اني لا استطيع ان احزره .

رفعت عيني من جديد . كانت اني تنظر الي في شئ من الحنو .

- انك اذن لم تتغير على الاطلاق ؟ انك ما تزال على حمقك ؟

كان وجهها يعبر عن الرضى . ولكن كم كانت تبدو متعبة

قالت : - انك نصب نصب علي حافة طريق انك تشرح بلا اضطراب وستشرح ، بلا اضطراب

وستشرح طوال حياتك ان [مولان] تقع علي بعد سبعة وعشرين كيلومترا وان مونتارجيس علي بعد اثنين واربعين من اجل هذا انا شديدة الحاجة اليك

- بحاجة الي ؟ انت بحاجة الي في اثناء هذه الاعوام الاربعة التي لم ارك فيها ؟ انك اذن كنت متحفظة تحفظا جميلا !

تكلمت وانا ابتسم : بوسعها ان تعتقد اني اكن لها ضغينة واحس بهذه البسمة المزيفة علي فمي فيستولي علي الانزعاج .

- ما احمقك ! طبعا لست بحاجة الي ان اراك اذا كان هذا ما تقصده انت تعلم ان ليس فيك ما يبهج النظر بصورة خاصة اني بحاجة الي ان توجد زالي ات تتغير انك شبيهة بهذا [المتر] من البلاتين الذي يحفظونه في مكان ما بباريس او في الضواحي وانا لا اعتقد ان ثمة من رغب يوما في رؤيته .

- وهذا ما يخدعك .

- هذا لدي اني مسرورة ان اعلم انه موجود وانه يساوي تماما جزاء من عشرة ملايين من ربع الكرة

الارضية وانا افكر فيه كلما اخذت القياسات في منزل او كلما بيع لي قماش بالمتر .

قلت ببرود : - حقا ؟

- لكنك تعلم ان بوسعي ألا افكر بك الا كفضيلة مجردة كنوع من الحد فتستطيع ان تشكرني علي اني أتذكر وجهك كل مرة •

ها هي ذي تعود تلك المناقشات الاسكندرانية التي كان علي ان اشارك فيها في الماضي حين كانت تراودني رغبات بسيطة وتافهة كأن أقول لها اني منت احبها ا وان اخذها بن ذراعي اما اليوم فليست لدي ايه رغبة ربما باستثناء الرغبة في ان اصمت وان انظر اليها وان اتحقق في الصمت من اهمية هذا الحدث العظيم : حضور اني تجاهي وفي نظرها أكون هذا اليوم شبيها بالايام الاخرى ؟ ان يديها هي لا ترتجفان كان لا بد ان لديها ما تقوله لي يوم كتبت لي - او لعل ذلك كان بكل بساطة هوي من اهوائها اما الان فقد اضحي الامر منذ زمن بعيد غير وارد •

ابتسمت لي اني فجأة بحنو شديد الوضوح حتي ان الدمع سعد الي عيني

- فكرت بك اكثر جدا مما فكرت بتمر البلاطين لم ينقض يوم من غير ان افكر فيك كنت بصورة رقيقة حتي ادني تفاصيل شخصك •

نهضت وأقبلت تضع يديها علي كنفي :

- هل تجرؤ علي القول انك كنت تتذكر وجهي انت الذي تشكو ؟

قلت: - هذا خبث فانت تعلمين جيدا ان لي ذاكرة ضعيفة

- انت تعترف بذلك : نسيتي تماما اتراك كنت عرفنتي لو التقيتني في الشارع ؟

- طبعا فليست هذه هي القضية

- أكنت تتذكر لون شعري مثلا ؟

- نعم انه اشقر

- انت تقول هذا مزهوا انك لا تملك كثيرا من الكفاءة ما دمت الان تراه •

كنست شعري بضربة من يدها ثم قالت وهي تقلدني :

- وانت ان شعرك احمر لن انسي ابا اني حين رأيتك للمرة الاولى كانت لك قبعة رخوة تنزع الي اللون البنفسجي وتتنافي بصورة قاسية مع شعرك الاحمر كان النظر الي هذا المشهد شاقا اين قيعتك ؟ اريد ا

ن اري اذا كنت ما تزال ردئ الذوق •

- اني لا اضع بعد قبعة

فصرت صفرة خفيفة وهي توسع عينيها :

- انك لم تتخذ هذا القرار بمفردك ! بلي ؟ اذن أهنتك طبعاً لكن كان ينبغي التفكير في ذلك. هذا الشعر لا

يتحمل شيئاً فهو يتناقض مع القبعات ومع وسائد الارائك حتي مع سجاد الجدران الذي يشبه خلفيته او انه

لابد من ان تغرز القبعة حتي اذنيك كما كنت تفعل بتلك القبعة الانكليزية من اللباد التي اشتريتها من لندن

كنت تدخل خصلتك تحتها فلا يدري المرء اذا كان رأسك ما يزال يحتفظ بشعره •

أضافت باللهجة الحاسمة التي تنهي بخا المنازعات القديمة :

- لم تكن تناسبك علي الاطلاق

لم أدر بعد ايه قبعة كانت تعني

- اتراني منت اقول انها كانت تناسبني ؟

- اعتقد جيدا انك كنت تقول في المرايا بل انك تكن تتحدث الا عن هذا وكنت تسرق النظر الي نفسك في

المرايا حين كنت تحسب اني لم اكن اراك هذه المعرفة للماضي ترهقني ان اني لا يبدو عليها انها تبتعث

ذكريات فلهجتها لا تملك النكهة الرقيقة البعيدة التي تناسب هذا النوع من الهم بل يبدو انها تتحدث عن اليوم

او عن الامس علي الاكثر لقد احتفظت بارائها وعنادها وحقدتها السابق اما بالنسبة لي فان كل شئ قد غرق علي العكس في ضباب شعري انني مستعد لجميع التنازلات .

قالت لي فجأة بصوت لا لحن له :

- انت تري اني قد سممت وشخت فيجب ان اعنتي بنفسي نعم وكم تبدو متعبة ؟ وأردت ان اتكلم ولكنها سرعان ما أضافت :

- قمت بالتمثيل علي المسرح في لندن

- مع [كاندلر] ؟

- لا ليس مع كاندلر انني هنا قصدك تماما فقد حشوت رأسك بفكرة اني سأتعاطي التمثيل مع كاندلر كم مرة ينبغي ان اقول ل كان كاندلر قائد فرقة موسيقية ؟ لا وانما في مسرح صغير اسمه [سوفوسكووار] وقد مثلنا [الامبراطور جونس] ومسرحيات لسين او كازي ولسانج وبريتانيكوس

فقلت بدهشة : بريتانيكوس ؟

- نعم بريتانيكوس ومن اجل هذا تركت فاننا التي اعطيتهم فكرة تمثيل بريتانيكوس وقد ارادوا ان يسندوا الي دور [جونى]

- صحيح ؟

- وبالطبع لم اكن استطيع ان امثل الا دور أغريبين

- والان ماذا تفعلين ؟

أخطأت في طرح هذا السؤال فقد انسحبت الحياة كلها من وجهها ومع ذلك فقد اجابت علي الفور :

- لقد انقطعت عن التمثيل . . اني ساسافر وهناك شخص ينفق علي وابتسمت :

- اوه ! لا تنتظر الي بهذا الاشفاق فليست القضية فاجعة قلت لك مرارا انه لا مانع لدي من ان ينفق علي ثم

انه شخص مسن قهو غير مزعج •

- أهو انجليزي ؟

فقلت في ضيق : لكن ما عسي ذلك ان يهكم ؟ اننا لن نتحدث عن هذا الشخص فهو لا اهمية له علي

الاطلاق لا بالنسبة لك ولا بالنسبة لي هل تريد فنجان شاي ؟

دخلت غرفة التواليت وسمعتها تروح وتجي فتحرك اواني وتتحدث مع نفسها : تتممة ثابتة لا

يفهم منها شئ وكان علي طاولتها الليلة بالقرب من سريرها كما هي العادة دائما جزء من [تاريخ فرنسا]

لميشليه واري الان انها قد علقت فوق السرير صورة واحدة هي نسخة من وجه اميلي بروني مرسومة

بريشة اخيها •

عادت اني فقلت لي فجأة :

- والان يجب ان تحدثني عنك

ثم اخفت من جديد في غرفة التواليت وبالرغم من رداءة ذاكرتي فاني اذكر هذا : كانت تطرح

علي بعض هذه الاسئلة المباشرة التي كانت تزعجني جدا لانني كنت احس فيها في الوقت نفسه اهتماما

صادقا ورغبة في انهاء الامر بأقصي سرعة ومهما يكن فقد كانت بعد هذا السؤال تريد مني شيئا دون ما

شك والان ليست هذه الا مقدمات : التخلص مما قد يضايق والانتهاء من القضايا الثانوية : [والان يجب ان

تحدثني عنك] انها عما قليل ستحدثني عن نفسها وزالت عني بالتواية رغبة في أن أروي لها شيئا ما جدوي

ذلك ؟ [العثيان] الخوف الكينونة ••• الأفضل ان ابقى ذلك كله لي •

صاحت عبر الباب :

- هيا عجل في الكلام

عادت تحمل ابريق شاي

- ماذا تفعل؟ هل انت ساكن في باريس؟

اني ساكن في بوفيل

- في بوفيل؟ ولماذا؟ وانك لم تتزوج علي ما أرجو؟

قلت منتفضا : اتزوج

قلت لها يلذني ان تكون اني فكرت في ذلك

- هذا عبث هذا يمت الي التخيلات الطبيعية التي كنت تاخذينها علي في السابق تذكرين جين كنت اتصورك

ارملة واما لولدين وجميع تلك القصص التي كنت ارويه لك عما سوف نصبحه كنت تحتقرين ذلك .

فأجابت من غير ان تضطرب :

- وانت كنت تلتذ بذلك كنت تتحدث عنه لتظهر قويا والحق انك تغطاظ هكذا في الحديث ولكنك اجن من ان

تتزوج يوما .

لقد احتججت طوال عام في غيظ شديد رافضا ان نذهب لمشاهدة (بنفسخ امبراطوري) ثم حدث ان

مرضت يوما فذهب وحدك تشاهد الفيلم في دار صغيرة من دور الحي السينمائية .

قلت في رصانة :

- اني مقيم في بوفيل الانني اضع كتابا عن السيد دورولبون

فنظرت الي اني باهتمام :

- السيد دورولبون؟ كان يعيش في القرن الثامن عشر؟

- نعم

- ها ! ها !

اذا طرحتم علي سؤالاً اخر فاني سأروي لها كل شئ ولكنها لم تسألني شيئاً كانت تحكم من

الظاهر بأنها تعرف عني ما هو حسبها ان اني تحسن الاصغاء جيدا ولكن حين تريد فقط ونظرت اليها :

أسبلت جفنيها انها تفكر بما ستقوله لي وبالطريقة التي تبدأ بها اينبغي لي ان اسالها بدوري ؟ لا احسب انها

حريصة علي ذلك ستتكلم حين تري ذلك مناسباً

وحقق قلبي خفقا شديدا حين قالت :

- اما انا فقد تغيرت

تلك هي البداية ولكنها صمتت الان • وجعلت تصب الشاي في فناجين من البورسلين ابيض

وانتظرت ان اتكلم : يجب ان افول شيئاً لا اي شئ وانما ما تنتظره انني اتعذب اهي قد تغيرت حقاً ؟ لقد

سمنت والتعب بيده عليها : ولكن ليس هذا بالتأكيد ما تقصد اليه

- ادري لا اري انك تغيرت لقد وجدت ضحكك ثانية وطريقتك في النهوض وفي وضع يديك علي كتفي

وهوسك بأن تحدثني نفسك انك ما زلت تقرئين تاريخ ميشيله ثم ركام اخر من الاشياء •••

ذلك الاهتمام العميق الذي تكنه لجدوهري الخالد والامبالاتها الكلية بجميع ما يمكن ان يحدث لي

في الحياة - ثم هذا التصنع الغريب المتحذلق والفتن في وقت واحد - ثم تلك الطريقة بحذف جميع الصيغ

الالية للتأدب والصدافة جميع ما يسهل علاقات البشر فما بينهم واجبار محدثها علي القيام باختراع ابدي

رفعت كتفيها وقالت بجفاء :

- بلي تغيرت لقد تغيرت كلياً فأنا لست بعد الشخص نفسه كنت اظن انك ستلاحظ ذلك من النظرة الاولى

وها انت تأتي لتحديثني عن تاريخ ميشيله

قبلت تنزرع امامي :

- سنري اذا كان هذا الرجل قويا الي الحد الذي يزعم ابحت : في اي شئ قد تغيرت ؟

فترددت وطرقت بقدميها الارض ما تزال بايمة ولكنها منزعة بوضوح

- كان شئ ما في الماضي يعذبك او انك كنت تزعم ذلك علي الاقل والآن انتهى هذا اختفي ولا بد انك قد لاحظت ذلك اتراك لا تحس بعد بالرضي ؟

فلم أجرو ان اجيبها بالنفي : فأنا علي عادتي في الماضي جالس باطراف فخذي علي مقعدي مهتم بتجنب الفخاخ وبتفادي ألوان من الغضب لا تشرح كانت قد عادت للجلوس فقالت وهي تهز راسها باقتناع :

- اذا كنت لا تفهم فهذا يعني انك قد نسيت كثيرا من الاشياء اكثر مما كنت اظن اتراك لا تذكر بعد مساوئك الماضية ؟ كنت تاتي وكنت تتحدث وكنت تذهب : كل ذلك في غير أوانه تصور ان شيئا ما لم يتغير : تدخل فتجد اقنعة وشالات علي الجدار وتجدي جالسة علي السرير وتسمعي اقول لك (ورمت راسها الي خلف ومددت منخريها وتكلمت بصوت مسرحي كما لو انها تود ان تسخر من نفسها) : (ولكن ماذا انتظر ؟ اجلس !) وطبعا تجدي اتفادي بعناية ان اقول لك : الا علي الاريكة قرب النافذة •

- كنت تنصين لي شراكا

- لم تكن شراكا •• وطبعا ستذهب انت توا فتجلس عليها قلت وانا التفت متأملا الاريكة بفضول :

- وما الذي كان سيحدث لي ؟

كانت الاريكة ذات مظهر عادي يوحي بالدعة والراحة واجابت اني بايجاز :

- لا شئ الا الاذي

لم الح : احاطت اني نفسها دائما بأشياء محرمة •

قلت لها فجأة :

- اعتقد اني احزر شيئاً ولكن ذلك سيكون خارقاً انتظري دعيني ابحث : الواقع ان هذه الغرفة عارية تماماً ستعترفين لي بأنني لاحظت ذلك علي الفور حسناً اني اتمثلي داخلاً مشاهداً في الواقع هذه الاقنعة علي الجدران والشالات وذلك كله كان الفندق يتوقف دائماً عند بابك فقد كانت غرفتك شيئاً مختلفاً ٠٠ ولن ياتي لتفتحي لي الباب بل كنت سأراك جائمة في ركن وربما جالسة علي الارض فوق هذه السجادة الحمراء التي كنت تحملينها معك دائماً ناظرة الي بلا رحمة منتظرة ٠٠ وما أكاد انطق بكلمة او اتي بحركة او اتنفس حتي تاخذي بتقطيب حاجبيك فأحسنس مذنباً بعمق من غير ان اعرف السبب وساراكم بعد ذلك الخطاء والحماقات من دقيقة الي دقيقة واغرق في خطيئي ٠٠

- كم مرة حدث ذلك ؟

- مائة مرة

- علي الاقل ! فهل انت أبرع الان وأرهف حساً ؟

- لا !

- احب ان أسمعك تقولها واذن ظ

- اذن ليس بعد من ٠٠٠

فصاحت بصوت مسرحي

- ها ! ها ! انه لا يكاد يجرؤ علي تصديق ذلك !

استطردت علي مهل :

- حسناً ! بوسعك ان تصدقني ليس ثمة من هذه بعد

- ليس ثمة لحظات كاملة بعد ؟

- أجل

أصبت بالذعر فقلت ملحا :

- انك في اخر الأمر ٠٠٠ لقد انتهت هذه الماسي هذه الماسي المؤقتة التي كان للاقنعة والشالات وقطع

الإثاث ولي انا نفسي دور صغير فيها – وكان لك انت دور كبير ؟

فابتسمت :

- يا للعاق ! لقد اسندت اليه احيانا ادوارا اهم من دوري : ولكنه لم يلاحظ ذلك أجل انتهي هذا هل انت

مندهش ؟

- نعم انني مندهش ! كنت أحسب ان ذلك كان جزءا من نفسك وانه اذا انتزع منك فان ذلك سيكون شبيها

بانتراع قلبك

فقلت بلهجة من لا يأسف علي شئ :

- كنت احسب ذلك انا ايضا

أضافت بشئ من السخرية ترك في نفسي أثرا مزعجا :

- ولكنك تري ان بوسعي ان أعيش بلا هذا

شبكت أصبعها محتفظة باحدي ركبتيها بين يديها ونظرت في الفضاء وبسمة غامضة تعيد

الشباب الي وجهها كله كانت تشبة فتاة صغيرة سميحة غامضة وراضية •

- اجل اني مسرورة انك بقيت كما انت فلو نقلوا مكانك أو أعادوا رسمك أو ركزوك علي حافة طريق

اخرى لفقدت كل ثابت يوجهني اني لا أستغني عنك : فأنا أتغير اما انت فالمتفق عليه ان تظل غير قابل

للتغير وانا أقيس تغيراتي بالنسبة اليك •

أحسنتي منزعا بعض الشئ مع ذلك فقلن بحيوية :

- الحق ان هذا غير صحيح فأنا علي العكس تغيرت في هذه الايام وفي الحقيقة . . .

فقالنا باحتقار ساحق :

- اوه ! تغيرات فكرية ! اما انا فقد تغيرت حتي بياض عيني

حتي بياض عينيها . . . ما الذي تراه في صوتها قد زرع في الاضطراب ؟ علي كل حال قمت فجأة بقفزة
إفكفت عن البحث عن اناي مختفية ان هذه الفتاة هذه الفتاة السمينة ذات السحنة المهذمة هي التي تؤثر في
وأحبها .

- ان لي نوعا من اليقين . . . المادي فانا اشعر بان ليس ثمة لحظات كاملة . احس ذلك حتى في ساقني
، حين اسير . احسه طوال الوقت، وحتى حين أنام . انا لا أستطيع ان أنساه ولم يحدث قط اي شئ يشبه كشفا
فأنا لا أستطيع أن أقول : ابتداء من هذا اليوم او من تلك الساعة تغيرت حياتي اما الان فأنا في وضع أحسب
ان ذلك قد كشف لي فيه فجأة ليلة أمس اناي مبهورة منزعة غير معتادة

قالنا هذه اللكمات بصوت هادئ مازال فيه ظل من التباهي بأن تكون قد تغيرت الي هذا الحد
كانت تتأرجح علي صندوقها برشاقة فائق للم يحدث منذ ذلك ان أشبهت هذا الشله كله [اناي] الماضية
ساكنة مارسيليا لقد استعادتني وغرقت ثانية في عالمها العجيب فيما وراء المضحك والحذقة والتصنيع بل
اناي قد استعدت تلك الحمي الصغيرة التي كانت تثيرني دائما في حضورها وذلك المذاق لم في جوف فمي
حلت اناي يديها وتركت ركبته ولزمت الصمت انه صمت مدبر كما يحدث في الاوبرا حين يبقي المسرح
فارغا بينما تتصاعد سبعة الحان من الجواقة انها تشرب شايبها ثم تضع فنجائها وتظل متصلبة وهي تعتمد
بيدها المغلقتين علي وجهها تلك السحنة الميوزية الرائعة التي كنت ابجها كثيرا والتي كانت تفيض حقا
وتوترا وسما ان اناي لا تغير تعبرها قط وهي تغير وجهها كما كان الممثلون القدامي يغيرون أفتعتهم : فجاء
ويكون كل قناع من هذه القنعة مرصودا لخلق الجو وأعطاء اللهجة لما سوف يلي انه يظهر من غير ان
يتغير فيما هي تتكلم ثم يسقط وينفصل عنها .

تحقق في من غير ان تراني انها تهتم بالكلام وانتظر خطابا مأساويا مرتفعا الي مستوي قناعها لحنا جنائزيا

• لكنها لم تقل الا كلمة واحدة

- اني أحيا رغم فقدان حواسي

لم تكن اللهجة متناسبة قط مع تعبير الوجه انها ليست مأساوية انها ••• فظيعة : فهي تعبر عن يأس جاف

بلا دموع ولا شفقة أجل كان فيها شئ قد جف دون ما سبيل الي معالجته •

سقط القناع وابتسمت :

- انا لست حزينة علي الاطلاق وقد سبق ان دهشت لذلك مرارا لكني كنت علي خطأ : لماذا أكون حزينة؟

كنت جديرة في الماضي بعواطف عنيفة جميلة لقد كرهت امي بهوس •••

ثم أضافت بتحد :

- وانت بالذات احببتك بهوس

وانتظرت جوابا فلم أقل شيئا

- كل ذلك قد انتهى طبعاً

- كيف يمكنك ان تعرفي ذلك ؟

- أعرفه : أعرف انني لن ألتقي بعد شيئا ولا أحدا يوحي لي عاطفة مهوسوسوسة أنت تعلم انها عملية ان يأخذ

المرء في محبة أحد يجب ان تتوفر له الطاقة والاقبال السمع والهوس الاعمي ••• بل ان هناك لحظة في

أول الامر ينبغي له فيها ان يقفز من فوق هوة : فاذا فكر لم يفعل وانا أعلم انني لن أقفز بعد أبدا

- لماذا ؟

فرمتني بنظرة ساخرة ولم تجب ثم قالت :

- انني الان أعيش محاطة بعواطفى الميته وأحاول أن أجد مرة اخري ذلك الغضب الرائع الذي حلمني علي
القاء نفسي من الطالق الثالث حين كنت في الثانية عشرة يوم صفعتني امي بالسوط
أضافت من غير صلة ظاهرة وبلهجة بعيدة :

- ليس مستحسننا كذلك ان أحقق طويلا في الأشياء انني أنظر اليها لأعرف هويتها ثم يجب أن أصرف عنها
بصري بسرعة

- لكن لماذا ؟

- انها تثير اشمئزازي

عجبا الا يشبه هذا ؟ ٠٠٠ هناك بالتأكيد وجوه شبه علي أي حال سبق ان حدث مثل هذا مرة
في لندن اذ فكرنا التفكير نفسه بصورة منفصلة بشأن بعض الموضوعات في اللحظة نفسها تقريبا أود كثيرا
لو ٠٠٠ لكن التفكير بأن اني تقوم باللف والدوران ٠٠٠ المرء لا يثق قط بأنه فهمها تماما فيجب ان أكون
علي يقين من ذلك

- اسمعي أود أن أقول لك : انت تعلمين اني لم اعرف قط ما عساها تكون اللحظات الكاملة فأنت لم تشرحيها
لي قط

- نعم أعرف انك لم تكن تبذل أي جهد كنت تنتصب وتدا بالقرب مني

- يا للأسف ! أعرف ما كلفني هذا

- استحققت تماما كل ما حدث لك كنت مذنبا كبيرا كنت تزعجني بهيئتك كنت تبدو وكأنك تقول : انني انا
طبيعي كنت تجتهد في تنفس الصحة كنت تقطر صحة معنوية

- غير اني طلبت منك اكثر من مائة مرة ان تشرحي لي ما هو ٠٠ فقالت غاضبة :

- صحيح ولكن بأية لهجة ! كنت تتنازل للاستفهام هذه هي الحقيقة كنت تطلب هذا بود شرود كالسيدات

العاجز اللواتي كن يسألني بم كنت ألعب حين كنت صغيرة وأضافت بلهجة حالمة :

- أنا أتساءل في الحقيقة عما اذا لم تكن انت من كرهت اكبر الكره وبذلت جهدا ضد نفسها ثم استدركت

وابتسمت مازال خذاها ملتبهين انها جميلة جدا

- اريد ان اشرح لك ذلك لقد شخت الان بما فيه الكافية لأتحدث بلا غضب الي العاجز الطبيات مثلك عن

ألعاب طفولتي هيا تلکم ما الذي تريد ان تعرف ؟

- ما كانت اللحظات الكاملة

- لقد حدثتك طويلا عن الأوضاع ذات الامتياز

- لا اعتقد ذلك

قالت بتأكيد : - بلي حدث ذلك في [اكس] في تلك الساحة التي لا أذكر بعد اسمها كنا في حديقة مقهي تخت

شمس ساطعة تحت مظلات برتقالية انك لا تذكر : كنا نشرب عصير الليمون وقد وجدت ذبابا ميتا في

السكر المسحوق

- اه نعم ربما ٠٠٠

- حدثتك عن هذا في ذلك المقهي حدثتك عنه بصدد الطبيعة الكبيرة [تاريخ] ميشليه تلك التي كنت أملكها

وانا صغيرة كانت أكبر جدامن هذه الطبعة وكان لورقها لون كاب كلون قلب الفطر كانت لها رائحة الفطر

ايضا بعد أبي وضع عمي جوزيف يده عليها وأخذ جميع المجلدات وفي ذلك اليوم دعوته خنزيرا كبيرا

فضربتي امي بالسوط وكان ان قفزت من النافذة

- نعم نعم ٠٠٠ لا بد انك حدثتي عن تاريخ فرنسا هذا الم تكوني تقرأينه في عليه للحبوب ؟ اني انتذكر كما

ترين وترين انك كنت ظالمة منذ لحظات حين كنت تتهميني بأني نسيت كل شئ

- اسكت كنت أحمل كما تذكرت ذلك جيدا هذه الكتب الضخمة الي العلية كانت الصور فيها قليلة جدا ثلاث صور او اربع في كل جزء لكن كلا منها كان يحتل وحده صفحة بكاملها صفحة كان قفاها أبيض وكان هذا يخلف في نفسي أثرا كبيرا لا سيما وان النص كان قد وضع في الاوراق الاخري علي عمودين كسبا للمجال كنت أكن لهذه الصور حبا فائقا كنت أعرفها كلها عن ظهر قلب وحين كنت اعيد قراءة كتاب لميشليه كنت أنتظرها خمسين صفحة مسبقا وكان يبدو لي معجزة دائما ان اثر عليها من جديد ثم انها كانت تتطوي علي سر دقيق : لم يكن المشهد الذي تمثله قط بنص الصفحات المجاورة وانما كان ينبغي البحث عن الحادث علي بعد ثلاثين صفحة

- ابتهل اليك حدثيني عن اللحظات الكاملة

- اني احديثك عن الأوضاع ذات الامتياز كانت هي تلك الماثلة علي الصور وانا التي كنت اسميها ذات الامتياز اذ كنت اقول لنفسي انها لابد ان تكون ذات اهمية كبيرة حتي وافقوا علي ان يجعلوها موضوع هذه الصور النادرة اختاروها بين جميع الصور ومع ذلك كان ثمة كثير من القصص تحمل قيمة اكبر واخري تحمل أهمية تاريخية اكبر فمثلا كان ثمة ثلاث صور فقط تمت الي القرن السادس عشر كله : احداها تمثل موت هنري الثاني والاخري مقتل الدوق دوجيز والثالثة دخول هنري الرابع الي باريس اذ ذلك تصورت انه كان لهذه الحداث طبيعة خاصة ولحق ان الصور كانت تدعمني في هذه الفكرة : كان الرسم فيها فجا لم تكن الاذرعة والسيقان معلقة تعليقا محكما بالجدوع لكن الصور كانت ملأى بالعظمة ففي صورة مقتل الدوق دوجيز مثلا نري المشاهدين يعبرون عن ذهولهم وغيظهم بمد جميع الأيدي الي الامام وبصرف الرؤوس جانبا هذا جميل جدا وكأنه كورس ولا تظن ان التفاصيل الفكاهية او الفذلكية منسية فاننا نري الصفحات تسقط علي الأرض وكلابا صغيرة تهرب ، ومهرجين جالسين على درجات العرش . لن جميع هذه التفاصيل معالجة بروح من العظمة والارتباك تجعلها منسجمة انسجاما كاملامع باقي الصورة: ولا احسب اني التقيت لوحات تتمثل فيها هذه الوحدة الدقيقة . اجل . ان هذا هو مصدرها .

- الاوضاع ذات الامتياز؟

- الفكرة التي كنت اكونها عنها • كانت اوضاعا ذات صفة نادرة وثمانية ،ذات اسلوب اذا صح التعبير •
فان يكون المرء ملكا،مثلا، حين كنت في الثامنة من عمري،كان ذلك يبدو لي وضيعا ذا امتياز او ان يموت
انت تضحك لكن كان ثمة كثير من الاشخاص الذين رسموا ساعة موتهم وهناك كثيرون نطقوا بأقوال
عظيمة في تلك اللحظة اقوال كنت انا اصدقها بطيبة خاطر ••• أقصد اني كنت أفكر ان المرء حين يدخل
دور الاحتضار يحمل فوق نفسه والحق أنه يحسب المرء ان يكون في غرفة ميت : فما دام الموت وضعاً ذا
امتياز فان شيئاً ما كان ينبثق منه ويتصل بجميع الأشخاص الحاضرين نوع من العظمة حين مات ابي
أدخلوني الي غرفته لأشاهده للمرة الأخيرة كنت وانا اصعد السلم احس بشقاء كبير لكني كنت كذلك كأني
ثمة بلون من الفرحة الديني كنت ادخل أخيراً وضعاً ذا امتياز قد استندت الي الجدار وحاولت أن اقوم
بالحركات التي كانت تناسب المقام لكن كانت عمي وأمي راكعتين علي حافة السرير تفسدان كل شئ
بيكائهما

قالت هذه الكلمات الخيرة في أسي كما لو أن ذاكرها مازالت ملتبهة كفت ونظرها ثابت وجفناها مرتفعان
انها تنتهز الفرصة لتعيش المشهد مرة أخرى •

- وفيما بعد وسعت نطاق هذا كله : فأضفت لليه اولا وضعاً جديدا هو الحب (أقصد عمل صنع الحب)
عجبا اذا لم تفهم قط لماذا كنت ارفض بعش مطالبك فهذه فرص تمكنك الفهم : بالنسبة لي كان ثمة شئ يجب
انقاذه ثم قلت ان نفسي انه لا بد ان يكون هناك كثير من الاوضاع ذات الامتياز أستطيع ان أحصيها انتهي بي
الأمر الي اقرار عدد لا يحصي منها

- نعم لكن ماذا كانت حقا ؟

فقالته بدهشة : عجبا قلتها لك وقد انقضي ربع ساعة وأنا أشرحها •

- أقصد هل كان يجب خصوصا ان يكون الناس مهوسين جدا محمولين علي جناح الكراهية او الحب مثلا
ام انه كان يجب ان يكون المظهر الخارجي للحادث كبيرا أعني : ما يمكن ان يري منه •••

فأجابت في استياء :

- الأمران ٠٠٠ وهذا يتوقف

- واللحظات الكاملة ما شأنها هنا ؟

- انها تأتي بعد ذلك هناك اولا علامات مبشرة ثم يدخل الوضع ذو الامتياز دخولا بطيئا فخما في حياة

الاشخاص واذ ذاك يطرح سؤال معرفة ما اذا كان المراد ان يصنع من الوضع لحظة كاملة .

قلت : نعم فهمت ففي كل وضع من الأوضاع ذات الامتياز بعض أفعال يجب ان تنفذ ومواقف يجب ان تتخذ

وكلمات يجب ان تقال .

- هناك مواقف أخرى وكلمات أخرى ممنوعة أهذا هو التفسير ؟

- اذا شئت .

- الوضع بالاجمال شئ مادي : وهذا يتطلب المعالجة

قالت :- هو كذلك ينبغي للمرء اولا ان يغرق في شئ ما استثنائي وان يشعر انه يدخل فيه التنظيم فاذا

تحققت جميع هذه الشروط فان اللحظة تكون كاملة .

- كان ذلك بالاجمال نوعا من الأثر الفني .

فقلت في انزعاج :

- سبق لك ان قلت هذا كلا : بل كان ٠٠٠ واجبا كان ينبغي تحويل الأوضاع ذات الامتياز الي لحظات

كاملة كانت هذه قضية أخلاقية أجل تستطيع ان تضحك : اخلاقية .

لم أضحك علي الاطلاق وقلت لها بتلقائية :

- اسمعي سأعترف انا ايضا بأخطائي اني لم أفهمك قط فهما كاملا ولم أحاول قط باخلا صان أساعدك ولو

كنت قد عرفت ٠٠٠

فقالته متهمكة :

- شكرآ شكرآ امل ألا تنتظر عرفآنا منى لقاء هذه التوسرآت المتآخرة والحق آنى غير عآبة عليك فآنآ لم أشرح لك شينآ بوضوح كنت معقدة ولم أكن أستطيع أن أحدث فى ذلك أحد حتى ولا أنت – ولا سيما أنت كان ثمة شئ ما مزيف فى تلك اللحظآت لهذا كنت كآنى تآئهة غير أنه كان لدى آحسآس بآنى آفعل ما كنت أستطيعه

- لكن ما الذى كان ينبغى عمله ؟ آيه آفعال ؟

- ما أحمك ! لا يكمن إعطاء مثل فهذا يتوقف

- لكن آروى لى ما كنت تحآولين أن تفعله

- لا لست حريصة على التحدث فى ذلك لكن آذا شئت رويت لك قصة آثرت على كثيرآ حين كنت أذهب لى

المدرسة كان هنالك ملك قد خسر معركة وسقط أسرا كان هناك فى زآوية من معسكر المنتصر رآى ابنه وآبنته يمرآن مقيدين لم يبك ولم يقل شينآ ثم رآى آحد آدمه يمر مقيدا هو أيضا وآذا ذاك آخذئين ويشد شعره

: تستطيع أن تخترع أنت نفسك أمثآلا فآنت ترى : هناك آلآآت ينبغى للمرء ألا يبكى فيها – وآلا كان نذآلا

آما آذا ترك المرء حطبة تسقط على قدمه فهو يستطيع أن يفعل ما شاء أن يئن ويهدر ويبكى ويقفز على

القدم الآخري العمل الآحمق هو أن يكون المرء ثبت الجنان دآمآ : فآنه يستنفد قواه من آجل لا شئ

آبتسمت :

وآحيآنا آخري يجب أن يكون أكثر من ثبت الجنان أنت طبعآ لا تتذكر المرء الأوليآ التى قبلتك فيها ؟

فقلت بلهجة منتصرة :

- بلى آذكرها جيدا كان ذلك فى حدائق كيو على شآطئ التآيمز

- اما الذي لم تعرفه قط فهو اني كنت قد جلست علي قراص : كان ثوبي قد تشمر وكان فخذي ممتلئين بالغرز وانك لم تكن تثيرني علي الاطلاق لم أكن أشتهي شفتيك شهوة خاصة تلك القبلة التي كنت سأمنحك اياها كانت ذات اهمية اكبر كانت التزاما معاودة انك اذن تدرك ان ذلك الألم كان وقحا فانه لم يكن مسموحا لي ان افكر في فخذي في لحظة كهذه لم يكن كافيا أن اسخل ألمي : بل كان ينبغي ألا أتالم

نظرت الي بفخر ما تزال مندهشة بما فعلت :

- خلال اكثر من عشرين دقيقة بينما كنت تلح علي ان تنالها تلك القبلة التي كنت عازمة علي ان أمنحك اياها وطوال الوقت الذي حملتك فيه علي ان ترجوني أنه كان ينبغي أن أمنحك اياها وفق العرف – نجحت في ان أخدر نفسي كليا ومع ذلك فانه يعلم ان لي جلدا حساسا : انني لم أحس شيئا الي ان نهضنا هوذا هو ذا تماما ليس ثمة مغامرات – ليس لحظات كاملة ٠٠٠ فقدنا الأوهام نفسها وسلطنا الدروب نفسها وأنا أحرز الباقي – بل أستطيع ان أتكلم بدلا منها وأقول أن نفسي ما يبقي لها ان تقول :

- اذن أدركت ان هنالك دائما نساء يبكي ناو رجلا أحمر الشعر او اي شئ اخر يفسد تأثيراتك ؟

فقال من غير حماس ؟

- نعم بالطبع

- أليس الأمر كذلك ؟

- اوه ان حماقات رجل احمر الشعر ربما كان بإمكانني ان اخضع لها مع الزمن والحق اني كنت طيبة جيدا أن اهتم بالطريقة التي كان الاخرون يمثلون بها ادوارهم ٠٠٠ لا بل ٠٠٠

- بل انه ليس ثمة اوضاع ذات امتياز ؟

- هو ذلك كنت أظن ان الحقد او الحب او الموت كانت تهبط علينا كألسنة النار يوم الجمعة المقدس كنت اظن ان المرء يمكن ان يشع حقا او موتا أي خطأ كان هذا الظن ! اجل كنت افكر حقا بأن الحقد كان شيئا

موجودا واه كان يأتي ويحط علي الناس ويرفعهم فوق أنفسهم وبالطبع ليستمة الاي الاي من يحقد ومن يحب
وانا اني الشئ نفسه دائما عجيب يتمدد ويتمدد ٠٠٠ وهذا متشابه الي حد يجعل المرء يتساءل كيف خطر
للناس ان يخترعوا اسماء ويقوموا تمييزات انها تفكر مثلي ويخيل الي اني لم أتركها قط وقلت لها :

- اسمعي جيدا انني منذ فترة افكر في شئ يروق لي اكثر جدا من دور النصب الذي أسندته الي بسخاء : هو
اننا قد تغيرنا معا وبالطريقة نفسها وأنا أفضل هذا لوتعلمين علي ان أراك تبتعدين اكثر فأكثر وان يحكم
علي بأن أسجل الي الأبد نقطة انطلاقك ان كل ما رويته لي انما جئت لأرويه لك – بكلمات أخري هذا
صحيح اننا نلتقي عند الوصول ولا أستطيع ان أعبر لك عن سعادتني بذلك
قالت بهدوء ولكن بلهجة معاندة :

- صحيح ؟ انني مع ذلك كنت أفضل ألا تتغير كان ذلك أسهل انني لست مثلك ويسوءني بالأحري ان أعرف
أن شخصا آخر قد فكر فيما أفكر فيه ثم انك لابد ان تكون مخطئا .
فرويت لها مغامراتي وحدثتها عن الكينونة – وربما اطول مما ينبغي أصغت باجتهاد فاتحة عينها علي
سعتهما رافعة حاجبيها

حين انتهت بدا عليها العزاء

- حسنا لكنني أراك لا تفكر اطلاقا كما أفكر انك نشكو ان الاشياء لا تنتظم حولك علي شكل باقة من الزهور
من غير ان تقوم بأي عمل أما أنا فلا أطلب أكثر من ذلك : كنت أريد أن أعمل أنت تذكر حين كنا نلعب
لعبة المغامر و المغامرة : كنت انت من تحدث له المغامرات زكنت أنا من يجعلها تحدث وكنت أقول :]
اني رجل عمل [أتذكر ؟ أما الان فأقول ببساطة : المرء لا يستطيع ان يكون رجل عمل

ينبغي أن أصدق أنني لم أبد مقتنعا اذا انها انتعشت واستطردت بلهجة أقوي :

- ثم ان هناك كومة من الاشياء الأخرى لم أقلها لك لأنها ستكون أطول من ان استطيع شرحها لك كان ينبغي مثلا أن أتمكن من ان أقول لنفسي في اللحظة التي كنت اعمل فيها أن ما كنت أعمله ستكون له نتائج
••• مشؤومة اني لا استطيع ان اشرح لك جيدا •••

فقلت بلهجة لا تخلو من حذاقة :

- لكن ذلك غير مجد علي الاطلاق وقد فكرت في هذا ايضا فنظرت الي في حذر :

- اذا صدقتك لو جدت أنك قد فكرت في كل شئ علي النحو الذي فكرت فيه : انك تدهشي كثيرا

اني لا استطيع ان أقنعها ولن أفعل الا ان أغيظها وصمت واستولت علي الرغبة في أن اخذها بين ذراعي
وفجأة نظرت الي نظرة قلقة :

- اذن اذا كنت قد فكرت في هذا كله فماذا نستطيع ان نفعل ؟

فخفض رأسي ورددت هي بتناقل :

- اني أعيش وقد عدت حواسي

ماذا يسعي ان اقول لها ؟ هل اعرف أسبابا تبرر الحياة ؟ اني لست مثلها بانسا لأنني لم أكن انتظر اشياء
كثيرة انما بالأحرى ••• مندهش امام هذه الحياة التي أعطيت لي – أعطيت من اجل [لا شئ] واحتفظت
برأسي منخفضا اني لا أريد ان أري وجه اني في هذه اللحظة
تابعا بصوت مكتئب :

- اني اسافر وانا عائدة من السويد وقد توقفت ثمانية ايام في برلين هناك هذا الرجل الذي ينفق علي •

ان اخذها بين ذراعي ••• ما جدوي ذلك ؟ اني لا استطيع شيئا من أجلها انها وحيدة مثلي

قالت لي بصوت اكثر مرحا :

- بم تدمدم ؟

- فرفعت عيني انها تنظر الي بحنان

- لا شئ كنت افكر فقط في شئ ما

- يا للشخصية العجيبة ! تكلم او فاصمت لكن اختر

حدثها عن مقهي [رانديفو دي شامينو] وعن لحن [راج – تايم] القديم الذي كنت اسمعه في الفونوغراف

وعن السعادة الغريبة التي يمنحني اياها

- كنت أتساءل عنا اذا لم يكن بالامكان ان نجد من هذه الناحية شيئا وان نبحت

فلم تجب وأحسب انها لم تهتم كثيرا بما قلت لها علي انها استطردت بعد لحظة – ولا أدري ان كانت تتابع

افكارها او اذا كان هذا جوابا علي ما قلته لها :

- اللوحات والتمائيل أشياء غير قابلة للاستعمال : انها جميلة تجاهي الموسيقي ٠٠٠

- ولكن في المسرح ٠٠٠

- ماذا في المسرح ؟ هل تريد ان تعدد الفنون الجميلة ؟

- كنت تقولين في الماضي انك كنت تريد ان تتعاطي المسرح لأن المرء لا بد ان يحقق علي خشبة

المسرح لحظات كاملة !

- اجل حققتها : ولكن من اجل الاخرين كنت في الغبار وفي تيارات الهواء وتحت الأنوار الفجة وبين ألواح

الكرتون وعلي العموم كان تورندايك شريكي في التمثيل وأعتقد انك رأيتيه يمثل في كوفانت جاردن وكنت

اخشي دائما ان انفجر ضاحكة في وجهه

- لكن ألم يكن دورك يستغرقك قط ؟

- احيانا : ولكنه لم يكن يستغرقني بقوة كان الشئ الجوهرى بالنسبة لنا جميعا الثقب الأسود قبالتنا تماما الذي كان في جوفه ناس لا نراهم وبالطبع كنا نقدم لهؤلاء كاملة لكنك تعلم انهم لم يكونوا يعيشون داخله : وانما كان يتدرج امامهم ونحن الممثلين اتعتقد اننا كنا نعيش داخله ؟ وانه في نهاية المطاف لم يكن في اي مكان لا من هذه الجهة ولا من تلك بالنسبة لخشبة المسرح انه لم يكن موجودا ومع ذلك كان الجميع يفكرون فيه .

ثم أضافت بصوت ممطوط يكاد يكون سويقيا :

- انك تفهم اذن يا صغيري لقد تخيلت عن كل شئ

- اما انا فقد حاولت ان اكتب هذا الكتاب . . .

- فقاطعتني :

- اني اعيش في الماضي أسترد كل ما حدث لي وأنظمه ومن بعيد علي هذا النحو ليس ثمة من ضير المرء يستسلم حكايتنا كلها جميلة بما فيه الكفاية فأنا اعطيها بعض ضربات من ابهامي فاذا هي سلسلة من اللحظات الكاملة واذ ذلك اغمض عيني واحاول ان اتصور اني ما أزال أعيش في داخلها عندي شخصيات اخري ايضا يجب علي المرء ان يحسم تركيز فكره ألا تعرف ماذا قرأت ؟ التمارين النفسية تاليف لويولا وقد عاد علي ذلك بفائدة كبيرة هنالك طريقة لوضع الديكور اولا ثم لظهار الشخصيات

أضافت بلهجة سحرية :

- وهكذا يتوصل المرء الي ان " يري "

فقلت :- الحق ان ذلك لن يرضيني علي الاطلاق

- أو تظن ان ذلك يرضيني انا ؟

ظللنا لحظة صامتين كان الليل يهبط فكدت لا أتميز لخرة وجهها الممتعة كان ثوبها الاسود

يمتزج بالظل الذي غمر الحجرة وبصورة الية تناولت فنجانى الذي كان مايزال فيه بعض الشاي وحملته الي

شفتي كان الشاي باردا أخذتني الرغبة في التدخين لكنني لم أجرو أحسست شعورا شاقا بأنه لم يكن لدينا بعد ما نقول حتي الامس فقط كان لدي أسئلة كثيرة اطرحها عليها : اين كانت وماذا فعلت ومن لقيت ولكن ذلك لم يكن يهمني الا بمقدار ما منحت اني نفسها عن طيب خاطر اما الان فاننا بلافضول : جميع تلك البلاد وجميع تلك المدن التي أملت بها وجميع اولئك الرجال الذين غازلوها وربما قد احبتهم كل ذلك لم يكن متصلا بها وكل ذلك كان بالنسبة اليها بلا اكتراث : اشعة شمس صغيرة علي سطح بحر مظلم بارد ان اني تجاهي ونحن لم نلتق منذ أربعة اعوام وليس لدينا بعد ما نقول

قالت اني فجأة :

- اما الان فيجب ان تذهب اني انتظر شخصيا

- تنتظرين ؟ . . .

- اجل انتظر ألمانيا رساما

أخذت تضحك وقد رنت ضحكتها رنيانا غريبا في القاعة المظلمة .

- انه شخص ليس مثلنا بعد انه يعمل ينفق ذاته نهضت علي مضض :

- متي اراك ثانية ؟

- لا أدري انني مسافرة مساء الغد الي لندن

- عن طريق دبيب ؟

- نعم واعتقد انني بعد ذلك سأسافر الي مصر وربما مررت بباريس في الشتاء القادم سوف اكتب لك .

قلت لها بخجل :

- اني غدا حر طوال النهار

فأجابت بصوت جاف :

- نعم غير ان لدي انا عملا كثيرا لا استطيع ان اراك سأكتب لك من مصر وليس عليك الا ان تعطني

عنوانك

- هو كذلك

فخرشت عنواني في الظلام علي طرف مغلف يجب ان ابغ فندق برنتانيا بأن يحولوا لي رسائلي حين
أغادر بوفيل انني أعرف في أعماقي انها لن تكتب ربما رأيتهما ثانية بعد عشرة أعوام وربما كانت هذه هي
المررة الأخيرة التي أراها فيها وليس مبعث ارهاقي انني سأتركها فحسب بل انتابني خوفا فظيعا ان أعود
الي وحدتي •

نهضت وعند الباب قبلتني قبلة خفيفة علي الفم وقالت وهي تبتمس :

- ذلك لكي أتذكر شفقتك يجب أن اعيد الشباب الي ذكرياتي من أجل تماريني المعنوية

فأخذتها من ذراعها وأدنيتهما مني فلم تقاوم لكنها اومأت برأسها سلبا

- لا أن ذلك لا يثير اهتمامي بعد فلن نعيده ••• ثم انه بالنسبة لما يمكن ان يصنع بالناس فان اول شاب قادم

جميل بعض الشيء يساويك

- لكن ما الذي ستفعلينه ؟

- قلت لك : أنني مسافرة الي انجلترا

- لا أقصد ...

-لاشيء

لم اترك ذراعها فقلت لها بعذوبة :

-اذن يجب ان أتركك بعد ان وجدتك ثانية

وتبينت الان ملامح وجهها بوضوح لقد أصبح فجأة ممتقعا مشدودا وجه امرأة عجوز فظيع تماما وانا على يقين من انها لم تدعة وجهها هذا : فهو قائم هنا بالخفية عنها او ربما بالرغم عنها .

قالت بهدوء :

-لا ، لا . انك لم تجدنى ثانية

خالصت ذراعيها وفتحت الباب وكان الممر يقطر ضوءا

اخذت أنى تضحك

بالمسكين ! انه لاحظ له فللمرة الاولى التى يمثل فيها دورة جيدا لايلقى الرضى هيا اذهب

وسمعت الباب يغلق ورائى

الاحد

راجعت هذا الصباح " دليل " السكك الحديدية : اذا افترضنا انها لم تكذب على فهى ستسافر في

قطار دبيب عند السعة الخامسة والثامنة والثلاثين ولكن ربما كان صاحبها سيأخذها بالسيارة ؟ وتهب طوال

الصباح في شوارع مانيلمونتان وبعد الظهر على ارصفة المحطات . ان بضع خطى بضعة جدران كانت

تفصلنى عنها

في الساعة الخامسة والثامنة والثلاثين سيصبح حديثنا بالأمس ذكرى والمرأة الموسرة التى

لامست شفتاها فمى ستلحق في الماضى فتاه مكناس ولندن الصغيرة الهزيلة . لكن لم يحدث شىء بعد

مادامت لاتزال هنا ومادام ممكنا بعد رؤيتها واقناعها واصطحابه معى الى الابد . اننى لم اكن احسنى بعد

وحيدا .

وأردت ان أصرف فكرى عن أنى لاننى كنت لفرط تصور جسمها ووجهها قد سقطت في ثورة عصبية شديدة : كانت يداى ترتجفان وكانت الرعشات الباردة تملكنى . أخذت اقلب صفحات الكتب عند الباعة ولاسيما المنشورات الخلاعية لن ذلك كان بالرغم من كل شىء يشغل الفكر .

حين دقت الساعة الخامسة في محطة اورساي كنت انظر الى رسوم كتاب عنوانه " الطبيب بالسوط " كانت رسوما قليلة التنوع : كان في معظمها صورة رجل طويل ملتج يحمل سوطا فوق ارداف ضخمة عارية .وما أن ادركت ان الساعة قد اصبحت الخامسة حتى القيت بالكتاب بين الكتب الاخرى ووثبت الى سيارة تاكشى حملتنى الى محطة سان لازار .

تنزهت زهاء عشرين دقيقة على رصيف هذه المحطة ثم رأيتها كانت ترتدى معطفا كبيرا من الفرو كان يضىف عليها هيئة سيدة وغلالة صغيرة .

وكان الرجل يرتدى معطفا من شعر الجمل .كان يرزى اللون شابا مايزال طويلا جدا وجميلا جدا . اجنبى بالتاكيد لكنه ليس انجليزيا ربما كان مصريا . صعدا الى القطار من غير ان يرانى لم يكونا يتبادلان الكلام ثم هبط الرجل ثانية فابتاع صحفا خفضت أنى زجاج مقورتها فرأتنى ونظرت الى طويلا بلا غضب بعينين لاتعتبر فيهما ثم صعد الرجل ثانية الى المقصورة وانطلق القطار .وفي تلك اللحظة رأيت بوضوح مطعم بيكاديللى الذى كنا نتناول فيه الغداء يفى السابق ثم انصفق كل شىء ومشيت حين احسستنى متعبا دخلت مقهى واستسلمت للنوم .

جاء الخادم يوقظنى وأنا اكتب هذا والنعاس مازال يراودنى .سأعود غدا الى بوفيل في قطار الظهر وسيكفينى ان ابقى فيها يومين : لكى احزم امتعتى وأنهى معاملتى مع المصرف وأعتقد انهم سيطلبون منى في فندق برنتانيا ان ادفع لهم اجر خمسة عشر يوما اضافيا لننى لم اخبرهم مسبقا ويجب ايضا ان ارد لدار الكتب ماستعرت من كتب وعلى اى حال سأعود الى باريس قبل نهاية الاسبوع .

ما الذى سأكسبه المقابل ؟ تلك هى ايضا مدينة : هذه يشقها نهر وتلك يحدها بحر ولولا ذلك لكانتا متشابهتين . الناس يختارون ارضا مجرودة جدباء فيدحرجون فيها احجارا كبيرة مجوفة في هذه

الاحجار روائح اسيرة روائح اثقل من الهواء . تلقى احيانا من النافذة في السوارع فتظل فيها حتى تمزقها الرياح يفي الجو الصافى تدخل الضجبات من احد طرفى المدينة وتخرج من الطرف الآخر بعد ان تعبر جميع الجدران واحيانا اخرى تدور وتدور بين هذه الاحجار التى تسلقها الشمس ويشقها الجليد .

اخاف المدن لكن يجب على المرء الا يخرج منها فاذا غامر بالابتعاد اكثر مما ينبغى التقى دائرة " النباتات " زحف " النباتات " مسافة كيلو مترات نحو المدن انه ينتظر حتى اذا اصبحت المدينة ميتة اكتسحها " النباتات : فتسلق الاحجار واحتواها وعاث فيها وفجرها بكلاباته الطويلة السوداء انه سيكتسح الثقوب ويترك في كل مكان ارجلا متدللية يجب على المرء ان يبقى في المدن مادامت حية ويجب عليه الا يبقى وحده تحت هذا الشعر الطويل القائم عند ابوابها : يجب ان يتركه يتموج ويصطفق بلا شهود .

اذا عرف المرء في المدن ان ينظم نفسه ويختار الساعات التى تجتر فيها الحيوانات او تنام في ثقبها خلف اكوام النفايات العضوية فانه لن يلتقى ابدا الا المعادن اقل الموجودات ارهابا .

اننى عائد الى بوفيل " فالنبات " لا يحاصر بوفيل الا من ثلاث جهات . وفي الجهة الرابعة ثقب كبير ملء بماء اسود يتحرك وحده . الريح تصفر بين البيوت والروائح تبقى مدة اقصر من اى مكان نخر : الريح تطردها فتجرى على سطح الماء الاسود كضباب صغير مستطار اللب المطر يهطل وقد تركت نباتات تنمو بين السياجات . نباتات مخصبة مستأنسة بلغ من سميتها انها اصبحت غير مؤذية لها اوراقا هائلة مبيضة تتدلى كأنها الأذان ويخيل لم يلمسها انها غضاريف . كل شىء سمين وابيض في بوفيل بسبب هذا الماء الكثير الذى يهبط من السماء . أننى عائد الى بوفيل . أيه فظاعة !

استيقظت منتفضا . منتصف الليل انقضت ست ساعات على مغادرة أنى لباريس مخرت السفية البحر . أنها تنام في مقصورة اما الشاب البرونزى الجميل فجالس على ظهر السفينة يدخن سجائر

الثلاثاء في بوفيل

هل هذه هي الحرية ؟ الحقائق تنحدر تحتى برخاوة نحو المدينة وفي كل حديقة يرتفع بيت . ارى البحر ثقيلًا جامدا وارى بوفيل الطقس جميل .

انا حر : لايبقى لى اى سبب لى اعيش فجميع الاسباب التى حاولتها قد تراخت ولا استطيع بعد ان اتصور اسبابا اخرى .مازلت شابا ومازلت املك قوه كافية لأبدأ من جديد لكن ما الذى يجب ان ابدأ من جديد ؟ كم عولت على أنى في اخرج لحظات ارهابى وغيثانى لى تنقذنى هذا ما ادركه الان فحسب . مات ماضى ومات السيد دورولبون ولم تعد أنى الا لتتيزع منى كل امل اننى وحيد في هذا الشارع الابيض الذى تحف به الحقائق وحيد وحر لكن هذه الحرية تشبه الموت قليلا .

حياتى تأخذ اليوم نهايتها سأكون غدا قد تركت هذه المدينة التى تمتد عند قدمى والثى عشت فيها هذه الفترة الطويلة .انها لن تكون بعد الا اسما مكتلا بورجوازييا فرنسيا مائة في المائة اسما في ذاكرتى اقل عنى من اسمى فلورنس او بغداد سيأتى عهد اتساءل فيه : حين كنت في بوفيل مالذى كان يمكننى ان افعل طوال النهار ؟ وما هذه الشمس ما هذا الاصيل لن يبقى شىء حتى ولا ذكرى .

حياتى كلها خلفى اراها برمتها ارى شكلها والحركات البطيئة التى افضت بى الى هنا هناك اشياء قليلة تقال عنها : انه شوط خاسر هذا كل ما في الامر انقضت اليوم ثلاثة اعوام على دخولى الى بوفيل بأبهبه.

كنت قد خسرت الجولة الاولى : وارتدت ان العب الثانية فخسرت ايضا : وهكذا خسرت الشوط بهذا تعلمت ان المرء يخسر دائما ليس هناك الا الانزال من يحسبون انهم يربحون اما الان سأفعل كما فعلت أنى : سأعيش وقد عدت حواسى اعيش وانام انام واكل اوجد على مهل وبعذوبة كهذه الاشجار كبركة ماء كمقعد الترام الاحمر .

" الغثيان " يدع لى راحة قصيرة لكنى اعلم انه سيعود : فتلك هى حالتى الطبيعية غير انج سسمى

اليوم اشد ارهاقا من ان يتحملة .

للمرضى ايضا ساعات ضعف سعيدة تنزع منهم لبضع ساعات احساسهم بالألم كل مافي الامر
انى سئم . وبين الحين والآخر انتائب بقوة حتى ان الدموع تتدرج على خدى انه سأم عميق عميق قلب
الكيوننة العميق المادة نفسها التى صنعت منها اننى لا اهمل نفسى بل على العكس : فهذا الصباح اخذت
حماما وحلقت ذقتى غير اننى حين افكر ثانية في جميع هذه الافعال الاعتنائية لا افهم كيف امكنى ان افعلها
: انها غير مجدية على الاطلاق لاشك بأن العادات هى التى فعلتها من اجلى العادات لم تمت فهى ماضية
في الانهماك وفي نسج لحمتها خفية وعلى مهل وهى تغسلنى وتمسحنى وتلبسنى على غرار ما تفعله
المرضعات اتكون هى التى قادتنى ايضا الى هذه الرابية؟ لا اذكر بعد كيف اتيت لاشك انى جئت من سلم
دوترى : هل ارتقيت حقا درجاتها المائة والعشر واحدا واحدة؟ لعل ماهو اصعب تصورا هو انى بعد لحظة
سأهبطها ثانية غير انى اعرف انى سأجدنى بعد برهة في اسفل " الرابية الخضراء " وسأستطيع وانا ارفع
رأسى ان ارى نوافذ تلك البيوت القريبة تضاء في البعيد فوق رأسى وهذه اللحظة التى لا استطيع ان اخرج
منها والتى تحسبنى وتحدى من كل جانب هذه اللحظة التى صنعت منها لن تكون بعد الا حلما ملتاثا .
انظر تلالؤ بوفيل الرمادية تحت قدمى فكأنها تحت الشمس اكوام من محار القشور او من شظايا
العظم او من الحصباء كانت ثمة التماعات زجاج او حجر ضائعة بين هذه النفايات ترسل بين الحين والآخر
نيرانا خفيفة بعد ساعة ستصبح المجارى والخنادق والاثلام الدقيقة شوارع اسير فيها بين الجدران وهؤلاء
الرجال القصار الذين اتمزهم في شارع " بولبية " سأكون بعد ساعة واحدة منهم .
ما اشد ما احسنى بعيدا عنهم من على هذه الرابية يخيل الى اننى انتمى الى جنس آخر انهم
يخرجون من المكاتب بعد يوم عملهم فينظرون الى البيوت والحدائق نظرة راضية ويفكرون في انها "
مدينتهم " مدينة بوجوزاية جميلة انهم غير خائفين وهم يحسون انهم في بيوتهم لم يروا قط الا الماء
المستأنس يسيل من الصنابير والا النور الذى ينبع من المصابيح حين يضغطون على المفتاح والا الاشجار
الهبينة النغلة التى تسند بالمناشير . أنهم يرون الدليل مرة في اليوم على ان كل شىء يتم بصورة آلية ان
العالم يطبع قوانين ثابتة لاتتغير . الاجسام المتروكة في الفراغ تسقط جميعا بالسرعة نفسها . والحديقة العامة
تغلق كل يوم في الساعة الرابعة شتاء والسادسة صيفا والرصاص يذوب عند الدرجة ٣٣٥ و آخر ترام يغادر

اوتيل دوفيل في الساعة الثالثة والعشرين وخمس دقائق انهم مطمئنون كئيبون بعض الشيء يفكرون في " الغد " اى بساطة في يوم جديد المدن لاتنعم الا بنهار واحديعود متشابها كل صباح ولا يفعلون الا ان يقرعوا له الاجراس قليلا ايام الاحد . الحمقى ! يثير إشمئزاً ان افكر انى سأرى ثانية سحتهم الكثيفة المظمنة.

انهم يسنون القوانين ويكتبون روايات شعبية ويتزاوجون ويرتكبون الحماقة الكبرى بأنجاب الاولاد . على ان الطبيعة الكبيرة المبهمة انسلت الى مدينتهم وتسربت الى كل مكان في بيوتهم ومكاتبهم وفي انفسهم لاتتحرك بل تبقى هادئة وهم ملء داخلها يتنفسونها ولا يرونها وهم يتصورون انها في الخارج على بعد عشرين فرسخا من المدينة اننى " اراها"واعرف ان خضوعها كسل ...وأعرف ان ليس لها قوانين : وهذا ما يحسبونه سبب ثباتها ... ليس لها عادات ان تغيرها غدا .

لنفرض ان شيئاً ما يحدث ؟ لنفرض انها اخذت فجأة تخفق ؟ سيلاحظون أنذاك انها هناك وسيخيل اليهم ان قلبهم سينفجر . اذن فما الذى تجديهم سدودهم واسوارهم ومراكزهم الكهربائية وافرانهم الحامية ومطارقهم ؟ هذا يمكن ان يحدث في اى وقت وربما على الفور : الدلائل قائمة فمثلا يرى رب اسرة يتنزّه خرقة حمراء تقبل عليه عبر الطريق كأنها مدفوعة بالريح . حين تصبح الخرقة قريبة منه كل القرب فسيرى انها قطعة من اللحم الفاسد الملوث بالغبار تجر نفسها زاحفة واثبة قطعة لحم معذبة تتدحرج في الممجارى قاذفة دقات الدم بصورة تشنجات مثل آخر : ام تنظر خد ابنها وتسأله " ما هذا الذى على خدك ؟ اهو دمل ؟ " ثم ترى البشرة تتورم قليلا وتنتشق وتنتفخ ومن جوف الشق تبرز عين ثالثة عين ضاحكة او انهم سيشعرون بملامسات عذبة على اجسامهم تشبه الملامسات التى يتركها الخيزران في الانهار على اجسامهم السباحين . وسيعرفون ان ملابسهم اصبحت اشياء حية وثمة آخر سيجد ان هناك شيئاً ما يحكة في فمه فيفترب من مرآة ويفتح فمه : فاذا بلسانة قد اصبح حشرة ذات الف رجل تنبض بالحياة وتحك سقف حلقة ويود ان يبصقها لكن الحشرة ذات الالف رجل انما هى جزء منه وينبغى ان توجد لها اسماء جديدة العين الحجرية الذراع الكبيرة ذات القرون الثلاثة الاصبع – العكاز العنكبوت – الفك . ذلك الذى سيكون دائما في سريرة المريح في غرفته العذبة الحارة سيسيتيقظ عاريا على ارض مزرققة في غابة من القضبان الضاجة المنتصبة حمراء وبيضاء نحو السماء كأنهما مداخن جوكتابوفيل مع بيضات ضخمة نابضة من

الارض مزغبة منتفخة كالبلبل .وستتطاير عصافير حول هذه القضبان فتتقرها بمناقيرها وتجعل دمه
ينزف .وسوف يسيل المنى ممزوجا بالدم حارا شفافا مع الكريات . اوان شيئا من ذلك كله لن يحدث ولن
يقع اى تغير ذى اهمية لكن الناس سيفاجأون اذا يفتحون شبابيكهم ذات صباح بنوع من الحس الفطيع يحط
بتقل على الاشياء ويبدو كأنما هو ينتظر لاشيء الا هذا : لكن يكفى ان يدوم ذلك بعض الوقت حتى تحدث
حوادث انتحار بالمئات . اى نعم ليتغير ذلك قليلا حتى نرى فأنا لا اطلب اكثر من هذا سنرى آنذاك اناسا
آخرين غارقين فجأة في الوحدة . أناس وحيدون وحدة كاملة يعبرون الشوارع تحيط بهم مسوخ فظيعة
ويمرون امامى بتناقل وعيونهم ثابتة هاربين من الالمهم حاملينها معهم فاغرى الافواه بألسنتهم – الحشرات
التي تخفق بأجنحتها وحينذاك سانفجر ضاحكا حتى ولو كان جسمى مغطى بقشور لحمية قدرة تفتتح زهورا
دموية وبنفسجيا وسفيرا ولسوف استند الى جدار وسأصبح بهم حين يلمون بى : " ماذا فعلتم بعملكم ؟ ماذا
فعلتم بنزعتكم الانسانية ؟ اين هى كرامتكم كرامة الخيزران المفكر " ؟ ولن يأخذنى الخوف او على الاقل
لن يأخذنى اكثر مما يأخذنى الآن الن يكون ذلك ايضا من الكينونة الوانا اخرى للكينونة ؟ جميع هذه مالعيون
التي ستأكل وجها على مهل ستكون زائدة على اللزوم بلا شك ولكنها لن تكون ازيد من الاولين انما انا
اخاف الكينونة .

المساء يهبط والمصابيح الاولى تنار في المدينة يالهي ! كم تبدو المدينة " طبيعية " بالبلاغم من
جميع هذه الهندسات كم تبدو مسحوقة بالمساء ! ذلك بدهى جدا من هنا أيمن ان اكون الوحيد الذى يرى
ذلك ؟ اليس ثمة في اى مكان " كاسندر " آخر علي راس رابية ينظر تحت اقامة مدينة يبتلعها جوف
الطبيعة ؟ ولكن ماذا يهمنى في الحقيقة ؟ ما عسانى استطيع ان اقله له ؟
يستدير جسمى على مهل نحو الشرق فيترنح قليلا ويأخذ في السير

الاربعاء : اخر يوم لى في بوفيل

جلت في المدينة كلها بحثا عن " العصامى " بكل تأكيد لم يعد الى بيته ولايد ان يتيه في الشوارع
مرهقا بالخجل والذعر هذا الانسانى المسكين الذى لا يركن اليه الناس بعد . والحق انى لم ادهش قط حين

حدث الشيء : فمنذ وقت طويل وانا احس ان راسة الرقيق الخائف كان يجلب اليه الفضيحة كان قليل الذنب
: لاتكاد تكون شهوانية حبه المتأمل المتواضع للصبية – نوع من النزعة الانسانية على الاصح لكن كان
لا بد ان يجد نفسه ذات يوم وحيدا مثل السيد اشيل ومثلى انا : انه من جنسى وهو صاحب إرادة طيبة اما
الان فقد دخل الوحدة – والى الابد انهار كل شيء دفعة واحدة احلامه للتثقف واحلامه للتفاهم مع البشر .
سيكون هناك اولا الخوف والذعر والليالى المؤرقة وبعد ذلك سلسلة ايام النفى سيعود في المساء ليتيه في
ساحة " الرهونات " سينظر من بعيد الى نوافذ دار الكتب المشعة وسغص قلبة حين يتذكر صفوف الكتب
الطويلة وغلافاتها الجلدية ورائحة صفحاتها . آسف انى لم أصحبة ولكنه لم يشأ ذلك وهو الذى ابتهل الى ان
ادعة وحيدا : كان يبدأ تعلم الوحدة وأنا اكتب هذا في مقهى مابلى . دخلته بأبهة وكنت اريد أن أتأمل المدير
وأمانة الصندوق وأحس بقوة انى كنت أراهما للمرة الاخيرة لكنى لا استطيع ان اصرف فكرى عن "
العصامى " يفان وجهه المعكر مائل اما عينى دائما مليئا بالعتاب وياقته العالية الدامية واذا ذاك طلبت ورقا
وسأروى ما حدث له .

توجهت الى دار الكتب حوالى الساعة الثانية بعد الظهر كنت افكر " دار الكتب أننى داخل هنا للمرة الاخيرة
"

كانت القاعة شبة خالية وشق على ان اتعرفها لانى كنت اعرف اننى لن اعود اليها ابا كانت
خفيفة كالبخار لاواقعية تقريبا حمراء برمتها كانت الشمس الغاربة تصبغ بالحرمة الطاولة المخصصة
للمطالعات والباب وظهور الكتب داخلى إحساس لذيذ ذات لحظة بأنى الحج غابة صغيرة ملئ بالاوراق
المذهبة ابتسمت وفكرت : مضى على من الوقت دون ان ابتسم " كان الكورسيكى ينظر عبر النافذة ويده
خلف ظهره مالذى كان يراه؟ صلعة امبتراز ؟ " اما انا فلن ارى بعد ابا صلعة امبتراز ولا قبعته العالية ولا
ردنجونة فبد ست ساعات اكون قد غادرت بوفيل وضعت على طاولة نائب امين دار اكتب الجزئين اللذين
كنت استعرتهما في الشهر الماضى وقد مزق قسيمة خضراء وبسط لى قطعها :

- تفضل ياسيد روكانتان

فكرت : " اننى الان غير مدين لهم بشىء غير مدين بشىء لى شخص هنا سأقصد بعد حين مقهى " رانديفودى شامينو " لودع صاحبتة أنى حر .ترددت لحظات : هل انفق هذه الهنيئات الاخيرة للقيام بنزهة طويلة في بوفيل ولروية جادة فيكتور هوجو وطريق بالفانى وشارع تورنوبريد لكن هذه الغابة الصغيرة كانت هادئة جدا نقيه جدا : كان يخيل الى بأنها تكاد تكون موجودة وان " الغثيان " قد وفرها ذهبت اجلس قرب الموقد كان " جورنال دو بوفيل " ملقى على الطاولة مددت يدي فتناولته .

" انقذه كلبه "

" كان السيد دوبوسك وهو ملاك في رميردون عائدا مساء الامس على دراجته من معرض نوجيس"

اقبلت سيدة ضخمة تجلس الى يمينى وضعت قبعتها اللبادية الى جانبها كان فمها مزروعا في وجهها كمدية في تفاحة .وتحت النف كان ثمة ثقب صغير فاجر يقطب باحتقار .وسحبت من محفظتها كتابا مجلدا فارتفعت الطاولة وهى تسند رأسها بيديها السمينتين وقبالتى كان سيد هرم ينام . كنت اعرفه كان في دار الكتب حين اخذنى ذلك الخوف الشديد في ذلك المساء خاف هو ايضا كما اظن وفكرت : " ما أبعد هذا كله ! "

في الساعة الرابعة والنصف دخل العصامى كنت اود لو اشد على يده وأودعة لكن ينبغى الاعتقاد بأن مقابلتنا الاخيرة خلفت لدية ذكرى سيئة : حياتى تحية بعيدة وراح يضع بعيدا عنى رزمة صغيرة بيضاء لابد انها كانت تحتوى كالعادة قطعة من خبز ولوحا من الشكوته .بعد برهة عاد يحمل كتابا مصورا وضعة قرب رزمته فكرت : " اننى اراة للمرة الاخيرة " غدا مساء وبعد غد مساء وكل مساء بلى ذلك سيعود ليقرأ على هذه الطاولة فيما هو يأكل خبز وشوكولاته وسيتابع بصبر قزمة الفأرى ويسقراً مؤلفات نابو ونودو ونوديه ونيس متوقفا بين الحين والآخر سيسجل إحدى الحكم على دفرة الصغير اما انا فسأمشى في باريس في شوارع باريس وسأرى وجوها جديدة ما الذى سيحدث لى فيما يكون هو هنا يضىء

المصباح وجهه الكبير المفكر ؟ احسست قبل فوات الاوان اننى سأدع نفسى لسراب المغامرة مرة اخرى
فرفعت كنفى واستأنفت المطالعة .

" بوفيل وضواحيها :

" مونيسيته

" نشاط فرقة الدرك في عام ١٩٣٢ الضابط في قسم الفوارس الرئيس جاسبار قائد فرقة مونوسيته ودركيوه
الاربعة السادة لاجوت وليزان وبيار بان وجيل لم يعطلوا يوما واحدا في اثناء عام ١٩٣٢ والواقع ان
دركيينا كان عليهم ان يحققوا في ٧ جرائم و٨٢ جنحة و١٥٩ مخالفة و٦ انتحارات و١٥ حادث اصطدام
منها ٣ مميته "

" جوكتابوفيل

" فرقة جوكتابوفيل لنا فخر الابواق

" اليوم تمرين عام تسليم البطاقات للحفلة السنوية

" كومبوسنيل

" تسليم وسام جوقة الشرف لرئيس البلدية

" السائح البوفيلي (مؤسس الكشاف البوفيلي ١٩٢٤) :

" هذا المساء في الساعة ٢٠ و٤٥ اجتماع شهري في المركز الاجتماعي ١٠ شارع فردينان بيرون القاعة أ

جدول الاعمال : قراءة بخر دعوى المراسلات الأدبية السنوية اشتراكات ١٩٣٢ برنامج الرحلات في شباط

قضايا مختلفة قبول الاعضاء الجدد "

" حماية الحيوانات (جمعية بوفيلية)

" الخميس القادم من الساعة ١٥ اليالساعة ١٧ القاعة ت - ، ١٠ شارع فردينان بيرون بوفيل حضور عام

توجيه المراسلات الى الرئيس في المركز او ١٥٤ شارع جالفانى "

"النادى البوفيلى لكلب الدفاع ... الجمعية البوفيلية لمرضى الحر .. الغرفة النقابية لاصحاب السيارات

العمومية ... اللجنة البوفيلية لاصدقاء دور المعلمين ..."

دخل صبيان يحملان محفظتين انهما من طلبة الليسية والكورسيكى يحب كثيرا تلاميذ الليسية

لانه يستطيع ان يمارس عليهم مراقبة ابوية . يلذة ان يتركهم غالبا بتحركون على كراسيهم ويثرثرون ثم

يمضى فجأة يسترق الخطى ليقف خلفهم موبخا " أتكون هذه جلسة محتشمة بالنسبة لفتية كبار ؟ اذا كنتم

لاتريدون ان تغيروا فان السيد امين المكتبة قرر ان يشتكى الى مدير الليسية فاذا احتجوا نظر اليهم بعينية

الرهيبتين : " أعطوني اسماءكم " وهو يوجه ايضا مطالعاتهم : ففي دار الكتب رسمت على بعض المؤلفات

إشارة صليب احمر انه الجحيم : أثار " جيد " وديرو وبودلير وكتب طبية وحين يطلب احد تلامذة الليسية

احد هذه الكتب للمطالعةيومىء الكورسيكى اليه ويجتذبه الى زاوية ليسأله .وبعد لحظة انفجر فيملاأ صوته

قاعة المطالعة : " هناك مع ذلك كتبنا افضل لمن كان في مثل سنك .كتب تربوية لكن هل انهيت اولاً ؟ يفي

اى صف انت ؟ في الثانى ؟ وليس لديك ماتفعلة بعد الساعة الرابعة؟ استأذك يأتى الى هنا غالبا وسوف

احدته عنك "

كان الصبيان مايزالان مزروعان قرب الموقد كان لأصغرهما سنا شعر جميل اسمر وكاكنت له

بشرة مفرطة الرقة وفم صغير خبيث ومزهو اما رفيقة فكان فتى ضخما له ظل شارب وقد لامس مرفقة

وتمتم بضع كلمات فلميجبة الصبى الاسمر غير انه ابتسم ابتسامة نكاد ترى إبتسامة ملى بالاعتزاز والتكبر

ثم اختار كلاهما في غير مبالاة قاموسا كان على احد الرفوف واقتربا من " العصامى " الذى كان يحدد

فيهما نظرا متعبا .كان يبدو عليهما انهما يجهلان وجودة لكنهما جلسا بلصقة تماما الصغير الاسمر الى

يسارة والفتى الضخم الى يسار الصغير الاسمر .سرعان ماخذوا يتفحصان القاموس . ترك العصامى نظرة

يتيه عبر القاعة ثم عاد الى المطالعة .لم يسبق لقاعة مكتبة ان كشفت عن مشهد مطمئن اكثر من هذا : لم

اكن اسمع ضجة ماعدا انفاس السيدة الضخمة لم اكن ارى إلا رؤسا مائلة فوق الصفحات ومع ذلك داخلنى

منذ تلك اللحظة شعور بأن حادثاً مزعجاً سيقع. كان جميع أولئك الأشخاص الذين يخفضون عيونهم باجتهاد يبدون وكأنهم يمثلون : كنت قد شعرت قبل ذلك بلحظات ان مايشبه لفحة من قسوه تمر فوق رؤسنا .

كنت فرغت من القراءة ولكنى لم اقر ران اذهب : كنت انتظر متظاهرا بأنى اقرأ جريدتى كان

مايزيد فضولى وانزعاجى ان الاخرين كانوا ينتظرون ايضا كان يخيل الى ان جارتى كانت تقلب بسرعة

اكبر صفحات كتابها . مضت بضع دقائق ثم سمعت همسا رفعت رأسى بحذر كان الصبيان قد اغلقا

قاموسهما لم يكن الصغير الاسمر يتكلم بل كان يدير الى اليمين وجها مطبوعا بالاحترام والاهتمام كان

الاشقر مختبئاً نصف اختباء خلف كتفه مرهفا اذنه يضحك بصمت فكرت " ولكن من يتكلم؟" .

كان هو " العصامى " كان ماثلاً على جارة الفتى وعيناه في عينيه كان يبتسم له وكنت أرى

شفتيه تتحركان بين الحين والآخر وجفونه الطويلة تخفق لم اكن اعهد فيه هيئة الشباب هذه حتى كان فاتنا

تقريباً لكن كان يتوقف احياناً ليلقى خلفه نظرة قلقة . كان يبدو على الفتى الصغير انه كان يشرب كلماته . لم

يكن في هذا المشهد الصغير ماهو خارق كنت اوشك ان اعود الى مطالعتى حين رأيت الفتى الصغير يزلق

يده بهدوء وراء ظهره على حافة الطاولة .

ومشيت اليد لحظة وهى محتجبة على هذا النحو عن عيني " العصامى " وأخذت تتلمس ماحولها

ثم التقت ذراع الاشقر الضخم فقرصتها بعنف . لم يكن الاخر قد رآها آتية لفرط استغراقه في التمتع

الصامت بكلام العصامى فاذا هو يقفز في الهواء واذا فمه ينفث الى المالا حد له تحت تأثير الاندهاش

والاعجاب .

كان الاسمر الصغير قد احتفظ بهيئة الاهتمام الموقر حتى ان المرء يسعه ان يشك اذا كانت تلك

اليد العفريتة يده وفكرت : " مالذى سيفعلانه معه؟" كنت ادرك جيداً ان شيئاً ما دنيئاً سوف يحدث كنت

ارى كذلك ان الاوان لم يفت للحيلولة دون ان يحدث هذا لكنى لم اكن اتوصل الى الحدس بما ينبغى منعه .

وخطر لى ذات لحظة ان انهض فأذهب لأرابت على كتف العصامى واعدت معه حديثاً لكنه يفي

اللحظة نفسها فاجأ نظرتى فكف فوراً عن الكلام وزم شفتيه بهيئة مغتظة وسرعان ما صرفت بصرى

وتناولت جريدتى ثانية لاستعيد طمأنينتى في هذه الاثناء كانت السيدة الضخمة قد دفنت كتابها ورفعت رأسها كانت تبدو مسحورة احسست بوضوح ان السيدة توشك ان تنفجر : كانوا " يريدون " جميعا ان تنفجر ماالذى كنت تستطيع ان افعله ؟ القيت نظرة على الكورسيكى : فاذا هو قد كف عن النظر عبر النافذة واستدار نصف استدارة نحونا .

مرت ربع ساعة كان العصامى قد استأنف همسة لم اكن اجروء بعد على النظر اليه لكنى كنت اتصور جيدا هيئته النضرة الرقيقة وتلك النظرات العميقة التى كانت تثقل عليه من غير ان يعرف ذلك وذات لحظة سمعت ضحكته ضحكة صغيرة سوقية وملحنة .

انقبض قلبى لذلك : كان يخيل الى ان أطفالا قذرين سيغرقون قطة .ثم انقطع الهمس فجأة وبدا لى هذا الصمت فاجعا : كانت تلك هى النهاية الاعدام وكنت اخفض رأسى على جريدتى واتظاهر بالقراءة لكنى لم اكن اقرأ كنت أرفع حاجبى وأتطاول بعينى الى أعلى ما أستطيع لكى احاول ان الملح ماكان يحدث في ذلك الصمت قبالتى. تمكنت اذ أدرت رأسى قليلا من التقط بزاوية عينى شيئا ما : كانت يدا اليد الصغيرة البيضاء التى كانت منذ لحظة قد انسلت بحذاء الطاولة انها الآن تستريح مقلوبة على ظهرها مسترخية عذبة شهوانية كان لها عراء مستحمة تتدأ فى الشمس بكسل . اقترب منها شىء اسمر ذو شعر على تردد كان إصبعها ضخما مصفرا بالتبع كانت له بالقرب من هذه اليد فظاظة فرج ذكر . توقف لحظة صلبا مصوبا نحو الراحة الرخصة ثم اخذ فجأة يلامسها في خجل لم اكن مندهشا بل كنت خاصة غضبا على " العصامى " ألم يكن الاحمق يستطيع إذن أن يتمالك نفسه ! ألم يكن يدرك الخطر الذى يواجهه؟ كان باقيا له حظ حظ صغير فلئن وضع كلتا يديه على الطاولة . الى جنبى الكتاب لئن ظل ساكنا تماما فربما افت هذه المرة من قدرة لكنى كنت " أعرف " انه سيفوت عليه حظة : كان الاصبع يمر رقيقا ذليلا على البشرة الساكنة ويلامسها بالكاد من غير ان يجرؤ علنا لاستسلام لثقله " فكأنه كان واعيا فظاظته .

رفعت رأسى فجأة غير قادر على ان اتحمل بعد هذا الذهاب والاياب العنيدين : كنت ابحت عن عينى " العصامى " واسعل بشدة لأنبهه . لكنه كان قد اسبل جفنية كان يبتسم كانت يده الاخرى قد اختفت تحت الطاولة كان الفتيان قد كفا عن الضحك واصبحا ممتقعين جدا . كان الصغير الاسمر يقرص شفثيه كان

خائفا فكأن الاحداث تجاوزته غير انه لم يكن ليسحب يده بل تركها على الطاولة جامدة متشنجة بعض الشيء كان رفيقة فاغرا فمه بهيئة بلیده مذعورة .

آنذاك أخذ الكورسيكى يهدر كان قد اقبل من غير ان يسع فوقف خلف كرسي العصامى كان قرمزي اللون كان يبدو عليه انه يضحك غير ان عينيه كانتا ترسلان الشرر . قفزت على كرسيتى لكنى احسستى وقد فرج عنى تقريبا كان الانتظار اشق من ان يحتمل كنت اريد ان ينتهى ذلك في اقصر وقت ممكن ان يخرجوه من المكتبه اذا شاءوا ولكن لينته ذلك التقط الفتیان حقيبتهما وقد ابيضتا حتى اصبحا كالثلج وخرجا في طرفة عين .

كان الكورسيكى يصيح ثملا من فرط الغضب :

- لقد رأيتك رأيتك هذه المرة لن تستطيع ان تقول ان ذلك غير صحيح انك ستقول هذا انه ليس صحيحا أليس كذلك؟ اتظن اننى لم اكن ارى حركاتك؟ عيني ليستا في جيبي يا صاحبي صبرا كنت اقول لنفسي صبرا حين اقبض عليه سيكلفه ذلك غالبا اوه نعم سيكلفك ذلك غالبا اعرف اسمك واعرف عنوانك لقد استعملت لو كنت تدري واعرف ايضا معلمك السيد شويليه وهو الذى سييندهش غدا صباحا حين يتلقى رسالة من السيد امين المكتبة . ماذا؟

استطرد وهو يدير عينيه في محجربة :

- اصمت يجب الا تتخيل اولا ان الامر ستوقف عند هذا الحد . في فرنسا محاكم لاشخاص من نوعك السيد ينتقف ! السيد يكمل ثقافته السيد كان يزعجنى طوال الوقت من اجل استعلامات او كتب انك لو تعلم لم تخذعنى على الاطلاق .

لم يكن يبدو على " العصامى " انه مبعوث لابد انه منذ سنوات كان يتوقع مثل هذا الحل ولا بد انه تصور مائة مرة ما الذى سيحدث حين ينسل الكورسيكى بخطى ذئبية خلفه وحين ينفجر صوت غاضب في اذنيه . ومع ذلك فقد كان يعود كل مساء كان يواصل مطالعته بشكل محموم كان بين الحين والآخر

يداعب كاللص يد صبي بيضاء او رما ساقه ان ماكنت اقرأة على وجهه كان على الاصح استسلاما
وخضوعا .

وتمتم قائلا :

- لادرى ما الذى تعنيه فانا آتى الى هنا منذ سنوات ...كان يتظاهر بالغيظ والدهشة لكن بلا اقتناع كان يعلم
جيدا ان الحادث كان هنا وان ليس ثمة بعد ما يمكن انم يوقفة وانه ينبغى له ان يعيش دقائقة واحدة واحدة .

وقالت جارتي :

- لاتصغ اليه فقد رايته

كانت قد نهضت متناقلة :

- آه لا ليست هى المرة الاولى التى أراه فيها فيوم الاثنين الماضى لا قبل ذلك رأيته ولم ارد ان اقول شيئا
لاننى لم اكن اصدق عينى لم اكن اعتقد ان بالامكان ان يحدث في مكتبة يقصدها الناس للتتقيف مايثير
احمرار الخجل ليس لى انا اولاد لكنى ارثى للامهات اللواتى يرسلن اولادهن ليدرسوا هنا وهن يحسبن انهم
هادئون لايعكر صفوهم احد في حين ان هناك مسوخا لا يحتمون شيئا ويمنعونهم من كتابة فروضهم .

واقترب الكورسيكى من " العصامى " وصاح في وجهه :

- اتسمع ما تقوله السيدة ؟ لست بحاجة لان تقوم بالتمثيل فلقد رأوك ايها الرجل النذل !

فقال العصامى في ترصن :

- ياسيد انى ابلك الامر بأن تكون مؤدبا

كان ذلك ينسجم مع دورة ربما كان يود ان يعتر فان يفر لكن كان ينبغى ان يمثل دورة حتى

النهاية .لم يكن ينظر الى الكورسيكى كانت عيناه مغلفتين تقريبا كانت ذراعاة متدليتين كان ممتقعا الى درجة
فظيعة ثم صعد في وجهه فيض من الدم .

كان الكورسيكى يخنق من الغضب :

- مؤدب؟ يا للقدر ! ربما كنت تظن اننى لم ارك أوكد لك انى كنت اراقبك منذ شهر وأنا اراقبك .

فهز العصامى كتفيه وتظاهر بالعودة الى المطالعة كان قد اتخذ وهو قرمزى الوجه ممثلىء العينين بالدموع مظهر الاهتمام البالغ كان ينظر بتنبه الى صورة من الموزاييك البيزنطى .

قالت السيدة وهى تنظر الى الكورسيكى :

- أنه يتابع قراءته .. انه جسر !

- ظل الكورسيكى مترددا في تلك الاثناء كان نائب امين المكتبة وهوشاب خجول هادىء يرهبة الكورسيكى قد تطاول فوق مكتبةوصاح :

- باولى ماذا هناك ؟

حدثت لحظة عوم واستطعت ان اوئل ان تظل القضية عند هذا الحد لكن لابد ان الكورسيكى

ارتد على نفسه واحسه مضحكا فاذا به وهو في ثورة اعصابه لايعرف بعد ماينبغى ان يقول لهذه الضحية

الصامته واذا به يقذف الفراغ بضربة من قبضة يده والتفت العصامى مذعورا كان ينظر الى الكورسيكة

فاغر الفم وكان في عينيه خوف فظيع ثم قال بمشقة :

- اذا ضربتني رفعت شكوى اريد ان اذهب بملء رضاي .

كنت قد نهضت بدورى لكن بعد فوات الاوان فقد ارسل الكورسيكى أنه شهوانية صغيرة وفجأة

سحق قبضته على انف العصامى وذات لحظة لم ار بعد الا عينى هذا الاخير عينيه الرائعتين المفتوحتين

الما وخجلا فوق كم وقبضة سمراء وحين سحب الكورسيكى قبضته كان انف العصامى ينزف دما واراد ان

يرفع يديه الى وجهه لكن الكورسيكى ضربه ايضا على زاوية شفثيه فاسترخى العصامى على كرسيه ونظر

امامه بعينين خجلتين رقيقتين وكان الدم يسيل من انفه على ثيابه وتلمس الطاولة بيده اليمنى بحثا عن رزمته

بينما كانت يده اليسرى تحاول بعناد لمس منخرية اللذين كانا يقطران .

قال كأنما يحدث نفسه :

- اننى ذاهب

كانت المرأة التى بجانبى ممتعهه الوجه وعيناها تلتمعان قالت :

- انك تستحق ذلك ايها القذر !

كنت ارتجف غضبا وقد استدرت حول الطاولة فقبضت على الكورسيكى القصير من عنقه

ورفعنه وانا ارتعش : كان بوسعى ان احطمة على الطاولة كان قد اصبح ازرق اللون وهو يتخبط ويحاول

ان يخمشنى لكن ذراعية القصيرتين لم تكونا تدركان وجهى لم اكن اقول كلمة لكنى كنت اريد ان ادق انفه

واشوه وجهه فهم ذلك فرفع مرفقه ليحمى وجهه : كنت مسرورا لاني كنت ارى انه كان خائفا واخذ يهذى

فجأة :

- دعنى ايها الوحش اتكون انت ايضا ...

مازالت اتساءل لماذا تركته هل خشيت المضاعفات ؟ اتكون هذه الاعوام الكسول في بوفيل قد

غمرتنى بالصدأ ؟ لو حدث ذلك في الماضى لما تركته من غير ان احطم اسنانه والتفت الى العصامى كان

قد نهض اخيرا لكنه كان يتفادى النظر الى وذهب خافض الرأس ينزع معطفة عن المشجب .

كان يمر بلا انقطاع يده اليسرى تحت انفه كما لو كان يريد وقف النزيف لكن الدم ظل يقطر كنت اخشى ان

يعود عليه ذلك بالاذى ودمدم من غير ان ينظر الى احد :

- انقضت اعوام وانا اجيء الى هنا ...

لكن الرجل القصير ما كاد يستقر على قدمية حتى اصبح مرة اخرى سيد الموقف فقال للعصامى :

- حل عن ظهري ولا تضع قدميك بعد هنا على الاطلاق والا استدعيت الشرطة لاجرايك

ادركت العصامى في اخر السلم كنت منزعا خجلا من خجله لم اكن اعرف مايجب ان اقوله لم بيد عليه
انه لاحظ حضورى كان قد اخرج اخيرا مندبيله كان يبصق شيئا ما كان انفه ينزف اقل من ذى قبل .

قلت له بارتباك

- تعال معى الى الصيدلى

فلم يجب كانت ضجة كبيرة تتفلت من قاعة المطالعة ولا بد انالجميع كانوا يتكلمون في وقت واحد . اطلقت
المرأة ضحكة ثاقبة .

قال العصامى :

- لن استطيع بعد ابدأ ان اعود الى هنا

استدار ينظر نظرة حائرة الى السلم ومدخل قاعة المطالعة اسالت هذه الحركة الدم بين ياقته المنشاه وعنقه
كان قمه وخداه ملطخة بالدم .

قلت له وانا اخذه من ذراعة :

- تعال

فارتعش وتخلص بعنف

- دعنى

لكنك لا تستطيع ان تبفى وحدك يجب ان يغسل وجهك وان يعنى بك

كان يردد

- دعنى ارجوك ياسيدى دعنى

كان على وشك ان يسقط في نوبه الاعصاب : فتركته يبتعد اضاءت الشمس الغاربة ظهره

المنحنى لحظة ثم اختفى وعلى عتبه الباب كان ثمة لطفة دم بشكل نجمة .

بعد ذلك بساعة

الجورمادى والشمس تغيب بعد ساعتين سيطلق القطار اجتزت للمرة الاولى الحدية العامة وانا انتزه في شارع بولبيه .

" اعرف انه شارع بولبيه لكنى لا اتذكرة حين كنت اسلكة عادة كان يخيل الى انى اجتاز كثافة عميقة في الحس السليم " كان شارع بولبيه الخشن المربع يشبه برصانته الملى بالفظاظة وطريقة المقوسة المزفته الطرق الوطنية حين تجتاز المراكز الغنية وتحيط نفسها من الجانبين على طول كيلو متر بالبيوت الضخمة ذات الطابقين كنت ادعوها شارع فلاحين كانت تسحرنى لانها كان جد ناشزة وجد مفارقة في مرفأ للتجارة . ان البيوت اليوم قائمة هنا لكنها فقدت مظهرها الريفى انها عقارات وهذا كل شىء .

دخلنى في الحديقة العامة منذ لحظة شعور من هذا القبيل : كانت النباتات والاراضى المعشبة ونبع اوليفيه ماسكوريه تبدو عنيدة لفرط ما كانت لا معبرة أنا افهم : المدينة تبدأ هى اولا بالتخلى عنى لم اترك بوفيل لكنى مع ذلك لست فييها بعد . بوفيل صامته اجد غريبا ان يجب على ان ابقى ساعتين بعد في هذه المدينة التى تصف اثائها من غير ان تهتم بى تضعه تحت مفارشها لتستطيع ان تحسره بكل نضارته هذا المساء او غدا لقادمين جدد اننى احسنى منسيا اكثر من اى وقت اخر .

خطوت بضع خطوات وتوقفت اتذوق هذا النسيان الكلى الذى سقطت فيه انا بين مدينتين احدهما تجهلنى والاخرى لاتعرفنى فمن يتذكرنى ؟ ربما امرأة ثقيلة شابة في لندن ... ومع ذلك اترها تفكر بى " أنا " الواقع ان هناك ذلك الرجل ذلك المصرى لعله قد دخل غرفتها ولعله قد اخذها بين ذراعيه .اننى لا احسده فأنا اعلم جيدا انها تعيش وقد عدت حواسها حتى ولو كانت تحبة من صميم قلبها فانه سيكون مع ذلك حب ميت هانا الذى حصلت على اخر حب حى لها غير ان هناك مع ذلك هذا الذى يمكن ان يمنحها اياه : اللذة

فاذا كانت بسبيل ان تتراخى وتسقط في الاغلام فليس اذن شىء ما بعد يربطها بى . انها تعانى اللذة ولست بعد بالنسبة لها اكثر من شخص لم يلق بها قط افرغت نفسها منى دفعه واحدة وجميع وجدانات العالم الاخرى هى ايضا فارغة منى وهذا يعود على بشعور الطرافة ومع ذلكفانا اعلم جيدا انى كائن و"انى " هنا الآن حين اقول " أنا " يبدو لى ذلك اجوف انى لاتوصل بعد جيدا الى ان احسنى لفرط ما انا منسى ان كل مايبقى واقعيا في هو كينونة تحس انها كائنة . اننى اتشاءب تشاؤبا طويلا عذبا ان انطوان روكتان غير كائن في نظر احد وهذا ما يسلبنى وماهذا انطوان روكتان ؟ انه من التجريد ذكرى صغيرة صفراء منى تنوس في وجدانى انطوان روكتان ..
وفجأة تصفر " الانا " وتصفر وينتهى الامر وتنطفىء .

الوعى يحط بين الجدران " صافيا جامدا قاحلا انه بتأبد ليس ثمه من يسكنة بعد كان ثمه من كان الساعة يقول " انا " ويقول "وعى " من ؟ كان في الخارج شوارع متكلمة ذات الوان وروائح معروفه وتبقى جدران مغفله ووعى مغفل ذلك ماهو موجود : جدران وبين الجدران شفافية صغيرة حيه ولا شخصية الوعى كائن كالشجرة كئيبه العشب انه ينغمس ويضجر كينونات صغيرة فارة تعمره كما تعمر العصافير الاغصان .

تعمرها وتختفئة وعى منسى مهجور بين هذه الجدران تحت السماء الرمادية هاهو ذا معنى وجوده هو انه يعى انه زائد على اللزوم يتحلل ويذوب ويتناثر ويسعى لان يضيع على الجدار الاسمر على طول الصباح او هناك في دخان المساء لكنه لاينسى نفسه " ابدأ " انه يعى انه وعى ينسى نفسه .

هذا هو قدرة هناك صوتا مخنوقا يقول " القطار سينطلق بعد ساعتين " هناك وعى لهذا الصوت هناك ايضا وعى وجه انه يمر على مهل مليئا بالدم ملطخا وعيناه الكبيرتان تدمعان هو ليس بين الجدران هو ليس في اى مكان انه يتلاشى ان جسما مقوسا يحل محله برأس دام ويبتعد بخطى بطيئة ويبدو انه يتوقف لدى كل خطوة ولا يتوقف ابدأ هناك وعى لهذا الجسم الذى يسير ببطء في شارع معتم يمشى ولكنه

لا يبتعد والشارع المعتم لا ينتهي انه يضيع في العدم هو ليس بين الجدران وهو ليس في اى مكان وهناك
وعى صوت مخنوق يقول : " ان العصامى يتيه في المدينة " .

لا في المدينة عينها ولا بين هذه الجدران المتداعية وانما يمشى العصامى في مدينة متوحشة
لاتنساه . هناك اشخاصا يفكرون فيه الكورسيكى والمرأة الضخمة وربما جميع الناس في المدينة لم يخسر
بعد ولا يستطيع ان يخسر اناه تلك الانا المعذبة النازفة التى لم يريدوا ان يجهزوا عليها ان شفتيه ومنخرية
تؤلمة وهو يفكر " اننى اتوجع " ويمشى يجب ان يمشى فلو وقف لحظة واحدة لانتصبت حوله فجأة جدران
دار الكتب العالية وحسبته داخلها وسوف ينبع الكورسيكى الى جانبه وسيعود المشهد من جديد متشابها في
كل تفاصيله وستفقه المرأة " يجب ان تكون في سجن الاشغال الشاقة تلك القذارات " انه يمشى وهو لا يريد
ان يعود الى منزلة فالكورسيكى ينتظرة في غرفته والمرأة والصبيان " " لامجال للانكار فقد رأيتك "
وسيعود مالمشهد من جديد انهيفكر " يالهى ليتنى لم افعل ذلك ليته كان بأمكانى الا افعل ذلك ليت ذلك يمكن
الا يكون حقيقيا ! "

بروح الوجه القلق ويجيء امام الوعى : " ربما عمد الى الانتحار لكن لا ان تلك الروح العذبة
المطاردة لا يمكن ان تفكر بالموت .

هناك معرفة الوعى يرى نفسه من جانب الى جانب مطمئنا وفارغا بين الجدران متحررا من
الانسان الذى كان يعمره ممسوخا لانه ليس احد . الصوت يقول " الصناديق تسجلت والقطار يمضى بعد
ساعتين " الجدران تنخطف يمينا وشمالا هناك وعى لطريقة تحصيب الطرق ووعى لمخزن معمل الحداد
ووعى لقتله الثكنة والصوت يقول " للمرة الاخيرة " .

وعى أنى أنى السمينه انى العجوز في غرفتها بالفندق هناك وعى الالم الالم واع بين الجدران
الطويلة التتمضى ولن تعود ابدا " " اترانا لن ننتهى من هذا ابدا ؟ " الصوت يغنى بين الجدران لحن جاز "
بعض هذه الايام اترى ذلك لن ينتهى ابدا ؟ ويعود اللحن على مهل من الخلف بطريقة خفية ليستعيد الصوت
ويغنى الصوت دون ان يتمكن من التوقف ويمشى الجسم هناك وعى هذا كله ومع الاسف وعى الوعى لكن

ليس ثمه احد ليتألم ويلوى يديه ويشفق على نفسه لا احد وانما هو الم ممرات محض الم منسى – لا يستطيع
ان ينسى نفسه ويقول : هوذا مقهى " رانديفو دى شامسنو " وتنبثق " الانا " فى الوعى انها " انا " انطوان
روكنتان وانا ذاهب الى باريس عما قليل وقد قدمت اودع صاحبة الفندق .

- جئت اودعك .

- انك مسافر ياسيد انطوان ؟

- سأقيم في باريس تغييرا للجو

- يالمحظوظ !

كيف تأتى لى ان اضغط على شفتى على هذا الوجه العريض ؟ جسمها لا يخلصنى حتى الامس
كان بإمكانى ان احس بهذا تحت الثوب الصوفى الاسود اما اليوم فان الثوب غير قابل للاختراق هذا الجسم
الابيض بعروقة النافرة اتراه كان حلما ؟

قالت صاحبة الفندق

- سوف نشاق اليك الا تريد ان تأخذ شيئا ؟ انا التى ادعوك

وجلبسنا نشرب وخفضت صوتها قليلا قالت بأسف مؤدب :

تعودت كثيرا عليك وكنا منفاهمين جدا

سأعود لرؤيتك

هو كذلك ياسيد انطوان حين تمر في بوفيل ستعرج علينا لالقاء تحية صغيرة سنقول لنفسك "

سأذهب لالقى التحيى على السيدة جان ذلم سيسرها " صحيح ان المرء يجب ان يعرف مالذى انتهى اليه
الناس .

الواقع ان الزبائن هنا يعودون الينا دائما عندنا بحارة اليس هذا صحيحيا وموظفين من شركى الترانسنا :
اقضى احيانا عامين من غير ان اراهم فهم اما في البرازيل او في نيويورك يقومون لخدمة في يوردو
على باخرة وكالات ثم يأتى يوم يعودون فيه " مرحبا ياسيدة جان " ونشرب قدحا معا سوف تصدقنى اذا
شئت اننى اتذكر مااعتادوا ان يأخذه من شراب بعد عامين من الغياب ؟ فأقول لمادلين " قدمى قدح فرموت
جاف للسيد بيار وقدح نوايى سيزانو للسيد ليون " فيقولون لى " عجا كيف تتذكرين ذلك " ؟ فأجيبهم " تلك
هى مهنتى "

كان في جوف القاعة رجل سمين يضاجعها منذ حين وقد ناداها :

- صاحبة الفندق الصغير !

فنهضت

- اعذرنى ياسيد انطوان

اقتربت الخادم منى :

- اهكذا تتركنا ؟

- إنى ذاهب الى باريس

- لقد سكنتها باريس مده عامين كنت اعمل عند "سيمبون " لكنى كنت اشتاق هذه المدينة

ترددت لحظة ثم ادركت ان ليس لديها بعد ما تقوله لى :

- اذن مع السلامة ياسيد انطوان

مسحت يدها وبسطتها لى

- مع السلامة مادلين

انصرفت وجذبت " جريدة بوفيل " ثم دفعتها قرأتها منذ حين في " دار الكتب " من اول سطر الي اخر سطر

لم تعد صاحبة الفندق تركت لصديقتها يديها السمينتين فاخذ يعجنهما في هوس

سمضى الفطار بعد ثرثة ارباع الساعة

اجريت حساباتي على سبيل التسلية

الف ومئتا فرانك في الشهر ليس ذلك بالمبلغ الدسم على اننى اذا ضيقت على نفسى قليلا فانه

لا بد ان يكفينى غرفة اجرتها ثلاثمائة فرنك وخمسة عشر فرنكا للطعام كل يوم ويبقى اربعة وخمسون فرنكا للغسيل والكى والنفقات الصغيرة والسينما لن اكون بحاجة الى البياض والملابس قبل فترة طويلة فان بذلتى نظيفتان بالرغم من انهما تلمعان قليلا لدى المرفقين انهما تخدماننى ثلاث سنوات او اربعا اخرى اذا اعتنيت بهما .

عجبا ! " انا " الذى سيسوق حياة الفطر هذه ؟ ماعساي افعل بأيامى سوف انزه سأقصد حديقة " التويلرى " فاقعد كرسيها حديديا – او بالاصح مقعدا من المقاعد الخشبية الثابتة بداعى التوفير وسأقصد دور الكتب للمطالعة وبد ذلك ؟ السينما مرة واحدة في الاسبوع .

هل احضر حفلة بهلوان يوم الاحد ؟ هل سأذهب فألعب " الكروكية " مع متقاعدى

الللكسمبورجفي الثلاثين من العمر ؟ اننى اشفق على نفسى ! هناك لحظات اتساءل فيها اليس من الافضل ان انفق في عام الثلاثمائة الف فرانك التى تبقى لى – وبعد ذلك ... لكن بما يعود على ذلك ؟ ثياب جديدة؟ نساء ؟ رحلات ؟ حصلت على هذا كله انتهى الامر الان وليس لدى بعد ايه رغبة فيما سيبقى .

سوف اجد نفسى بعد عام افرغ منى الان وحتى بلا ذكرى وسأكون جبانا امام الموت .

ثلاثون عاما ! و ١٤٤٠٠٠ فرنك كدخل قسائم اقبضها كل شهر انا مع ذلك لست بالشيخ

فليعطونى شيئا عمله اى شىء ... من الافضل ان افكر في شىء اخر لانى في هذه اللحظة انما امثل ... انا اعلم جيدا انى لا اريد ان افعل شيئا ففعل اى شىء انما هو خلق كينونة – وهناك من الكينونة مافيه الكفاية .

الحقيقة هي اننى لا استطيع ان اترك قلمى : اظن انى سأصاب ب" الغثيان " وعندى شعور بأنى أؤخرة اذ اكتب ولهذا أكتب ماخطر فى بالى .

اسمع مادلين التى تريد ان ترضينى تنادينى من بعيد وهى ترينى اسطوانة :

- اسطوانتك ياسيد انطوان التنتحبها اريد ان اسمعها للمرة الاخيرة؟

- اذا شئت

قلت ذلك تأدبا لكنى لا احسنى فى وضع ملائم للاصغاء الى لحن جاز غير انى اتنبه مع ذلك لانى سأستمع الى هذه الاسطوانة للمرة الاخيرة كما تقولين يامادلين انها قديمة جدا بل اقدم مماينبغى بالنسبة للريف عبثا سابحت عنها فى باريس سوف تضعها مادلين على كفة الفونوجراف وستدور فى المجرى إبرة الفولاذلتى ستأخذ فى القفز والصرير عندما تقودها على شكل حلزونى الة وسط الاسطوانة سينتهى كل شىء وسيصمت الى الابد الصوت البح الذى يعنى "بعض هذه الايام" .

وبدأت الاسطوانة .

هناك حمقى يلتمسون التعازى فى الفنون الجميلة مثال ذلك امرأة عمى " بيجوا " " أن " " بريلود " شوبان ساعدتنى مساعدة عظيمة لدى موت عمك المسكين . قاعات الحفلات الموسيقية تغص بالاذلة الخاضعين المهانين الذين يسعون مغمضى العيون الى تحويل وحوهم الممتعة الى شرائط لاقطة . يتصورون الان الاصوات الملتقطة تسيل فيهم عذبه معذبه الالمهم تصبح موسيقية كألأم فرتر الشاب وهم يظنون ان الجمال رؤوف بهم فى للفروج الحمقى !

اود ان يقولوا لى اذا كانوا يجدونها رؤوفا بهم تلك الموسيقى لاشك انى كنت منذ لحظة بعيدا عن ان اسبح فى الغبطة كنت على السطح اجرى حساباتى بصورة آليه وفي الجوف كانت تأسس جميع هذه الافكار المزعجة التى اتخذت شكل استفهامات غير مصوغة واندهاشات بكماء لاتتركنى بعد ليلا ولا نهارا افكار عن أنى وعن حياتى الضائعة وتحت ذلك ايضا يقبع " الغثيان " خجولا كالفجر لكن فى تلك اللحظة لم

يكن ثمة موسيقى كنت سئما وهدأنا كانت جميع الاشياء التي تحيط بي مصنوعة من المادة التي انا مصنوع منها من نوع من الالم القبيح كان العالم جد بشع خارج نفسى وجد بشعه تلك الاقداح القذرة على الطاومات واللطخات السمراء على المرأة ومريول مادلين والهيئة الودية لعاشق صاحبة الفندق وجد بشع وجود العالم نفسه وكم كنت احسنى مطمئنا بين افراد الاسرة .

هناك الآن ا غنية الساكسفون هذه انى لاشعر بالخجل ان الما صغيرا مجيدا قد ولد ألم -

نموذجى اربعة الحان من الساكسفون تروح وتجىء وكأنها تقول " يجب ان تفعل مثلنا " او تتألم " على القياس " نعم بالطبع اود كثيرا أن أتألم على هذا النحو على القياس في غير ما التذاذ ومن غير شفقة على نفسى وبطهارة قاسية لكن ايكون الذنب ذنبى اذا كانت البيرة دافئة في جوف كأسى واذا كان ثمة لطخات سمراء على المرأة واذا كنت زائدا على اللزوم واذا كان اخلص ألامى واجفها يتلبد ويقل بكمية مفرطة من اللحم وبشرة اعرض مما ينبغى كفيل البحر ذى العينين الضخمتين النديتين المؤثرتين لكن البشعتين ايضا ؟ كلا ليس بالامكان القول بأنه ذو رافه وشفقة هذا الالم الصغير الذى يطوف فوق الاسطوانة ويبهرنى بل هو ليس ساخرا : فهو يدور بجذل منشغلا بنفسه قطع كالمنجل صميمية العالم التفهه وهو الان يدور ونحن جميعا مادلين والرجل الضخم وصاحبة الفندق وانا نفسى والطاومات والمقاعد والمرأة المطلخة والاقداح نحن جميعا الذين كنا نستسلم للوجود والكينونة لاننا كنا فيما بيننا - فاجأنا الالم في المبادل في الانسياق اليومى : اننى خجل من اجل نفسى ومن اجل ما يوجد " امامة " .

هذا الالم غير كائن فلئن نهضت وانتزعت هذه الاسطوانه من الكفة التي تحملها ولئن كسرتها الى قسمين فاننى لن ابلغه هو الالم فيما وراء - دائما فيما وراء شىء صوت او نغمة كمان عبر كثافات وكثافات من كينونة ينحسر رقيقا صلبا حتى اذا اراد المرء التقاطة لم يلتق الا موجودات يصطدم بموجودات خالية من المعنى إنه خلفها :حتى أننى لا اسمعة وانما اسمع اصواتا اهتزازات هواء تكشف عنه غير موجود مادام ليس فيه ماهوة زائد على اللزوم الباقي كله زائد على اللزوم بالنسبة الية انه " كائن "

انا ايضا اردت ان " أكون " بل انا لم ارد غير هذا تلك هى كلمى حياتى الدقيقة فداخل جميع هذه

المحاولات التي لاتبدو بلا صلات اجد الرغبة نفسها فداخل جميع المحاولات التي لاتبدو بلا صلات اجد

الرغبة نفسها : ان اطررد الكينونة خارج نفسى وان افرغ اللحظات من شحمها وان الويها واجففها وان
اتظهر واتصلب لكى انتهى الى اطلاق صوت واضح دقيق لنغمة ساكسفون بل انب أماكن ذلك ان يكون
عبرة خلقية : كان ثمة انسان مسكين قد أخطأ العالم كان كائنا كالناس الاخرين في عالم الحقائق العامى في
المشارب في المدن التجارية كان يريد ان يقنع نفسه بأنه كان يعيش في كل مكان اخر خلف قماشى اللوحات
مع رؤساء " تيننتوريه " مع فلونتي " جوزولى " خلف صفحات الكتب مع فابريس ديل دونجو وجوليون
سوريل خلف اسطوانات الفونوجراف مع شكاوى الجاز الجافة وبعد ذلك بعد ان تباله مدة طويلة يفهم ففتح
عينيه فرأى انه كان ثمى خطأ كان يفى مشرب بالضبط اما قدح من البيرة الفاترة ظل مرهقا على المقعد
وفكر اننى ابله في تلك اللحظة بالذات في الجانب الاخر من الوجود في ذلك العالم الاخر الذى تمكن رؤيته
من بعيد لكن دون الاقتراب منه اطلاقا اخذت اغنية صغيرة ترقص وتغنى " مثلى يجب ان تكون يجب ان
تغنى على القياس "

وغنى الصوت

في يوم من الايام

ستشتاقين الى ياعسل

لابد ان الاسطوانة كانت مجروحة في هذا الجانب لان ضجة غريبة كانت تنبعث منها ثمة شىء
يقبض القلب : هو ان الاغنية لم تمس على الاطلاق بهذا السعال الصغير الذى تجدثه الابرة على الاسطوانة
انها جد بعيدة - جد بعيدة خلفه وهذا ايضا افهمة الاطوانة تنجرح وتتلف والمغنية ريمكانت قد ماتت وانا
مسافر عما قليل سوف استقل قطارى لكن خلف الموجود الذى يسقط من حاضر الى اخر بلا ماض بلا
مستقبل خلف هذه الاصوات التى تتحلل من يوم لآخر وتتقشر وتنسل تحت الموت تظل الاغنية هى نفسها
نضرة صلبة كشاهد بلا هوادة .

صمت الصوت وتنحنت الاسطوانة قليلا ثم توقفت اخذ المقهى وقد تحرر من حلم مزعج يجتر
لذة ان يكون ويمضغها من جديد ويبدو الدم فى وجه صاحبة المقهى وهى ترسل الصفعات إلى خدى صديقها

الجديد هذين الخدين الضخمين الأبيضين ولكنها لا تنجح فى تلوينهما انهما خدا ميت أما أنا فإنى أنتن
وأغرق فى نصف سبات بعد ربع ساعة سأكون فى القطار لكنى لا أفكر فى ذلك أفكر فى أمريكى حليق
الذقن ذى حاجبين سميكين أسودين يختنق من الحر فى الطابق العشرين من احدى بنايات نيويورك السماء
تحترف فوق نيويورك وقد التهبت زرقة السماء واقبلت ألسنة لهيب ضخمة صفراء تلحس السطوح ان صبية
بروكلين سيقفون وهم فى سروال الحمام تحت سنان الرش والغرفة المظلمة فى الطابق العشرين تنضح
تحت نار حامية ويتنهد الامريكى ذو الحاجبين الأسودين ويلهث ويتدحرج العرق على خديه انه جالس
بقميصه ذى الكمين القصيرين أمام البيانو فى فمه مذاق دخان وفى رأسه شبح هواء " فى يوم من الايام " ان
توم قادم بعد ساعة وعلى فخذة قرعته المسطحة سوف يسترخيان كلاهما على الكراسى الجلدية ويشربان
كؤوساً دهاقاً من الكحول فتقبل نار السماء لتلهب حلقيهما وسيشعران بثقل نعاس محرق هائل . ولكن يجب
أولاً عزف هذا اللحن " فى يوم من الايام " وتمسك اليد الدبقة بالقلم على البيانو " فى يوم من الايام "

حدث ذلك على هذا النحو . على هذا النحو أو على نحو آخر الأمران سيان انها ولدت هكذا وقد
اختارت ، لتولد ، جسم ذلك اليهودى المتهدم ذى الحاجبين الفحميين كان يمسك قلمه برخاوه ، وقطرات من
العرق كانت تسقط من أصابعه ذات الخواتم على الورق ولماذا لم أكن أنا ؟ لماذا وجب ان يكون بالذات ذلك
العجل الضخم الطافح بالبيرة القذرة والكحول لكى تتم هذه المعجزة ؟

- مادلين هل تريدين أن تضعى الأسطوانة مرة أخرى ؟ مرة واحدة ، قبل أن أذهب ؟

أخذت مادلين تضحك وأدارت المفتاح ، فعاد الصوت من جديد لكنى كففت عن التفكير فى نفسى
انى أفكر فى ذلك الشخص هناك الذى الف هذا اللحن ذات يوم من يوليو ، فى حر غرفته الأسود أحاول
أن أفكر فيه " عبر " النغم ، عبر الأصوات البيضاء المزرة التى يرسلها الساكسفون . لقد صنع هذا كانت له
هموم ، ولكن لم يكن كل شىء يجرى كما كان ينبغى دفعها – ثم أنه كان لا بد أن تكون ثمة ، فى مكان ما
امرأة لا تفكر فيه على هذا النحو الذى كان يتمناه – ثم انه كان ثمة أيضاً تلك الموجة الهائلة من الحرارة
التي كانت تحول الناس إلى برك من الشحم الذائب ذلك كله ليس فيه ما هو جميل ولا ما هو مجيد لكى حين
أسمع الأغنية وافكر بأن ذلك الرجل هو الذى وضعها فانى أجد عذابه ورشح عرقه .. المؤثر كان محظوظاً

ولا بد أنه لم يدرك ذلك لابد أنه قد فكر ان هذه الأغنية اذا اوتيت بعض الحظ ، ستعود على بخمسين دولاراً ! لكن ، هذه هي منذ سنوات المرة الاولى التي يبدو لي فيها رجل ما مؤثراً ، أود لو أعرف شيئاً عن هذا الرجل سيهمنى ان أعرف نوع الهموم التي كان يعانيتها ن اذا كانت له امرأة أو اذا كان يعيش وحيداً. وليس ذلك بداعي نزعة أنانية بل على العكس من ذلك انما لأنه فعل هذا ليس بي رغبة الى التعرف عليه – والحق انه ربما يكون قد مات انما أود أن احصل على بعض المعلومات عنه وأن اتمكن من التفكير فيه بين وقت وآخر اذا استمع إلى هذه الإسطوانة وأحسب ان هذا الشخص لن يتأثر على الإطلاق اذا قيل له ان هناك في المدينة الفرنسية السابعة ن قريبا من المحطة شخصاً يفكر فيه اما أنا ، فساكون سعيداً ، لو كنت مكانه اني أحسده يجب أن أمضى وأنهض ، ولكني أظل لحظة متردداً فأنا أود أن اسمع الزنجية تغنى للمرة الأخيرة انها تغنى ها هما اثنان قد أنقذا : اليهودى والزنجية أنقذا ، لعلهما ظنا أنهما ضاعا حتى النهاية ، غرقا في الكينونة ومع ذلك ، ليس ثمة من يستطيع ان يفكر في كما افكر فيهما ، بتلك العذوبة لا احد ، حتى ولا أنى انهم بالنسبة لي يشبهون قليلاً الموتى ، يشبهون قليلاً أبطال رواية ، اغتسلوا من اثم أن يكونوا لا تماماً ، بكل تأكيد – لكن الى الحد الذي يستطيع الإنسان ان يفعله هذه الفكرة تعبت في الإضطراب فجأة ، لأنى لم أكن أومل حتى هذا بعد . أحس شيئاً يلامسنى بخجل ولا أجروء أن أتحرك لأنى أخشى أن يزول هذا شيء لا أعرفه بعد : نوع من الفرح .

الزنجية تغنى بالأماكن تبرير كينونتتها ؟ ولو قليلاً جداً ؟ أحسنى مخوفاً بصورة هائلة ليس ذلك لأن لدى كثيراً من الامل انما انا شخص قد تجلد تماماً بعد رحلة في الثلج ، ثم دخل فجأة غرفة دافئة أظن انه سيبقى جامداً أمام الباب ما يزال مقروراً ، وأن ارتعاشات طويلة ستسرى في جسمه

Some of these days فى يوم من الأيام

You'll miss my honey ستشتاقين إلى يا عسل

أترانى لا أستطيع أن أجرب ؟ طبعاً ، ليست القضية قضية لحن موسيقى ولكن أترانى لن أستطيع فى ميدان آخر ؟ يجب ان يكون كتاباً : فانا لا أحسن صنع أى شيء اخر . لكن ، لا كتاب تاريخ :

التاريخ يتحدث عمل سبق ان كان – ولا يستطيع كائن على الإطلاق أن يبرر كينونة كائن آخر كانت غلظتى رغبتى فى ان أبعث السيد دوروليون انما أقصد نوعا اخر من الكتب لا ادرى تماما أى نوع – لكن يجب أن يحدث الناس خلف الكلمات المطبوعة خلف الصفحات فى شىء لن يكون شىء فوق الكينونة حكاية مثلا كتلك التى لا يمكن أن تحدث مغامرة ينبغي أن تكمن جميلة وقاسية كالفولاذ وأن تجعل الناس يخجلون من كينونتهم .

اننى ذاهب وأنا أحسنى مبهماً لا أجرؤ على اتخاذ قرار لو كنت واثقاً من أن لى موهبة .. لكنى أبداً – أبداً لم أكتب شيئاً من هذا القبيل كتبت مقالات تاريخية نعم رغم انها ... أريد كتاباً . رواية . وسيكون ثمة اناس يقرأون هذه الرواية ويقولون .. الصغير أنطوان روكتان هو الذى كتبها كان (شخصاً أحمر الشعر يتسكع فى المقاهى) وسيفكرون فى حياتى كما أفكر فى حياة تلك الزنجية .. كشىء ثمين ونصف أسطورى كتاب بالطبع لن يكون ذلك أولاً إلا عملاً متجراً ومتعباً ولن يمنعنى من أن أكون ولا أن أحس إنى كائن . لكن لا بد أن تأتى لحظة يصبح فيها الكتاب مكتوباً ويصبح خلفى وأظن أن شيئاً من نوره سيسقط على ماضى . لعلى أستطيع آنذاك أن أتذكر عبرة حياتى من غير إشمئزاز ولعلى ذات يوم إذ أفكر فى هذه الساعة الذات هذه الساعة الكئيبة التى أنتظر فيها منحنى الظهر أن يحين الوقت لأصعد القطار ولعلى سأشعر بقلبي يزداد سرعة فى الخفق وساقول لى نفسى .. الصغير فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة إنما بدأ كل شىء . وأنذاك سانجح – (فى الماضى وليس فى غير الماضى – أن أقبل نفسى) .

الليل يهبط . وفى الطابق الأول من فندق برنتانيا أوضيئت نافذتان ورائحة الخشب الرطب تنبعث قوية من مستودع الصغير المحطة الجديدة : المطر سيهطل غداً على بوفيل .

تمت

جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠)

والغنيان (١٩٣٨)

جان - بول - شارل- إيمار - ليون - أوجين سارتر ، ولد في الحادى والعشرين من يونيو عام ١٩٠٥ في باريس .. هو ابن وحيد لعائلة بوجوازية عمه مهندس حربى وأمه من عائلة أساتذة ومفكرين وهو ابن عم المفكر البير شفاتيزر أما والده فقد توفى بعد مولدة بأسبوعين بالحمى الصفراء .

حتى سن الثانية عشرة أقام " بولو " وهو اسم الدلع - مع أمه في سعادة جعلته نرجسيا فيما بعد .. أفاد من مكتبة جده فاهتم مبكرا بالادب اكثر من الاهتمام باللعب مع الاطفال ..وقد ظهرت هذه المرحلة في مذكراته " الكلمات " .

انتقل من النرجسية الى الواقعية وهو يتنقل في دراسته بين ليسيه الهافر وليسيه هنرى الرابع . التقى ببول نيزان - الكاتب فيما بعد - وعقد معه صداقة دامت حتى رحيله عام ١٩٤٠ . التحق سارتر بفصل " النخبة " ودرس اللاتينية واليونانية .

في ليسيه لويس الكبير كتب قصتين قصيرتين ثم التحق مع نيزان بالمدرسة العليا حيث شارك في فريق التمثيل .. وتعرف سارتر بكبار الكتاب والمفكرين جول رومان ويمون أرون وميرلو - بونتى .

درس الفلسفة في المانيا خلال الحرب العالمية الثالثة حين إحتلت المانيا النازية فرنسا
وإنخرط في صفوف المقاومة الفرنسية السرية بعد ان رسب في شهادة الاجريجاسيون في
الفلسفة (بينما نجح ريمون آرون وكان اول الدفعة) وعندما دخل سارتر للمرة الثانية التقى
بسيمون دى بوفوار التى صارت صديقة له حتى نهاية العمر وجاء ترتيبه الاول وجاء
ترتيبها الثانية .. بعدها أدى الخدمة العسكرية وهو في السادسة والعشرين .

عانى سارتر من رفض الناشرين لكتابه حتى وافقت جاليمار الشهيدة على نشر روايته
الفلسفية " الغثيان " عام ١٩٣٨ والتي فازت بجائزة جونكور المعروفة بعدها نشر
مجموعته القصصية " الجوار " .

أثناء الحرب وجد فراغا سمح له بالكتابة المتواصلة المضنية (١٢ ساعة في اليوم) على
مدى تسعة شهور اسفرت عن ٢٠٠٠ صفحة نشرت بعنوان " كارنيهات مهزلة الحرب)
في الحادى والعشرين من يونيو أسر سارتر في يالمانيا مع ٢٥ ألف اسير فتعلم الصلابة
وإنغمس في الواقعية وإمتزج بالآخرين ومارس هواية الحكى امام زملائه ولعب الملاكمة
واخرج مسرحية بمناسبة إحتفالات رأس السنة ولم يعد العائش في الفردية والانعزالية كما
كان في عام ١٩٣٠ صار إيجابيا ومشاركا .. أطلق اسره عام ١٩٤١ بفضل شهادة طبية
مزيفة .

وعند عودته الى باريس التقى باندرية جيد واندرية مالرو .

في عام ١٩٤١ ايضا عين مدرسا في ليسيه كوندورسيه .

في عام ١٩٤٣ قدم مسرحيته " الذباب " عن اسطورة اليكترا وفيها إستدعى فكرة المقاومة .. في هذه الاثناء تعرف على البير كامى ونشر " الوجود والعدم " متأثرا بالفيلسوف هايدجر .. ثم نشر مسرحية " جلسة سرية " عام ١٩٤٤ وقدمت على المسرح في العام نفسه .. وبدأ يكتب في صفحات جريدة " كومبا " الاولى واوفدته جريدة " الفيجارو " الى الولايات المتحدة عام ١٩٤٥ ليكتب عن المقاومة فبدأت تذيب شهرته العالمية خاصة بعد التحرر بحيث تسيد الادب الفرنسى كما تسيدت نظريته عن الألتزام التى اخذ يعمقها في مجلته " الازمنة الحديثة " التى اسها عام ١٩٤٥ .

وأخيرا تبلورت فلسفة الوجودية التى تمزج بين الوجود والحياة وتعطى الانسان الحق الكامل في الحرية في مقابل الألتزام الكامل بالفعل مع نفسه ومع الآخرين .
وعندما دافع سارتر عن الثورة الماركسية لم ينضم اليها الحزب الشيوعى ولم يتلق تعليمات من الاتحاد السوفيتى الذى لايعترف بالحرية التى ينادى بها سارتر .. وإن كان يرفض الرأسمالية والسناالينية معا .

ناهض سارتر حرب الهند الصينية وهاجم الديجولية وانتقد الامبريالية الامريكية وحرب الجزائر في مقابل البحث عن حزب سياسى جديد هو التجمع الديموقراطى الثورى لكن هذا الحزب لم يستطع أن يقوم بأى انجاز ولهذا أستقال منه سارتر في اكتوبر عام ١٩٤٩ رغم إعتقاده في قدرة الشيوعية على ايجاد حلول لقضايا البروليتاريا خاصة بعد الحرب الكورية مما جعله ينضم الى المستشارية الدولية للسلام ويؤيد الثورة الكوبية بقوله " فيد كاسترو أعجبنى إنه رجل نادر " وإن دافع عن الشاعر الكوبى هيبرتو ديلا الذى سجن لانتقاده نظام كاسترو .

كان سارتر هو الملهم لحركة الطلاب في مايو ٦٨ التي ساندتها بايجابية في الصحف والمنصات والشوارع والمصانع والسوربون وشارك في محكمة الفيلسوف البريطاني " برتراند راسل " التي ضمت نخبة من مفكرى العالم وهى المحاكمة العلنية التي أدانت الحرب الفيتنامية والجرائم الامريكية .

وهاجم بعنف إجتياح الربيع السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا وايد حركة ماوتسى تونج اليسارية ..ونزل الى الشارع مع سيمون دى بوفوار ليوزع جريدة البومبيدولية – نسبة الى مومبيدو – التي كان مديرا لها بعد ان تحمس لانتخابات الفخ التي اقصت ديغول عن الحكم بعدها اصدر مع مجموعة من المفكرين اليساريين جريدة " ليبراسيون " او الحرية ودافع عن حقوق المرأة في كافة المحافل .

وأهتم بالصراع الفلسطينى الاسرائيلى وزار المنطقة بما في ذلك مصر فأعلن عن تأييده لبقاء اسرائيل وحق الفلسطينيين في العودة الى اراضيهم جنبا الى جنب الاسرائيليين .

في السنوات الاولى من الستينات اعتلت صحة سارتر نتيجة لتناول الخمر والدخان والمخدرات بكميات كبيرة .. وفي عام ١٩٦٤ رفض سارتر جائزة نوبل في الاداب وقال " لاحد يستحق التقدير في حياته " كما رفض قبل وفي عام ١٩٤٥ بالتحديد " وسام الشرف " و" تقدير الكوليج دى فرانس " ويرى دائما ان " التقدير " يفقده حرسته وله قول شهير " لقد جائتني الفرصة لأول مرة لكى اقول لا "

وفي السنوات الاولى من السبعينيات أصيب سارتر بأزمة صحية أدت الى شبه عمى كامل فدخل في سنوات الظلام قبل رحيله بثمانى سنوات وأعلن أن اعماله قد اكتملت وأن

مشروعه قد اوشك على الانتهاء رغم أنه توقف عند الجزء الثالث من مؤلفة الضخم " فلوبير " .

إتخذ سارتر من " بينى ليفى " سكرتيرا له وهو شاب من أنصار اليسار البروليتارى بقيادة ماوتسى تونج وقام بزيارة اندريه بادر الثائر الالمانى المسجون في شتوتجارت وقام بزيارة اخرى لثوار البرتغال الذين يمثلون اقصى اليسار الاوروبى . وناصر المعارضين السوفييت اثناء محادثات بريجينيف وديستان في باريس عام ١٩٧٧ وعقد مؤتمرا قام بتغطيته اكثر من مائه تليفزيون وإذاعة وهو عدد فاق مثل هذه الاجهزة الاعلامية التى غطت مباحثات الرئيسين السوفيتى والفرنسى . وذهب الى قصر الأليزية مطالبا ديستان برعاية اللاجئين الفيتناميين .

كما انضم الى لجنة مناصرة أيه الله الخمينى المنفى في صراعة مع نظام الشاه الامبريالى . كتب سارتر ثلاثة مقالات بعنوان " الامل اليوم " نشرت في النوفيل اوبزرفاتور بعد رحيله في ١٥ ابريل عام ١٩٨٠ عن ٧٥ عاما بمستشفى بروسية بباريس نتيجة ارتشاح رئوى وبعد اربعة أيام شيع جنازته قرابة خمسين الفا من بينهم المحاربين القدامى في حرب الجزائر وانصار ماوتسى تونج . ودفن بمقابر مونبارناس .. وفي ١٤ ابريل عام ١٩٨٦ توفيت سيمون دى بوفوار .

أما " الغثيان " فهى رواية مذكرات او مذكرات روائية تسرد أحداثا وقعت للراوى وحده وفي علاقته مع الاخرين وأحداثا وقعت للاخرين على مرأى ومسمع منه .. هذه الاحداث التى جاءت على شكل مذكرات يومية تكشف عن فلسفة الكاتب وأفكاره والتى جاءت نبثا لنظرياتة التى تبلورت فيما بعد والتى تركزت في الوجودية والحرية والالتزام واليسار

والديمقراطية والاشتراكية في مواجهه الرأسمالية والامبريالية والحروب والقمع والمعتقلات
واليمين .. وهى الافكار والمعتقدات التى تناصر الانسان وتناهض الظلم .. تلك الافكار
والمعتقدات التى تحولت فيما بعد ايضا الى افعال تمثلت في التظاهر والمقالات والبيانات
تهاجم وتعترض وتدافع والزيارات التى تخفف عن المسجونين والمعتقلين وتؤيد مواقفهم
المشروعة وحقوقهم المسلوبة ..

هكذا جاءت الرواية ، مليئة بالافكار الفلسفية والسياسية التى حاول الكاتب ان يسنبتها من
الواقع ويطبعا عليه .

ومع هذا حافظ الكاتب على الاسلوب الروائى والحوار السلسلى بعيدا عن جفاف الفلسفة
وصرامة الفكر .. وتجلت قدرته على وصف ادق التفاصيل التى قد تبدو للقارىء تزييدا
لاداعى له ولا مبرر .. لكن مبرر الكاتب هنا هو الصياغة وتشريح النفس البشرية المتصله
بالضرورة بالمكان والزمان بل تعدى النفس البشرية الى الجسد الانسانى لتكتمل الصورة
كما اكتملت رؤية الكون عنده من خلال وصف العالم الخارجى للانسان وعلاقته به .

مؤلفاته

روايات وقصص

الغثيان ١٩٣٨

الجدار ١٩٣٩

طرق الحرية ١٩٤٥ (سن الرشد - التأخير - الموت في الذات)

إنتهت الألعاب ١٩٤٧

مسرح

باريونا او ابن ١٩٤٠

الذباب ١٩٤٣

جلسة سرية ١٩٤٤ (اخرجت للتلفزيون ١٩٦٥ وقدمت على مسرح بيتس ١٩٧٧)

المومس الفاضلة ١٩٤٦

موتى بلا قبور ١٩٤٨

الايدي القذرة ١٩٤٨

الشيطان والاله الطيب ١٩٥١

كين ١٩٥٤

نيكراسوف ١٩٥٥

سجناء الطونا ١٩٥٩

الطرواديات ١٩٦٥

مذكرات ومراسلات

الكلمات ١٩٦٤

كارنيهات عن مهزلة الحرب ١٩٣٩

رسائل الى كاسترو ١٩٨٣

دراسات

مواقف (١٩٤٧-٤٨-٤٩-٦٤-٦٤-٦٥-٧٢-٧٦)

دراسات سياسية

إنعكاسات على المسألة اليهودية ١٩٤٦

لقاءات حول السياسة ١٩٤٩

مسألة هنري مارتان ١٩٥٣

مقدمة عن عذابات الارض لفرانز فانون ١٩٦١

لنا حق في الثورة ١٩٧٤

نقد أدبي

جمهورية الصمت ١٩٤٤

بودلير ١٩٤٦

ماهو الادب؟ ١٩٤٨

القديس جينيه مضحك وضحية ١٩٥٢

عبيط العائلة ١٩٧١ (عن فلوبيير)

مسرح مواقف ١٩٧٣

فلسفة

التخيل ١٩٣٦

عظمة الأنا ١٩٣٧

عودة نظرية الاضطرابات ١٩٣٨

الخيالي ١٩٤٠

الوجود والعدم ١٩٤٣

الوجودية إنسانية ١٩٤٥

ضمير ومعرفة الذات ١٩٤٧

نقد العقل الجدلى ١٩٦٠

كراسات من اجل الاخلاق ١٩٨٣

نقد العقل الجدلى (٢) ١٩٨٥

حقيقة ووجود ١٩٨٩

سيناريوهات

التيفود ١٩٤٣

إنتهت الالعب ١٩٤٧

التداخل ١٩٤٨

سيناريو فرويد ١٩٨٤

مؤلفات ومراجع عنه

٢٥ كتابا من بينها كتاب لسيمون دى بوفوار - ١٣٠ مرجعا من بينها مجلة الازمنة الحديثة

أفلام تسجيلية عنه

٣ افلام قصيرة